ناریمـــان

ناريمـــــان

رواية

جيهان جمال

اسم الكتاب: ناريمـــان
اسم الكاتب: چيهان جمال
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: محمد إبراهيم
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ديسمبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 27602

للنشر والتوزيع
Arabic Library

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الإهـــداء...

إليك امتناني يا من منحتني كُل عطاياك الكريمة دون أن تنتظر مني أي شيء، فكيف للمعطي أن ينتظر ..؟!

إليك محبتي الخالصة لوجهك الكريم، يا من ألهمتني بكُل ما أسعدني من كتاباتي، وتمنيت أن يسعد ويستفيد بها غيري..

فتقبّل يا اللّه عَملي الذي حاولت قدر استطاعاتي أن تكون كلمتي فيه من نور.

(١)

القاهرة ٢٠١٧.

صباح صيفي ساخن.

ثمة مشاعر مختبئة خلف جدار العُمر كانت، وما زالت مؤلمة، فتارة تجد أن مثل هذه المشاعر تسرف في الركض وراء السنوات فتعذبها، وتارة أخرى تجدها تجثم على أنفاس الأيام فتؤرقها، وشيء ما يتراءى أمام عينيها الآن، وهى تقود سيارتها المرسيدس القديمة التي ورثتها عن والدها، وكأن هناك شريطًا طويلًا لفيلم سينمائي قديم صار لا يفارقها أبطاله بلحظات النهار، أو على الأحرى لم يعد يغمض لهم أجفان بعيون الليل، وها هي مشاهده تأتى، وترحل في رحلة عبثية على مرآة السيارة، حتى بدت رؤية الطريق أمام عينيها ضبابية.

تعلم ناريمان أن هناك شيئًا ما، تمنت الموت على أن تحيا الأيام معه، شيء ما، تدري من أين أتى، لكنها قط ما أدركت متى سينتهي، وعلى الرغم من عذابات كل هذا الأرق إلا أنها تحاول أن تتعايش بهدوء وسط هذا الكم الهائل من فوضى العناء.

وآه، وألف آه، وآه من فوضى العناء حين تبيت، وتُصبح تلوح في الأُفق بحركات بهلوانية فجة، ثم تخرج ألسنتها المتجبرة، وكأنها تعلن أن العناء آتٍ، آتٍ لا محالة؛ ففوضى العناء لم تترك ناريمان قط، وحالها منذ أرسلتها رياح الزمن لتصب غضبها على أيامها.

وبالفعِل أتت منذ قليل لتراوغها من قبل أن تمد قدميها بسيارتها، وتجلس على مقعد القيادة؛ لتمضي بالطريق؛ إذ أمسكت فوضى رياح صيفية ساخنة بأطراف ثوبها الشيفون الوردي، وراحت تلتف حول حذائها الأسود، حتى كادت تسقطها على الأرض.

تعرف تمامًا هي تلك الفوضى التي دومًا تزورها بمواسم رحلات العمر، فتأتيها دون استئذان لتلفح وجه أيامها بهبات رياح عاتية، كتلك التي أتت إليها دون مُقدمات بصباح اليوم، والذي كان يبدو لأول وهلة لطيف الطبع على الرغم من سخونته، وكأن هذه الرياح تكاد تشبه تمامًا سابقتها مما كانت ترسل لها به أيام مضت، منذ أن استنشقت ناريمان أنفاس روح الحياة.

وكأن السماء تعاود رسائلها كي تُبصر، وتحذر من رياح أخرى، ربما يأتى بها الزمان الذي أبى أن يتركها لحالها، ويكف عن غدره، أو لعلها كانت تدري، ورغم ذلك تغض الطرف عن أن تلك الرياح ربما اقتربت منها بالفعل، وبدا شرها يدق بشراسة منذ ما يقرب من شهور قليلة على الأبواب.

تمد يدها في حُزن شديد نحو حقيبة يدها الأنيقة السوداء الملقاة بالمقعد المجاور لها، وقبل أن تفتح الحقيبة تتحسس بأناملها ذاك المقعد الفارغ دائمًا من لمسة يد حانية تشاركها الوجع، أو تُطيب معها خاطر العُمر.

ثم تمسك بحافظة نقودها، وتفتحها؛ فلا تجد غير بضعة جنيهات قليلة، لتضحك ساخرة من نفسها، ومن شيمة الأيام الغادرة، لكنها أبدًا لا تعرف الاستسلام، ولن يكسرها هذا اليأس الزائر.

نعم، إنه اليأس الذي يزورها ما بين الحين والحين، كُلما أراد أمجد أن يمارس الضغط عليها، دون ذنب جنت سوى أنها صبرت كثيرًا عليه، وتنازلت أكثر. تضحك ناريمان ساخرة من مفارقات الأقدار، غير عابئة بحافظة النقود خاوية الوفاض؛ فمتى كانت النقود تشغلها؟!

إنها بالفعل لم تكن يوم تهتم، ولا تُشغل القلب والبال بمثل هذه الأمور أبدًا؛ فالنقود دومًا لا تمثل عندها الشيء الأهم على الرغم من علمها بضروريتها بالحياة، لكنها كانت، وما زالت تعتبرها مجرد وسيلة من وسائل العيش الكريم برحلة الحياة القصيرة مهما طالت أو قصرت، ولا شيء غير ذلك؛ فإن هي أتت فخير، وإن ذهبت فستر الله موجود، ثم تطبق على دموع القلب خشية السقوط، وهى تقول:

- الحمد لله على كل حال.

تركن بالسيارة على جانب الطريق، وتقف على عتبات الرضا الذي ما فارقها قط يوم؛ فتصمد بأقدامها لتثبت بحذائها الأسود الأنيق من جديد على الأرض، وكأن كل رياح غادرة هبت عليها على مر الزمان كانت تغلبها ناريمان بتلك القوة الناعمة التي تأتيها بالوقت المُناسب مع كل أزمة تواجهها، ولا تعلم من أين كانت وما زالت تأتى؟!

لذا فمن يراها، ويعلم بحالها رُبما يحسدها على قوة شخصيتها التي ربما تظهر من موقف ما، أو نظرة ثاقبة، أو من خلال حديث عابر ليتجلى بوضوح مدى قوة تحملها.

ليعتقد الآخرين أن رياح الأيام العاتية لم تترك خلف هذه المرأة التي اعتادت ألا تنظر وراءها أي أثر، ولكن تبًا لهذا الاعتقاد الظالم؛ فمتى كانت زوابع، وتقلبات طقوس الأيام، لا تترك فينا أثرًا مهما أوتينا من قوة!

تدخل ناريمان إلى سوبر ماركت المدينة؛ لتشترى ولأول مرة أقل القليل الذي يُغنى، ثم تنتهي، وتشكر البائع، وتترك له ما فيه النصيب من القليل الذي معها من نقود، والمُحمل دومًا بالكثير من الرضا.

وها هي تحمل بيديها الحانية أرغفة قليلة من العيش، وقطعة الجبن البيضاء التي تحبها، وكطفل هدَّه الحبو على عتبات السنوات، تتمهل خشية الانزلاق من فوق درج الأيام، لتخرج من السوبر ماركت بأمان.

تتمهل ناريمان في تلك اللحظات لشعورها بالضعف، والانكسار الذي لا تُحب أن تظهره للعابرين، لتمضي ثانية بالطريق الطويل، وهى تقود سيارتها المرسيدس القديمة، ثم تنظر لوجهها بمرآة سيارتها علَّها ترى نفسها بوضوح في ذاك المشهد الذي ظل يؤثر في رؤيتها، وهى تقود السيارة فتشعر وكأنها امرأة عجوز هدّتها السنوات، ولا ترى جمالها على الإطلاق، فتخلع نظارة الشمس الفرنسية عن عينيها؛ التي ربما يُخيل إليك حين تراهَا أنهَا مُبحرة في طي ليل غميق، حتى إذا ما اقتربت أكثر سوف تجد نفسك مجذوباً للغوص فى تفاصيلهَا، وربما تلمح تلك النظرة العالقة فتجدها رغم الأسى لم يزل عالقًا

بها ألوان فرح ذائب في الحنين لشيء ما. ربما تريد أن تُبصر الشمس بوضح النهار؛ علَّها تفلح في أن تُشرق بأيامها من جديد بتلك النظرة التي افتقدتها العيون الجميلة كثيرًا.

بعدما أرهقها شجن ظل لسنوات، وسنوات يُرافق الأيام، ويؤرق الليالي، وما زال الطريق يمضى بها، وها هي قاربت أن تعود، وقبل أن تصل، وتركن بالسيارة؛ لتتأهب للنزول منها تسمع رنات الموبايل؛ فتلتقطه من حقيبتها بسُرعة، ثم ترد بلهفة من ينتظر الخلاص من شيء ما، وما أن وقعت عينيها على رقم المتصل إلا وانفجرت منها الكلمات؛ لتقول بصوت عالٍ لم يعتده منها الطرف الآخر:

- انت فين يا أمجد؟ حرام عليك أكتر من أسبوع ما أعرف عنك شيء.

ودون أي رد منه يبرر أو يطمئن، يقول في تشنج مغلف ببرود متعمد:

- اسمعيني؛ مافيش وقت، المحامي هايتكلم معاكى حالًا، في مشتري جديد للڤيلا عارض سعر كويس، خلصي معاه وبيعي، سلام، هاكلمك تاني.

ويغلق أمجد الخط دون أن يسمع منها أي شيء، وكأنها صارت مع مضي السنوات مجرد أداة منفذة لكل رغباته، وليست زوجة، وشريك له بتلك الحياة. تشرد ناريمان، وتزداد حيرتها مع هذا الرجُل الذي لم تستطع أن تشفي ما بها منه إلى الآن، وها هي دموع عينيها تسقط رغمًا عنها على الرغم

من أنها تحاشتها كثيرًا أن تفر منها أثناء الطريق، لكن لا فرار، ثم تفيق سريعًا على صوت الموبايل؛ فترد:

- ألو.
- مدام ناريمان، صباح الخير.
- صباح الخير.
- ممكن حضرتك تحددي ميعاد للمشترى الجديد للڤيلا؛ لأنه حابب ياخد ميعاد النهاردة.

ترد بشجن بات يختلج بحة صوتها، فذاك الصوت ما عاد يعزف غير نغمات هذا الحزن الشجي، وإن هي حاولت أن تتصنع نغمات أخرى كي تختبئ بحزنها عن الآخرين، بدت تلك النغمات تتراقص في أنين لا هي تدركه، ولا تعلم أن الآخرين يدركونه، لكنها تصر على أن تتصنع اللامبالاة أمام الجميع ظنًا منها أنها تتخفى عنهم؛ كي لا يشعر أحد ما تعانيه وما تعيشه، وها هي ترد عليه بحسم، وتقول:

- أوكي، بانتظاركم الساعة ٦.
- مناسب؟
- مناسب جدًا يا هانم.

ثم تغلق الموبايل في تكتم شديد، وكأنها لا تريد أن تخبر أحدًا أي شيء عنها، ولا تريد أن تسمع له دقات بعد اليوم، حتى إنها لم تعد تريد سماع صوت أمجد ومحاميه عبر هذا الموبايل مرة أخرى؛ فقبضت عليه بيدها

قبضة ألمتها كثيرًا، وكأنها أرادت أن تكسره؛ إذ إنها بدت تشعُر أن أمجد من وضعها عن عمد في مواجهة الرياح وحدها، وهرب كما اعتاد بكل موقف قاسٍ ألم بها معه!

تلوم نفسها أنها عاشت بمُنتهى السلبية معه على الرغم من أنها لم تدرك إلى الآن من يكون أمجد؛ فالصورة لم تتضح كل أبعادها بعد رغم كل سنوات الزواج والعِشرة، لكنها بالفِعل تعبت، تعبت ناريمان، تعبت وهى تسعى وحيدة بلا جدوى لكل الحلول الممكنة، تعبت من فوضى العناء التي أهلكت سنوات العمر النضر، وها هي الفوضى تريد أن تلقي به الآن على قارعة طرقات المجهول، تعبت من كل ما حدث، وما زال يحدث لها.

داخل الڤيلا.

تدخل ناريمان بعد أن ركنت سيارتها المرسيدس القديمة أمام الڤيلا، وها هي تسير بين جنبات بهو ڤيلاتها القابعة بهدوء على أطراف المدينة الصاخبة. كل شيء بالڤيلا يبدو ساكنًا سكون الموت، أو ربما صارت كل الأشياء يومًا بعد يوم صامتة صمت الحملان.

تخلع عنها هذا الحذاء الأنيق، وتسير لأول مرة حافية القدمين، نحو البهو الكبير ببطء شديد، وكأنها عائدة للتو من ماراثون لجري المسافات الطويلة، لتبتغي الآن الراحة، ولا شيء غيرها. غير مُصدقة ما يحدث لها، فهل يعقل أنها بعد كل هذا اللهث والعناء لم تنلْ شرف جائزة التشجيع المعنوية التي تبتغيها كل زوجة قانعة. هي بالفِعل لم تكن تريد سوى رصيد عظيم من تلك المشاعر

الغنية بالإحساس، والتي تجعل للأيام متسعًا مهما ضاقت علينا سُبل الحياة؛ فطبطبة من قلب زوج حنون على كتف الروح كفيلة جدًا بأن تطيب الخاطر، تمامًا مثل ذاك التصفيق الحار الذي يتلقاه لاعب البطولات وسط أجواء مشحونة بالتوتر والمعاناة، والتي ربما من الممكن جدًا أن تؤدى به تلك الأجواء إلى الهزيمة بين لحظة وأخرى، ثم يتلقفه الأمل بتشجيع غير متوقع في لحظات حاسمة جدًا؛ فتشحذ همته من جديد، وتعينه على تكملة المسير بنجاح، ولما لا تنال ناريمان هذه المنحة المعنوية؟! أليس من حقها بعد أن ضحت على مدار مشوار الأيام لأجل أمجد، وابنهم الوحيد بصحتها ووقتها، وبكل ما تملك- أن تنال هذه المنحة المعنوية.

كان أمجد يعترف بينه وبين نفسه أن قلبها وعقلها ككفتى الميزان لا تجور إحداهما على الأخرى، لكنه للأسف لم يكن قط يُقدر هذا، ومازالت ناريمان تقف حائرة تتلفت حولها بالريسيبشن الكبير، ثم تضع حقيبة يدها بجوار تمثال نحاسي كبير كانت اشترته يوم ما من إحدى المزادات، أغراها التمثال حينها، وهي التي لم يغريها شيئًا بسهولة من قبل. أغراها التمثال، وكأنه كان يناديها، واختصها بالنداء من بين الجميع؛ كى تنتشله من فوضى العناء؛ فتلقفته دون تفكير، ولم تهتم لحظتها بالمبلغ الكبير الذي اشترته به.

لم تدرك سوى أن هذا الوجه الحزين لتلك المرأة الجميلة لمسها، أو ربما يحمل بين ملامحه شيئًا ما يشبهها. صحيح هي لا تعرف صاحبة هذا الوجه الحزين، لكنها كانت تشعر بها؛ لذا لم تهتم لحظتها بما سوف يلقيه عليها أمجد من توبيخ، وكأنها امرأة سفيهة فارغة العقل أو من مدمنات المنظرة،

وارتياد المزادات على الرغم من أنها دفعت ثمنه من مالها الخاص، وكانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي تندفع فيها ناريمان وراء شعور يقتحمها، ليظل هذا التمثال الذي يكاد أن يفضفض بأوجاعه كُلما ألقت عليه بنظرة ما.

قابع هنا كما هو بذات الدلال، ترافقه تلك الوحدة الساكنة في صمت حرم الجمال على الطاولة المستديرة طوال العشر سنوات الأخيرة منذ أن اشتروا تلك الڤيلا.

تكمل السير على حافة جمر الانتظار لتتوقف فجأة قبل أن تدخل لغرفة إعداد الطعام، وقبل أن تنادى على عم عدنان الطباخ؛ ليأخذ من يديها الكيس الذي وضع به بائع السوبر ماركت العيش، والجبن.

تتذكر أنه رحل. رحل عدنان ككل الأشياء التي رحلت عنها، وتركتها وحيدة هنا دون مُقدمات، وها هي تسير بخطوات متعبة، مثقلة بحزن تبعات الأيام إلى غرفة إعداد الطعام الكبيرة، والتي بدت ناريمان -ولأول مرة أمام عينيها- وكأنها شخص غريب لكنه عزيز، وتهيأ لاستقبالها بكل هذه الكماليات المريحة التي تعرفها، وتحفظ أماكنها عن ظهر قلب.

فهل تناست الغرفة أن ضيفتها وأشياءها التي تهيأت أن تستقبلها بها الآن، ولساعات معدودة قادمة، هي ذاتها تلك المرأة الدافئة التي كانت لسنوات تستمتع بصحبتها، وأنها ناريمان التي سوف تخبر عنها الأيام أنها كانت يومًا ما هنا، وأنها صانعة، وصاحبة هذا المكان الرحب.

تُخرج رغيف عيش واحد من الكيس، وتضعه بهدوء بالمكرويف، ثم تقف أمامه لثوانٍ، وهى تضع يدها على شعرها بعدما أزاحت عنه الإيشارب الشيفون الأسود، وطرحته جانبًا على مقعد الطاولة.

ثم استدارت لتفرغ الماء الذي كانت وضعته بالبراد الكهربائى، ووقفت تشاهده، وهو يغلى كغليان أيامها معه في تلك السنوات الأخيرة بالذات، لتصبه على كوبها الكريستال الإيطالي، والذي كانت وضعت به باكيت الشاي الذي تفضله دائمًا؛ لأن يعانق أعواد النعناع الأخضر التي تلقفتها توًا بلطف بأناملها الرقيقة.

كم تمنت ناريمان أن يزور اللطف أيامهم الآتية، ولا تأتي الأيام بما تخشاه، ودعت من كل قلبها أن يلقى لطف الله الخفي بفوضى هذا العناء بعيدًا، بعيدًا عنهم.

لحظات ما قبل المساء.

تحادث بهمس مقتنياتها الباهظة الثمن، والأغلى على نفسها، وكأنها تودع عزيزًا غاليًا، ولم لا؟ أليس كل ركن هنا هو قطعة من روح أيامها بحلوها، ومرها. أليست البيوت هي لملمة شتاتنا، وهى حضننا الكبير الدافئ الذي نرتمي فيه أحيانًا كثيرة من قسوة برودة العيش وحرارته بين الناس؛ فتضمنا البيوت بين جنباتها الحانية، حتى وإن صرنا دون هِدمة تليق أو كسرة خبز تشبع؛ فغالبًا ما يكون ستر السقف والجدران هو الأشد احتياجًا.

بمرور الوقت.

لم تشعُر ناريمان أن كل هذا الوقت مضى بها سريعًا، وأن الساعة على وشك الاقتراب من السادسة مساءً، ومع ذلك يداهمها شعور بالضجر واللامبالاة؛ فلم ترغب في أن تأخذ شاور بارد حين عادت كما اعتادت؛ لتزيح به عنها فوضى عناء هذا اليوم المُرهق منذ أن خرجت باكِرًا، وها هي الشمس تترك رسائلها قبل أن تنذر بالمغيب؛ فيأتيها صوت دقات، ظنت لأول وهلة من كثرة ما يلم بها من ألم، وضيق أنها دقات تعاود الطرق على وجه أيامها، وليست بتلك الدقات التي سُرعان ما كان يشعر بها قلبها، ويطير إليه مع تلك النغمات؛ فهذه النغمات هي النغمات الوحيدة التي وضعتها بموبايلها لهذا الرقم صاحب المكانة الأولى بحياتها، هي نغمات مميزة جدًا لديها، وهى لا تعرفها فحسب، بل هي تسكنها وتحفظها بذاكرة القلب، تحبها وتتونس بها قبل وحشة أي ظلمة ليل قادم.

تندهش ناريمان من اضطراب مشاعرها لهذه الدرجة، وعدم وصول تلك النغمات إليها منذ أول وهلة، لكنها تقاوم هذا الاضطراب، وتحاول أن تتماسك، وتخبره بقرارها الذي أخذته وحدها بعد طول تفكير؛ فترد في لهفة المحروم من أغلى حق له بتلك الحياة؛ فتسمع صوته الدافئ، وهو يقول كما عودها ببداية كل مكالمة:

- وحشتيني جدًا يا ماما.

فتنسى كل ما بها، وتقول في حنان ملهوف:

- وانت كمان وحشتني، حبيبي أكتر مما تتخيل.
- الحمد لله، خلصت امتحانات، وراجع لك يا ست الكل.
- ها، مجهزة نفسك نصيف فين؟

ودون تفكير تقطع عليه كلمات الاشتياق المحملة بكل الذكريات التي تعلم أنه كان يود أن يستعيدها معها، ولو للحظات؛ علَّها تروي بعضًا من ظمأ حنين جارف لدفء لمة البيت الذي يفتقده منذ عام كامل؛ فتلملم شتات نفسها، وتقولها في حزم يشق القلب بلوعة وجع الفراق.

- لا، أرجوك ماترجعش.

يصمت أمير للحظات من قسوة ما سمع من أمه الحنون؛ فهو لم يعتاد منها هذا الجفاء الذي وصله الآن. تناديه ناريمان بقلب الأُم الخائف على وحيدها من متاهة مفترق الطرقات، ولكنه ما زال صامتًا، ثم بدأ يستجمع ما حدث ويقول:

- فى ايه يا ماما بيحصل عندكم أنا ماعرفوش؟

وقبل أن ترد عليه يسترسل ويقول:

- فعلًا، شهرين بحاول أتواصل مع بابا، وفين وفين لما يرد عليا، ويقفل معايا بسُرعة بحجة انه مشغول جدًا، وأنا عادى لأنى ممكن أكون اتعودت منه على كِده، لكن حضرتك اللي بتقولى الكلام ده، ومش عايزانى أرجع بيتي، دى اللي مش قادر أستوعبها، ليه قولتي كِده؟

أعتقد إن واحد زيي في نهائي هندسة، والمفروض إنه مش غبي لأنه بيدرس بأكبر جامعة من جامعات العالم من حقوا يفهم.

وقبل أن ترد عليه ناريمان، وهى في حالة انهزام شديد يرن جرس الڤيلا.

(٢)

تنتبه ناريمان أنها لم تعد بانتظار أحد منذ أن رحل أمير وأمجد، ثم تطلب ممن يطرق عليها باب الڤيلا الانتظار لدقائق، فتشعر أن القادمين هم المشتري، والمحامي، لتتذكر أنها أعطتهم موعد منذ ساعات لتوقيع العقود بالبيع كما أمرها أمجد، ثم بصوت خفيض تتمتم بكلمات توبخ بها هذا المحامي قليل الذوق الذي لم يتصل قبل الوصول على الأقل بعشر دقائق ليخبرها أنهم بالطريق إلى الڤيلا، وبالأخير تلوم نفسها؛ لأنها داهمها الوقت وسرقها دون أن تدرى.

كل هذا كان يحدث بعد أن أغلقت الهاتف مع أمير، وها هي تجرى مُسرعة؛ لتصعد للطابق العلوى، كى تحضر عقد الڤيلا، والتوكيل الذي كان فوضها فيه أمجد بالبيع. تصل لغرفتها، وتمسك بعقد الڤيلا والتوكيل بيدها المرتعشة بعد أن أخرجتهم من الأدراج، وتعود بقلبها الشريد لتهبط مُسرعة على درج السلم، وهى تنظر بلهفة إلى ساعة يدها الكارتيير؛ فتجد أن الساعة قاربت بالفعل أن تتجاوز السادسة بدقائق، ثم تتملكها لهفة حنين جارف لابنها الذي أغلقت الهاتف معه منذ لحظات بجفاء لأول مرة، وتتذكر أن هذه الساعة كانت هدية أمير لها بعيد ميلادها الماضي.

لتنطفئ ناريمان للحظات أخرى، وهى تباغتها ذكريات أمجد الثقيلة؛ تلك الذكريات التي كانت سببًا في انقباض قلبها حينها والآن؛ فتحاول أن تكون

قوية أكثر من ذلك قبل أن تتأهب لتذهب لفتح الباب، لكن أمجد يقف لها بالمرصاد، وكأنها تُراه باليهو الفسيح. يقف بانتظارها يضحك بمنتهى الاستخفاف بمشاعرها كأم، ويكرر كلماته السخيفة التي قبض قلبها بها حينها، حين رأى هدية أمير الثمينة، وفرحة ناريمان بها، ويقول ضاحكًا إن التهادي بساعة اليد فأل سيئ؛ لأنه يعني الفراق.

وها هو أمجد يعاود استخفافه، ويعود بطيف ذكراه القاسي على الرغم من فراقه الذي لم يعد يفرق معها، فما يوجعها حقًّا، ويقبض قلبها هو فراق أمير لها، وما آل إليه حالها بعد أن تُركت هنا وحيدة، وها هي بالفِعل وحدها بهذا الموقف القاسي الذي لم تتضح أبعاده بعد، والذي تركها فيه أمجد كما هو واضح عن عمد، لتستقبل الأغراب باللحظات القادمة وحيدة بلا سند.

تفيق من غيم ذكرياته المؤسفة على رنات جرس الڤيلا، تعاود الطرق على وجه أيامها، وما زالت ممسكة بيديها الأوراق الخاصة بالبيع كاملة، وقبل أن تفتح الباب تتذكر أنها حافية القدمين؛ فتجرى لتذلف قدميها بحذائها الأسود الأنيق، ثم تهرع لطاولة المطبخ لتلتقط الإيشارب الشيفون الذى كانت تركته لفترة هناك، وها هي تطرحه على على شعرها لتستتر به عن أعين القادمين، وتلتقط أنفاسها المتعبة من فوضى العناء.

تفتح بابها، وقد هيأت نفسها للابتسام في وجوههم، لكن الانقباضة التي حلت ضيفة بقلبها منذ لحظات، وما تراه الآن جعلها ترجئ الابتسامة لوقت غير معلوم؛ فقد وجدت أمامها المحامي بطلته المريبة، ومعه رجل ذو طلة بشوشة هادئة ظنت لأول وهلة أنها ربما تعرفه، ثم تحاول أن تفيق من

المجهول الذي يحاول أن يجرجرها على عتبات آلام ظنت أنها شفيت منها، لكن هذا المجهول رغمًا عنها يجبرها أن تُحدق النظر فيه وفيمن معه.

لتجد سيدة ذات تكشيرة تفترش المساحات العريضة لوجهها المتأفف، تتأبط ذراعه وكأنه سوف يفر منها، تمتعض السيدة أكثر وأكثر في وجه ناريمان؛ مما جعلها لا تشعر بارتياح؛ فربما استشعرت ناريمان شيئًا ما احتل مشاعرها للتو؛ شيء ما أشبه بالصدمة جعلها تخاف، وترتعد بينها وبين نفسها وكأن أحدهم أتى وبيديه قنبلة مدوية من العيار الثقيل؛ ربما أراد أن يلقيها بوجهها، لكنها لم تتوقع قط أن المشتري هو أول من كاد يجرى عليها ليسبقهم، ويفوز بإلقائها لتنفجر في وجهها؛ فتفيق على أنه بالفعل هو، وأنهم جميعًا ما زالوا يقفون بهو القيلا؛ فتتلاشى من هول المشهد الموجع الذي تصدره المحامي الأفَّاق من بعد إلقاء التحية، والسلام عليها بوجه زائف البشاشة، وهو يعرفها بالمشترى، ومن معه، ويقول:

- مروان بيه النعماني.
- مدام مروان بيه.

لم تتمالك ناريمان نفسها؛ فتستند على الباب الكبير، ثم تهز رأسها بحزن بالغ، وكأنها ليست صاحبة المكان التي تستقبل ضيوف، وهى التي يجب أن تسمح لهم بالدخول، بل هي المرأة المهزومة دومًا، والمهمومة بفراق كل غالٍ وعزيز، أو كأنها صارت بتلك اللحظات كالمجذوب الذى يرى أمام عينيه عزيز عائدًا من الموت؛ فصارت بلحظة في عداد من سيتلقفهم الموت من بعد

سماعها لاسمه دون أي رد فعل منه تجاهها؛ فتحاول أن تتماسك بعد أن تأكدت أنه حي يرزق، وأن قلبها لم يخطئ أنه مروان، بل وتأكدت أنه يريد أن ينكرها أمام زوجته، أما هو فكان شريدًا، تائهًا، وكأنه أتى بالفعل من العالم الآخر بشهادة ميلاد جديدة رسمت ملامح أيام ربما لايعلم عنها أي شيء.

بالبهو الكبير.

ما زالوا يقفون بأمكانهم بالبهو الكبير، ينظرون لطرازه الفخيم، والرسومات البديعة المُنمقة المُطلة بدلال، وما يدرون أن تلك الرسومات البديعة المنمقة تتراقص بأوقات، وتئن بأوقات كثيرة ما بين الجدران، وأروقة الطرقات، وكأنها كانت، وما زالت تحاكى ماحدث وما كان، وربما ما سوف يكون، ثم يتقدمهم المحامي، ويسير ببطء شديد، مسترسلًا بمزايدة غير شريفة عليها، وعلى المشتري، وهو لا يدرى أن المشتري ماثل أمام امرأة لا يدرى لماذا لا تريد عيناه الابتعاد عن الغوص في تفاصيلها؛ فتلك التفاصيل يشعر أنه يجهلها، لكن شيئًا ما يخبره أن عينيها ربما تحكى له عنها أي شيء، وكأنه بلحظة صار هذا العائد إليها بحنين جارف يتسرسب رغمًا عنه من بين أحداق عينيه ضاربًا بوجود السيدة التي دخلت معه عرض الحائط، وهى تتأبط ذراعه في دلال شرعي حتى لو لم يكن لائقًا بها.

أما ناريمان فما زالت تتهاوى من هول تدافع الصدمات دون أن يدري أحد بها، وراحت تبحث في عينيه عن إجابات كثيرة لكل ما يدور بعقلها الآن، والذي يخشى قلبها أن يصدقه، أو ربما هو الذي يخشى أن يبوح به أمام

زوجته كى لا تختل كفتى الميزان لتمضي بهم الثواني وتطول كما كانت بينهم بعمر فائت طويل، وقبل أن يتخذ كل منهم مقعده بالصالون الكبير.

يهرب منها قلبها المنهك بالوجع على حالها من قبل أن تطأ قدميه عتباتها ليتناسى هذا القلب كل ما به، ولو لتلك اللحظات التي ذهب فيها إليه، ثم يباغته القلب البريء قبل أن يستريح من عناء المشوار، ويقعد على مقعدها الفاخر، ويبادره بالسؤال "أحقًّا هذه المرأة عنيفة الطلّة، عبوثة الوجه، ذات العيون غير المرئية من خلف نظارة طبية سميكة حجبت عنها روعة جمال الكون زوجتك؟!"

وبحركة لا إرادية منه، ودون أن يدرك أنها الإجابة التي تنتظرها، لمحته ناريمان، وكأنه يهز رأسه بنعم، وكأنها لا تدري كيف اطمأنت إليه، وسافرت معه مرة أخرى على خيال أشواق ربما لم تفتر بعد. تمامًا كما لم يدرك هو منذ لحظات أنه مد إليها جسور أشواقه الهادرة عبر حِضن سلام اختصر الفائت، والمهدر من عمر الأيام بينهما، لتنام ناريمان بكف يده بلحظة غافلت الزمن دون كلام متناسية كل ما كان منه؛ فتتأكد من مجرد لمسة سلام أنه هو، وليس غيره حتى لو كان هناك شيء ما تجهله غير من بعض تفاصيله، لكن نظرة العين بقيت ساكنة بمقلتيه كما ظل تلاقي الأرواح بينهما يخبرهم أنه ربما يكون هناك شيء ما ما زال مختبئًا بمطارح القلب، وما عليهما سوى أن يتكشفا الخبر؛ لتخبر ناريمان عقلها أن يطمئن، فكفتا الميزان ما زالت بخير، ثم يفيقان على صوت جهورى، وعبارات رنانة ذات مصطلحات كبيرة، تشيد

بمميزات الڤيلا الفخيمة، وكيف أنها سوف تكون مكسب رابح للمشتري المحترم الذي بالأكيد يدرك تمامًا قيمة كل ما هو غالٍ ونفيس.

بمرور الوقت.

كان المحامي يعيد ويزيد في سرد التفاصيل لبعض من الوقت مع استعراض مساحة الڤيلا الكبيرة وطابقيها العلويين بغرفات النوم الحالمة المطلة على حديقة كبيرة تتهادى فيها الزهور على الأغصان، وتبيت الطيور تغرد بين أحضان الشجر، ثم يفيض عليهم بمعلومات قيمة عن الزمن القديم الذي بنيت فيه هذه الڤيلا؛ إذ كان أهداها رجل أعمال إنجليزي لزوجته المصرية التي تعرف عليها بالقاهرة أثناء وجوده ببعثة للتنقيب عن الآثار، بعد أن قام ببنائها صديقه المهندس المعماري الإيطالي والحاصل على العديد من الجوائز العالمية، ثم يسترسل في الحديث عن حياة رجل الأعمال الإنجليزي "سير هاري" بالقاهرة، وعلاقته بهذه الڤيلا التي ما انقطعت إلا بعد رحيل زوجته الحبيبة المصرية؛ فقرر العودة لبلده، وبيع الڤيلا؛ لأنهم لم يرزقوا بأولاد ليشتريها منه تاجر مجوهرات، ثم يبيعها أولاده من بعد وفاته، ويشتريها منهم أمجد بيه. هنا تدخلت الزوجة وقالت في حزم:

- على كِده احنا المشترى رقم ٣

فضحك المحامى ببرود وقال:

- طبعًا يا هانم.

ثم أخذا يسترسلان بالحديث بشكل وبآخر عن الڤيلا في حين كان الصمت هو الشيء الوحيد الذي يجمع الآن بين ناريمان ومروان، وطمعًا في الحصول على العمولة كاملة من كليهما، ظن المحامي المخضرم أنه افتتح الجلسة بكل هذا الإسهاب في الحديث عن الڤيلا، وكأنه في مزاد علني، وما أدرك أن العاشق العائد لو أنه كان يمتلك ناصية الحلم لأتى يشتري كل لحظة من سنوات الحب التائه رغمًا عنهما بأعلى سعر.

وها هي دكتور مديحة تنتظر أي رد فعل إيجابي من زوجها تجاه ما تحدثت عنه منذ دقائق، وما أتوا من أجله دون جدوى؛ فأخذت تهذي مع نفسها بهمس بتلك الكلمات، أهكذا يتركني مروان أتحدث مع الرجُل الغريب؟ حتى لو كان هذا الغريب هو المحامي الذي أتى بنا إلى هنا. قطعًا لا يصح أن يظل زوجي شريدًا هكذا، وكأنه ليس موجودًا بهذا المكان، ثم ظلت تنظر إليه في غيظ مستتر نظرة المتجبر الآمر الناهي بالفائت والآتي من عمره المسجون لديها، وعلى شفتيها تقتضب الكلمات التي تريد أن تفرمنها لتلعنه.

شأنها كأي زوجة ترى زوجها مستسلمًا لنظرة عين حائرة من امرأة أخرى كنظرة صاحبة الڤيلا إليه، وهو لا يعير ما أتى وزوجته لأجله أي اهتمام ليبقى مروان على هذا الحال لبعض الوقت شريدًا تائهًا أمام عيون تلك المرأة، وتبقى زوجته في حالة غليان لا يهدأ.

وما أدركت مديحة أن مروان زوجها توقف للحظات أمام عيون تلك المرأة لشيء ما؛ فهو لم يتوقف بعينيه أمام تلك المرأة الجميلة ليتغزل فيها، بل توقف لشعور ما؛ ربما أراد هذا الشعور أن يجبره بأن يعود لزمن ما لا

يدركه، ولايدري لِم تتراءى أمام عينيه صورته مع شباب وفتيات بمكان فسيح لا يعلم عنه شيئًا؛ فيغمض مروان عينيه بيديه لهنيهة، ويطأطئ رأسه لأسفل كى يلملم شتاته، ثم يحاول أن يرفع وجهه، ويفتح عينيه ليجد قلبه يقف له بالمرصاد بأن يغلق الباب أمام عقله الذي يجرجره إلى هنا للاستحواذ على تلك الصفقة؛ تلك الصفقة التي ربما يتجنى بها على هذه المرأة التي يراها، وكأنها ظلال لامرأة مكسورة على عتبات قلبه الذي لن يخدعه ليحتار، ويخشى شعورًا داهمه بألا يظلم هذه السيدة صاحبة هذا المكان لمجرد أن يلبي رغبة زوجته التي تسترسل الآن مع المحامي في الحديث عن شراء الڤيلا؛ فغالبًا تلك المرأة أجبرت على التنازل عن مملكتها لشيء ما لا يدركه، لكن حدثه يؤكده، وقبل أن يحاول أن ينهي هذه الصفقة، وهذا الموقف الذي صار بمرور الوقت لا يدرى لمَ هو بهذه القسوة على قلبه، وأنه على الأرجح سوف يعذبه كثيرًا لو أنه كسر قلب تلك المرأة، واحتل جنتها هو وزوجته.

تنهض ناريمان تاركة مكانها لتهدأ بمشاعرها المتخبطة بعيدًا عنهم جميعًا بعض الشيء؛ فتتركهم وتنشغل بشيء ما، شيء ما بعيد عن أعين المحامي الأفَّاق، ودكتور مديحة الزوجة المستبدة، واللذين التفا حول أنفاسها حتى كادا يخنقاها.

شيء ما ربما يخرجها مما تشعر به من سلبية تجاه هذا الزوج وشروده؛ فما يحدث الآن منه يجبرها على أن تتناسى مروان، وما حولها من ناس لا تعرفهم؛ فتلك المحاولة التي تقوم بها دكتور مديحة بأن تبادر كأي زوجة متسلطة بتكملة الصفقة الرابحة قبل أن تضيع منها تمامًا، لتكمل حديثها

مع المحامى الأفَّاق عن شراء الڤيلا؛ كى تفوز هي بتِلك الجنة، وتحرم ناريمان منها، لتعاود دكتور مديحة الطرق على وجه أيام ناريمان، وكأنها أتت لتتآمر، وفوضى العناء عليها؛ لتحرماها من جنتها؛ فما بالها بعد أن رأتها الآن تتنازل عن كيانها بكل هذا الانكسار الواضح من نظرة عين ونبرة صوت، وما زالت تملك كل هذا الفيض من هدوء النفس، ورواء الروح الذي تحكي عنه كل تفصيلة بملامحها فر إليها زوجها، ولم يعد حتى تلك اللحظة، وها هي دكتور مديحة تحادثه بحزم ليعود، وكأنه ما زال هناك؛ فينتبه مروان أخيرًا أن زوجته تحادثه؛ فيحاول أن يلملم شتات روحه، ويركز فيما تقول، ثم يجيبها بأنه يحتاج بعض الوقت للتفكير بأمر شراء هذه الڤيلا، وكأنه أراد أن يأخذ المحامي من يديه، وزوجته ليرحلوا جميعًا، ويعُودوا من حيث أتوا تاركين ناريمان لحالها.

بعد وقت قليل.

تأتيهم ناريمان، وتتقدم نحوهم بعربة الشاي؛ فينظر مروان لعينيها ثانية، وهى تقدم إليهم الشاي بالنعناع كواجب للضيافة، وما أن اتجهت نحوه وقدمت له كوب الشاي الخاص به، وإذ بيده تلامس يدها بعفوية ليجدها حقيقة لا خيال، فيعُود معها لشعور ما، وكأنه ما زال هذا الشريد منذ السنوات البعيدة؛ فلايدرى أين كان شريدًا، وكيف عاد؟ ولِم يسيطر عليه هذا الشعُور الآن ؟

وكأن شيئًا ما لا يدريه سرق منه العُمر بلحظة؛ فهل يستطيع أن يسترده الآن؟ ثم تضيع منه الصور التي لا يستطيع تجميعها وتتقطع المشاهد سريعة من أمام عينيه، أما هي فتذكرت الآن أنها زوجة، وأم بموقف عصيب لا تحسد عليه ليفيقا على صوت زوجته، تقول له، وهى متوترة جدًّا:

- مروان، المفروض اننا جايين المشوار ده كله عشان نشترى الڤيلا النهاردة، ونرجع على طول، ومتفقين على السعر، وكل شيء بعد ماشفنا كل صورها، عايزة أعرف حالًا ليه أنا حاسة أنك متردد، وممكن جِدًا ترجع في كلامك؟!

وقبل أن يرد بكلمة واحدة تقطع عليه خط الرجعة وتقول:

- احنا خلاص يا مروان هانشتريها لأنها عجبانى.

يطول صمت مروان جِدًّا، وهو غير مُدرك ماذا تفعل زوجته، أو ماذا تقول؟ فتنظر إليه بتجبر شديد، وهى في حالة لا يرثى لها، غير مستوعبة الحالة التي ترى عليها زوجها، ودون أي رد فعل من مروان تجاهها تحاول أن تصل إليه بنظرة صادمة من عينيها؛ علَّ رسائلها تصله قبل أن تقلب هذه الجلسة لجحيم لا يطاق، وهى لاتدرى أن ناريمان تتقوقع بينهم كزهرة بنفسج حزين أسدلت أوراقها على غصنها الندي، وراحت تغط في سبات عميق منذ أن فاح لمروان شجن عبيرها؛ ربما ليخبره ذاك الشجن أنها قابعة بهذا الركن من الصالون الفخيم تنتظر من يزيل كل هذا الحزن عن كاهل زهر البنفسج، ثم يتدخل المحامي المخضرم الذي افتتح الجلسة منذ وقت ليس بالقليل، ولا

يريد أن ينهي مزاده قبل الفوز بإتمام الصفقة، خاصة بعد أن تكشفت أمام عينيه خبايا النظرات الحائرة، ما بين مروان وناريمان، والتي لن يشغل باله بها الآن، وأرجأها لأوقات لاحقة؛ فكل ما يهمه في تلك اللحظات الحاسمة هو ألا تضيع عليه هذه الفرصة الثمينة؛ للفوز بالعمولة من الطرفين، فيقول في دهاء، وقبل أن ينطق مروان بكلمة واحدة:

- خير، خيريا مروان بيه، ممكن حضرتك تسمعني؟

فيرد عليه مروان في هدوء وأدب جم:

- اتفضل أستاذ رأفت.

ليتحدث رأفت بوجه زائف البشاشة، ولغة مستكينة شديدة الهدوء:

- احنا جايين هنا للخيريا أفاضل، وحابين نمشي من هنا باردوا والجميع بخير. سؤال ممكن تتحملني فيه مروان بيه.
- اتفضل.
- ممكن أعرف حضرتك غيرت رأيك ليه؟

يتلعثم مروان لهنيهة، ويحاول أن يلملم شتات مشاعره التي لا يدرى لِم بُعثرت على عتبات تلك المرأة التي يريد أن أن يعرف منها أولًا قبل أن يقرر موقفه من الشراء إن كانت هذه المرأة راغبة بالفِعل ببيع بيتها أم لا، فيقول:

- أبدًا، مجرد أخد فرصة أكبرللتفكير.

- أكيد حقك تاخد فرصة للتفكير على الرغم من ان حضرتك قبل مانيجي هنا فهمت من ردود أفعالكم الطيبة، واحنا بالسيارة إنك أخدت فرصتك كاملة مع المدام في التفكير.

ثم ينظر نظرة مراوغة، وبعينين زائغتين يضع وجهه في الأرض، ويتصنع أنه يستقيم بهدوء بجلسته على مقعد الصالون الفاخر، ويقول في مكر:

- إنما لو حضرتك في حاجة تانية مُحرج تقولها ده وضع تاني، وما اقدر أبدًا اتدخل فيه.

تتدخل الزوجة بالحديث كى تضع مروان في موقف حرج، ويتم لها ما أرادت، ويشتري لها الڤيلا محاولة أن تتكلم بنبرة هادئة إلى حد ما، وتقول:

- أعتقد يا مروان ما في شيء يستدعي انك تكون محرج منه، وانا ما اعرفه.

فيرد عليها بحدة:

- أكيد طبعًا دكتور مديحة.

ثم ينظر إليها في اضطرار، ويقول:

- انتى عايزة الڤيلا دى.

فترد عليه بكيد أنثى وتقول:

- بالحقيقة مش انا لوحدى يامروان، بنتك ياسمين من لحظة ماشافت الصور، وهى هاتجنن عليها.

ينظر مروان ناحية ناريمان، وكأنه يستدعيها لتوقف هذه المهزلة، أو تفعل أي فعل جنوني كأن تقوم مثلًا بطردهم جميعًا من جنتها، ثم تغلق بابها عليها، وتهرع إلى أعلى، تأخذ حمامًا دافئًا تغسل به هذا الكم الهائل من فوضى العناء، والهموم التي راحت ترتع في شراسة على أكتاف أيامها كما أخبرته عيناها منذ أن أتى.

(٣)

رنات الهاتف.

ظنت ناريمان أن تلك الرنات سوف تنتشلها من غيم ثقيل أحتلها، وهى بينهم؛ فتخيلت متناسية نغمات الرنات أنها رُبما يأتيها صوت أمير مرة أخرى ليختطفها من هنا بسُرعة، لكنها تصطدم بصوت أمجد الذى يوترها أكثر، وأكثر، وهو يسألها بمنتهى العصبية، فيما كل هذا التأخير؟ ثم يستطرد سائلًا عما يحدث عندها، وبكُل تبجح يتعجب من سكوتها، وعدم ردها على كلامه؛ فصار يلعن، ويصب غضبه عليها بمنتهى السفه، والغرور؛ لأنها لم تبلغه حتى الآن بإتمام الصفقة.

تتحرج ناريمان أمامهم، وهى غير مستوعبة ما يحدث منه، فلم تجد رد عليه،، وإذا بها تريد الخلاص منه؛ فتعطي الموبايل للمحامي، متعللة بأن أمجد يريد الحديث معه، وهى في منتهى الدهشة، والحيرة من أمره، ومن هذا الموقف الذي تعمد أن يضعها فيه، ليرد المحامي عليه بمُنتهى البرود، والثقة المصطنعة، ويقول:

- أهلًا، أهلًا أمجد بيه، آسفين على تأخيرنا عليك يافندم؛ الوقت أخدنا في أمور بسيطة، وستنتهي على خير الليلة بإذن الله.

ينظر مروان أثناء المكالمة إلى ناريمان نظرة علَّها الأخيرة، والتي لا يدرك لها سبب، ثم يقول في نفسه علَّها تعطيه، ولو لمحة بأنها راضية عن بيع الڤيلا، ليجدها تبتسم بلطف، وهى تغلق الخط مع أمجد بعد أن

أنهى المحامي كلامه معه؛ فظن أن البيع يتم برضاها، وأخذه خياله أنه ربما سوف يشترى لها زوجها قصرًا أروع من تلك الڤيلا، وأخذ يلوم نفسه على أن طريقة تفكيره ربما صارت محدودة للغاية، وهو لا يدرك أن ناريمان تعمدت أن تتصنع تلك الأبتسامة؛ كي تظهر عدم الاكتراث لأمر البيع، وكذلك عدم الاكتراث له، من بعد أن لملمت شتات ذكرياتها معه، وأدركت أنه تعمد أن ينكرها. أما حقيقة الأمرين فكانت غير ذلك تمامًا، وظلت تذكر حالها بأنها زوجة، وأم لاتملك رفاهية امتلاك لحظات الذكريات مع مروان كى يمر هذا الموقف القاسي عليها الليلة بسلام.

بعد لحظات.

يريد مروان أن ينهي الموقف سريعًا؛ فلم تعد الظروف تحتمل وجودهم أكثر من ذلك مع امرأة لا يدري أي شيء هذا الذي تركها زوجها من أجله وحيدة بهذا الموقف إذ اكتشف مروان بمرور الوقت وليس من بداية دخوله جنتها أنها وحدها بلا جليس، ولا ونيس؛ فهو لم يرى غيرها بهذه الڤيلا الكبيرة القابعة على أطراف المدينة، ليوافق مباشرة على شراء الڤيلا، وتوقيع العقود، ثم يخرج شيك بنكي ليضعه بيديها بمنتهى الود، ويشكرها على مدى لطفها، وتحملها لهم كل هذا الوقت، ويودعها بشكل خاص بابتسامة رقيقة متنميًا لها مكانًا أجمل؛ فتطوى لوعتها منه، وآلامها مما يلم بها، وتشكره بكل لباقة على لطفه، وكرم أخلاقه وتودعه، وتودع زوجته متمنية لهم حياة سعيدة بالڤيلا، فترد عليها زوجته بضحكة بلهاء متصنعة بعد أن أضاعت

الغيرة التي أكلت قلبها من ناريمان جزءًا كبيرًا من فرحتها بتوقيع زوجها لعقد شراء الڤيلا؛ إذ تعي مديحة نفسها جيدًا، وتدرك أنها شديدة الغيرة علي مروان، وبخاصة أنها -ولأول مرة- ترى زوجها يتعامل مع امرأة بهذه الطريقة.

في تلك الأثناء كان المحامي متواصلًا على الموبايل مع أمجد يطمئنه، ويهنئه بتمام البيع بالمبلغ المتفق عليه، ثم يذكره بضرورة توقيع مدام ناريمان على شيك بالمبلغ الخاص به؛ عمولة له كان قد تم بينهم قبلًا الاتفاق عليها، وها هو رأفت المحامي يعطي ناريمان الموبايل كي تحادث أمجد؛ فتمسك ناريمان الموبايل بقلب مهزوم ويد مرتعشة، لتجده يأمرها بصوت غليظ غلظة قلبه القاسي أن توقع على الشيك للمحامي على أن تضع صباحًا بحسابه البنكي مبلغ بيع الڤيلا كاملًا، ثم يغلق معها الخط دون كلمة شُكر على وقوفها لجانبه، أو همسة أمان يخبرها بها أن القادم من الأيام خير لهم ما داموا معًا، كأي رجل طبيعي تستوقفه لحظة مواساة بمثل هذا الموقف القاسي على أي زوجة سواء كانت تسكن بڤيلا وتفترش الحرير، أو ببيت متواضع تفترش الحصير، أو معتذرًا عن هذا الموقف المؤلم الذي وضعها فيه وحيدة بعد أن ضحت براحتها في مملكتها لأجل إنقاذه من ورطته المالية بالموافقة على بيع هذه الڤيلا، والتي تعتبرها ناريمان جزءًا لا يتجزأ من كيانها.

بالبهو الكبير.

ما زال الجميع يقف بعضهم مشتت الفكر بضياع الحلم، والبعض الآخر غارق في نشوة تحقق الأماني، وقبل خروجهم من الڤيلا

يودع المحامي ناريمان، ولأول مرة يمسك بيدها بطريقة غير لائقة؛ فتشد يدها من بين يديه بعنف، ثم تنظر إليه نظرة احتقار يستحقها زلزلته من مكانه فخرج متخبط القدمين، أما دكتور مديحة، فتخرج مهرولة بصحبة زوجها، وهى متأبطة ذراعه مرة أخرى بصورة غير عادية، أكثر استحواذًا من سابقتها، وها هي تتعجل الخُطى، ويسيطر عليها شعور غريب، وكأن زوجها مروان سوف يدخل الڤيلا مرة أخرى لناريمان، ويغلق عليهما الباب، ويطردها خارجها شر طردة.

بعد خروج الجميع بوقت قليل.

تزيح ناريمان عن شعرها الإيشارب الأسود الذي تمنت أن تزيح معه عنها فوضى العناء التي فُرضت عليها، وهى تستند بظهرها على باب الڤيلا بعد أن أغلقته عليها بالمفتاح، وكأنها تريد أن تغلق صفحة هذه الليلة بكل ما فيها؛ فتحاول أن تنشغل بشيء ما، وتمضي عائدة ناحية الصالون وهى شريدة، مطبقة اليدين على لا شيء وسط كل هذا الفراغ الموجع، والقابض للروح، ليباغتها بصورته، وصوته؛ فتطرد طيفه سريعًا عن مخيلتها، فكيف لها ان تسمح لمن أنكرها بمعاودة الاحتلال؟! ثم تذهب لتُلملم الأكواب الكريستال

الفارغة من كل شيء عدا أوراق النعاع الأخضر التي تبقت، لتضعهم على عربة الشاي.

تسير بهدوء إلى المطبخ، وقبل أن تضعهم بغسالة الأطباق تدرك أن الأمر لا يستحق؛ فتقف لتغسلهم بيديها، وكأنها تحاول أن تنفض عنها كل ما كان، وها هي تارة تعتذر لأيام عمرها التي جرت فيها عليها المقادير بكل ذلك، وتارة أخرى تلوم حالها؛ لأنها لم تستوعب الدرس جيدًا بعد كل هذا العمر؛ فلم تكن ناريمان تدرك أنه إلى هذا الحد يظل طبع الليالي هو عدم الأمان، والغدر.

أمام الشيلا.

منذ قليل ودع مروان المحامي الأفَّاق بعد أن أعطاه الشيك الخاص بعمولته، وذهب كل منهم ليستقل سيارته.

داخل الشيلا.

تنتهي من غسل الأكواب، وتضعهم بعناية فائقة بأماكنهم، وكأن هذه الليلة مجرد ليلة عادية حرصت فيها كصاحبة لهذا الكيان على تنظيف كل ركن به داسته أقدام الغرباء وتنظيمه قبل أن تخلد للنوم، وقبل أن يأتيها الصباح بأي عبء جديد، ثم تجفف يديها بالمجفف الكهربائي العالق بالحائط. تنتهي لتغلق إضاءة المطبخ، وتغلق وراءها الباب.

تمُر لتطفئ أضواء البهو الكبير، تاركة المصباح النحاسي يداعب بضوئه الخافت أطراف ثوب نهار آتٍ مشوش الرؤية، وبخطوات حزينة تخطو لتصعد الدرج الرخامي، وبالكاد ها هي تصل لغرفتها، فتخلع عنها فستانها الشيفون، وتتحرر من حذائها الأسود الأنيق، ومن كل ملابسها التي كانت ترتديها منذ الصبا، ثم تفتح بهدوء باب الحمام الداخلي لغرفة النوم، وتمسك بعبوة الشاور چيل المعطر برائحة الورد الذي تفضله لتنثرها على جسدها، وتغرق بالچاكوزى بعد أن ملأت جوانبه رائحة الورد؛ فتغفو لحين لتظل مغمضة القلب على تِلك العيون الناعسة في بحر من عسل، ربما يزيح العناء عن كاهل الجسد، ويزيل ذاك الشجن الساكن ببراح الروح؛ فتشفى الجراح.

طريق المقطم.

منذ أن دخل مروان سيارته أدرك أن أمنيته الوحيدة التي حلم بأن يحققها بلحظات العودة لبيته ضاعت منذ أن سمع صوت مديحة؛ فقد ظن مروان أنه سوف ينعم بقدر ولو ضئيل من الهدوء بعد أن ودع هذا المحامي الأفَّاق السمج، وتمنى عند عودته لسيارته أن تكون مديحة نامت لتستريح، ولو لبعض الوقت من حالة الغليان التي ظلت تصاحبها منذ أن رأت صاحبة الڤيلا، وليستريح هو الآخر منها، ويستطيع أن ينعم ببعض الهدوء، ويستمع للمقطوعة الموسيقية Love Story، التي لا يحب سواها، لكن حلم مروان ضاع بعد أن وجد زوجته تثرثر عبر الموبايل مع أختها بطريقة مبالغ فيها عن الڤيلا التي وقعوا عقدها الآن، ليعترف بمُنتهى الواقعية أن زوجته لن تتغير

أبدًا بعد كل ما سمعه طول الطريق منها أثناء المكالمة التي من الواضح جدًّا أنه لم يكن يغمض لها جفن قبل أن تجريها مع أختها لتشعرها بالدونية كما اعتادت.

يحتار كثيرًا مروان في أمرها الذي لم يجد له دواءً يشفى؛ فمرض التعالي على كل عباد الله بما فيهم أختها الوحيدة صار شيئًا لا يطاق، فكتم غيظه منها، وحاول أن يلقي بكل هذا وراء ظهره، ورغمًا عنه وجد نفسه أثناء سيره بالطريق الطويل تأتيه صورة صاحبة الڤيلا لتخطو أمام خيال القلب، وصوتها الذي ظل يصحبه بالكلمات القليلة التي خرجت من بين شفتيها، وكأن هناك شيئًا ما يجعله يشعر بأن كل تلك المشاعِر التي تجذبه رغمًا عنه إليها الآن، كان قد شعر بها قبلًا، وربما بوقت لا يدركه، ليفيق مروان على صوت زوجته تُخبر أختها أنهم وصلوا لمنزلهم بالمقطم.

داخل الڤيلا.

ما زالت ناريمان تغفو بعينيها بالچاكوزي، أما العقل والقلب اللذان كانا يعيدان ترتيب حساباتها مع الأيام، بدآ من هذه الليلة؛ فتعاود الوقوف على لوم نفسها لأنها لم تعِ الدرس الأول ببدايات حياتها، ولم تتعلم منه، والدليل هو تعاملها مع مروان بكل هذا التقبل والخضوع، لتكتشف أنها ظلت حتى الثواني الفائتة كما هي بكل براءتها معهم جميعًا، لتشتد باللوم على نفسها، وتوبخها علَّها تفيق من سذاجتها التي لا يجب أن تتسم بها سلوكيات امرأة بمثل عُمرها، وكان لها كل هذا القدر من التقدير بين زملائها على مستوى

العمل، بل وتتمتع بهذا القدر الكبير من الفِكر المتزن، والعقلية المرتبة كما كان، وما زال لوقت قريب يقال عنها، ويشيد بهذا الجميع، فكيف لهذه البراءة التي تُطيب بها خاطرها الآن أن تكون هي ذاتها السبب مباشر في أن تضع نفسها بالمنطقة الخطأ؟! أليست هذه البراءة هي التي جرأت عليها هذا المحامي السخيف؟!

فهناك احتمالية كبيرة جدًّا أنه التفت لتلك النظرات الحائرة التي كانت بينها، وبين مروان، وفسرها بخياله المريض على أنها نظرات هائمة بين امرأة وحيدة منفلتة، ورجُل غريب عنها، وربما ذهب به خياله المريض لأبعد من ذلك، وراح بخبثه يظن بها ما هو أسوأ، وإلا لما تصرف معها بهذا السلوك الدنيء، وهو يهم بالخروج من بيتها بحجة أنه يسلم عليها ليداعبها بيديه القذرة بكل تبجح، وصفاقة، وكأن هذه الليلة أتت بكل ما فيها، لتفيق ناريمان، وأنه بالرغم من أن هذه الليلة بالذات كانت الأشد ضراوة، وقسوة عليها من كل ليالي العمر الفائتة، إلا أنها كانت الدرس الأعظم، ثم تخرج من الحمام ملتفة بالبشكير الأبيض لتجلس أمام المرآة؛ تُصفف شعرها المسافر عبر مسارات أحزان لم تخلُ من هفهفات ليالي صيف ساخنة.

دقات الساعة الثانية عشرة ليلًا.

كل شيء صامت بالثيلا، حتى صار كل ما بها يشبه جدرانها الساكنة بأحضان ليل ظل يجثم على أنفاسه اشتياقه لطلعة نهار، ولكم تدلت من الشرفات زهور الياسمين، وهى تبكي في أنين حزين، لكنها قط لم تحجب يومًا

لونها الأبيض النبيل، حتى وإن ظل الياسمين بعيدًا، بعيدًا، قابعًا بكل هذا الحزن على أطراف المدينة.

تتأمل ناريمان هذا الصمت المطبق على أنفاس الحياة، وتتذكر أن صوت دقات الساعات الذي تركته منذ وقت قريب يدوى عاليًا ليملأ فراغ أركان الجدران الصامتة كل حين.

صار هو الشيء الوحيد الذي يعود بها إلى الوجود على الرغم من استشعارها أن هذا الصوت صار مخيفًا أحيانًا، أو لعله ملهم بالحذر أحيانًا أخرى، لكن أقسى دقات الساعات حين يهجر الأحبة الأماكن.

تترك ناريمان مقعدها أمام المرآة، وتمسك بالموبايل لتحادث أمير كما وعدته، ليرد عليها أمير بصوت حائر مهزوم؛ فتبادره بكلمات تنبع من قلب أُم حانية تمسح بها عن قلب ابنها الوحيد، ما ألم به بالساعات الماضية من فوضى العناء لتجبر كسره، وتعود به قوى كما كان؛ فتفتح له قلبها لأول مرة، وتستدعي رجولته مُعلنة له بكل صراحة أنه صار سندها الوحيد بالحياة بعد هذا الكم الكبير من هزائم والده المتتالية لهم، فأوضحت له ما حدث الليلة معتذرة أنها لم تخبره عن قرار والده ببيع الڤيلا من قبل، وأنها ظلت ترجئ هذا القرار بكل ما أوتيت من قوة حتى ينهي اختبارات السنة النهائية على خير، ثم أخبرته عن استئجار أمجد لهم ڤيلا أخرى سوف ينتقلون إليها مُحتفظة بإحساسها الخاص الذى سيطر عليها اليوم، وبرأيها فيما سوف يفعله أمجد معهم لتخبره بأنها واثقة من قدرتهم على تخطي أي شيء مهما بلغ أمره بمُنتهى الشجاعة ماداموا معًا.

وفى محاولة منها أن تخفى عنه هذا الشعُور الذي يحتل قلبها بأنها غير مُطمئنة لِما سوف تحمله الأيام القادمة على الرغم من عدم فيضها معه بالكلام أحثته على تكملة مشواره، وأخبرته أنها سوف تتواصل مع صديقة طفولتها المقيمة بإنجلترا، والتي من الممكن جِدًّا أن تساعده في إيجاد فرصة عمل مناسبة ل؛ لأنها تريد أن يضع قدميه على الطريق الصحيح بخطوة عملية، وما أخبرته أنها بحقيقة الأمر تريد أن تؤمنه مع القادم من الأيام، ثم تطلب منه أن يسامحها على حدية حديثها بالمكالمة السابقة، ويعذرها لو أنها أربكته الآن، حين فاجأته بكل هذه الأحداث دفعة واحدة؛ لأن المقصد أولًا، وأخيرًا ترتيب الخطوات اللازمة لنجاح مستقبله، والذي لا تحرص على شيء بهذه الدنيا قدر حرصها عليه، ليلتزم أمير الصمت، والبرود المتناهي حتى انتهاء المكالمة بوداع أمه.

لندن.

بشقة صغيرة بضاحية من ضواحي لندن يقطن أمير. أمير، شاب صغير مقبل على الحياة بكل عنفوانها، وطموحها، لم يأخذ من ناريمان سوى بعض الملامح المميزة؛ فتلك العيون الحالمة أحيانًا بأمسيات هادئة دومًا، والتي تشتاق لشيء ما لا تدريه، هي عيون ناريمان، وهذا الوجه المسكون على جانبيه ضوء شمس النهار يشبه كثيرًا وجه ناريمان.

كان هذا كل ما ورثه، وأخذه من أمه مع بعض من مبادئ غرستها بتربيته، قلما تجد ناريمان في السنوات الأخيرة أنه يثابر في المحافظة علي

بعض منها، أما هذه النظرة الحادة غالبًا، والطول الجاذب للنظر، والشعر الناعم الأسود، المسافر على أتفه الأسباب مع دوامات غضب صاخب كانت موروثات أبيه.

يعترف أمير أن الخطأ للأسف عنده، في لحظات الغضب التي تأتيه دون سابق إنذار. كان يحاول أن يتمسك بشيء ما من تربية ناريمان له، كبعض المثابرة، والمنطق في الحكم على الأشياء؛ لأنه يعلم أنها كلها أشياء ضرورية جِدًّان بل أنه يدرك أن تلك الأشياء المهمة تعود عليه بالفائدة قبل أي أحد، لكن هيهات.

فيتوقف أحيانًا مع نفسه حين الغضب، ويوبخها، لكن الغريب بالأمر أنه يتوقف تلك الوقفة بعد أن يكون أطلق كل أعيرة نار الغضب؛ فتجده بعد مكالمة أمه، ومصارحتها معه؛ كي يصبح على قدر مسئولية الموقف أغلق الهاتف ليعلن أنه يستشيط غضبًا من أبيه، ومن الوضع الذي فرض عليه؛ فأخذ يروح ويجيء بالشقة، يركل بمقاعد السُفرة حتى أوقع جميعها على الأرض.

ثم ها هو يحاول أن يتظاهر بالتماسك، ويهدأ، وبخاصة أنه لم يكُن يملك وقت المكالمة مع أمه، سوى أن يهدئ من روعها بالصمت الذي التزمه؛ لأنه استشعر، ولأول مرة أن أمه صارت بلحظات ورقة هشة ضعيفة كاد يقلقها المستقبل، ويطيح بها على طرقات الأيام.

رغم حرصها أن يبدو صوتها قوي، ومُحفزله على تخطي الأزمة إلا أنه ما زال لديه بعض من إحساس يشعره بأمه، متذكر أنها أغلقت معه الهاتف على أمل أن القادم سوف يكون خير بإذن الله، لكنه لا يظن ذلك.

داخل الڤيلا.

تضع ناريمان الموبايل لجانبها، ثم تحاول أن تستدعي النوم الذي فر منها منذ ليالٍ كثيرة، ولا تعلم إلى أين ذهب؟! فكل ما تعلمه أن نومها صار عزيز المجيء، ثم بعد محاولات مضنية يجيء؛ فتغفو بعينيها قليلًا.

صباح باكِر.

تصحو ناريمان من بعد ساعات قليلة زارها فيها نوم متقطع لم يهنأ لها بال معه لتفيق، وهي لم يفارقها بعد صوت هذا الرجُل العجوز ذي الوجه الأبيض، واللحية البيضاء، والجلباب الحريرى الأبيض، وهو يردد تلك الكلمات التي ظل يرددها قلبها مرات، ومرات.

هل من قارئ تائب قلبه؟ ليبعث في الأرض أسمى رسالات الأنبياء. هل من قارئ تائب قلبه؟ ففى الأُفق تلوح رسائل تحملها إلينا السماء.

تفيق على الكلمات، وعلى ضي نهار لا تعلم ماذا تحمل دقاته بعد، لتتكئ بيديها على سريرها ذي الطراز الروماني المصنوع من الخشب الأرو موسيڤ.

تتكئ ناريمان كما كان يتكئ تمامًا الرجُل ذو اللحية البيضاء بيد على عصاه المصنوعة من العاج الأبيض، وباليد الأخرى كان يمسك بمسبحة نورانية يتدلى منها اللؤلؤ الأبيض، يُسبِح بها الرجُل العجوز، تسابيح مطمئنة للقلب ليل نهار، وكأنه لا يزال موجودًا أمام عينيها هائم بملكوت الله.

تفيق ناريمان أكثر، وأكثر لتتذكر أن المسبحة التي كانت حباتها مصنوعة من اللؤلؤ الأبيض لم تخلُ أي حبة لؤلؤ بها من اسم الله اللطيف، ثم تنظر حولها فلا تجد أحد؛ فتذكر في نفسها وتتمتم باسم الله اللطيف، وتتذكر أنها وحيدة بهذه الدنيا فلا يد تلامس كف الأيام، ولا شفاه باسمة تُقبل معها جبين العمر، لكنها تحاول أن تبقى مُطمئنة.

تتنهد، وهى تلامس مفرشها الحريري الأبيض الذي كان أجمل هدايا أُمها لها كما أخبرها والدها قبل أن ترحل، وهى طفلة صغيرة؛ فتسكُن روحها، وتهدأ بعض الشيء، وهى ما زالت تردد اسم الله اللطيف؛ لتطمئن أكثر.

بمرور بعض الوقت في المطبخ

دقات الساعة تعلن العاشرة صباحًا.

رنات موبايل ناريمان.

تنتبه لصوت رنات الموبايل، فتترك كوب الشاي بالنعناع على الطاولة جانبًا، وترد، ترد على الطرف الآخر، متمنية أن يُخبرها أن كل ما كان بليلة الأمس كان مجرد حلم سخيف، أو ربما كان كابوس أراد أن يمزح معها أو يخيفها به، وأنه لن يطاوعه قلبه أن يطبق عليها أنفاس الأيام، لتجد أمجد يلطم وجه أيامها بعنف، ثم يلقي بها مرات، ومرات على طرقات فوضى العناء، وبصوته القاسي يستحثها بضرورة الذهاب للبنك، وصرف الشيك، وإيداع المبلغ بالكامل بحسابه.

كانت نبرات صوته كالعادة قاسية على الرغم من أنه يُحادثها بلطف غير مُعتاد، لكنها تحاول ألا تستسلم له، ولأوهامها، فَتستوعب درس ليلة الأمس العظيم.

تعترف أنها لن تعد تأمن له، ولم تعد تهتم بما سيحدث منه، لأن تجربة السنوات علمتها أن أمجد بالأخير يفعل ما يريد؛ فتوافق، وتغلق الموبايل وهى حزينة على حالها، وعلى هذه الحيرة التي باتت ترتع بمطارح أيامها منذ أن عاشت أيام أمجد التي ظل يفعل فيها ما يشاء دون أي التفاتة شعور بها.

تعلم ناريمان أنها تنازلت منذ زمن فائت عن أي مساندة تحتاجها أي امرأة، ولم تعد تنتظر منه أي تصرفات حانية تطيب بها خاطر الأيام، لتعاود

ارتشاف الشاي بالنعناع، وهي تودع ورودها من نافذة المطبخ التي فضلت أن تكون ذات زجاج مُلون بألوان فرح لم يكُن من نصيبها أن يزورها بأي يوم.

ظلت ناريمان تنظر لأعواد النعناع الأخضر، وتتذكر أنها زرعتها لسنوات، وسنوات، وها هي ما زالت باقية كما هي لم ترحل عنها كمن رحلوا.

إذ إنه ما زال النعناع الأخضر يحتضن بود جميل اللحظات الحرجة الآتي بها هذا الصباح، وتلك اللحظات التي كانت أشد حرجًا، وقسوة التي رحل بها مساء الأمس، لتغفو، وتصحو أمام عينيها أوراق النعناع الخضراء بأمان تفتقده ناريمان على جانبي نافذة المطبخ الكبيرة، ذات الزجاج الملون، والمطلة على الحديقة.

تنظر إلى حديقتها فتجِدها، وكأنها شعرت بحالها فبدأ الخريف يزحف ليحتل الأيام الصيفية التي كان يتبارى فيها العُمر هُنا على شواطئ أُمنيات كثيرة للأسف لم يتحقق منها أي شيء، ثم دون مُقدمات تأتي تلك الموجة الحارة لتتساقط الأوراق بسُرعة البرق، وتحترق ورقة تلو الأخرى، على الرغم من أن المشهد ما زال يوحي للآخرين بأن الورود، والزروع ما زالت بخير، رغم كل هذا الكم الذي عانته قبلًا من فوضى العناء، والذي صار رغمًا عنها ودون أن يراه أحد رفيق الأيام.

لكن ناريمان هي الوحيدة التي ترى، وتدرك أن حديقتها الغناء رغم كل الأشياء الموجعة، لم تكُن بهذا الذبول الذي تشعُر بأنها تراها عليه الآن؛ فتضحك في مرارة عيش لم يرَ منه القاصي أو الداني لمشوار حياتها غير تلك الصورة الحلوة شديدة الزيف، ثم تفيق لتقف تاركة الطاولة، وتنظف

الكوب الذي كانت تشرب فيه الشاي، لتترك المطبخ، وتسير بين جنبات بيتها الكبير، وكأنها تريد أن تودع كل ركن عاشت فيه، وعاش فيها قبل أن ترحل.

على جانب باب البهو الكبير للڤيلا.

كانت حقيبة ملابس ناريمان هي الشيء الوحيد الذي بقى معها، ينتظرها حتى يرحلوا معًا. تتوقف بمنتصف البهو الكبير ليلامس قلبها المكان الأقرب لهدوئها النفسي، فتستند على ذاك العمود الذي ما زال يحتضن البهو بأكمله.

تنظر إليه، تبتسم له قبل أن تودعه، ثم تتمتم بتراتيل كانت، وما زالت تُطيب معها وبها الأوقات؛ فتذكر الله بأسمائه الحسنى التي ترافق الروح أينما رحلت، وتطمئن القلب؛ فتتذكر رجل الحلم ذا اللحية البيضاء وتتمتم باسم الله اللطيف.

بعد مرور وقت.

ها هي تطيل الوقوف عند العمود الكبير الذي احتضن تلك المنمنمات الزرقاء لأسماء الله الحسنى؛ فبدت تلك المنمنمات بديعة مُعبرة عن عظمة الفن الإسلامى القَديم الذي تحبه وروعته، وعن مشاعرها دائمة الاحتياج لاطمئنان القلب بذكر الله، ليقف العامود بالفِعل في شموخ منقطع النظير، وكأنه يودعها، ويلقي بقلبها القوة، ثم يعاود بمطرحه الذي ظل عليه سنوات، وسنوات كثيرة، ليبقى كما هو ينتصف كل هذه المسافات الواسعة للبهو

الأنيق في عناق أبدي طويل، وتبقى هي كما كانت، وكان قلبها الكبير ينتصف كل المسافات التي أُجبر عليها؛ فهى لم ترغب يومًا أن يصير بينها، وبينهم أي مسافات، وكأنها تذهب إلى أمجد في لحظة خاطفة تستجير منه، وهى ما زالت مستندة برأسها على أسماء الله الحسنى بالعمود الكبير.

تعاتبه لتعود بذات اللحظة بلا جدوى، فأين هو من كل هذا؟! ثم تعترف لنفسها بالذنب الذي جناه قلبها في حقها، وتحملها منه ما لا يحتمل؛ فلا هي الآن قادرة أن تقترب، ولا هي قادرة منذ زمن طويل على البعاد؛ فرغمًا عنها تودع كل ما أحبته، ونسجته مع خيوط صُبح، وليل الأيام بهذا المكان.

رغمًا عنها تلقي بالنظرة الأخيرة مودعة كل ما أحبت لتسدل الستائر على ماضٍ غزلته بابتسامات، ودموع الأمس، ولا بديل الآن سوى الرحيل، لكن إلى أين؟ أيكون الرحيل إلى حيث لا ذكريات تحملها لنا الجدران التي لا نعرفها هناك؟ أيكون الرحيل حيث لا وجوه، ولا حكايات يحملها القلب لمجهول بانتظارنا؟

وها هي ناريمان تحمل لوعة قلبها، وتمضي بحقيبة ملابسها لتضعها بالسيارة، تاركة حقيبتين بجوار باب البهو الكبير إلى حين يعود أمجد في خلال اليومين القادمين كما أخبرها، ثم يأتى إلى هنا ليأخذهم، ويسلم الڤيلا لصاحبها الجديد كما اتفق معه على ذلك.

الحقيبتان إحداهما خاصة به، والأخرى خاصة بأمير وبها، وبذكرياتهم التي حرصت على ألا تتركها على الرغم من أنها تركت معظم ما تحبه طواعية لا لشيء سوى أنها تريد أن تتناسى أنها أُجبرت أن تنتزع من هذا الكيان

لتحافظ على أسرتها، وكان من بين أكثر الأشياء إلحاحًا عليها ألا تتركها، وترحل.

هو وجه المرأة المنحوت على ذاك التمثال النحاسي الذي أحبته، والتحمت به مشاعرها منذ أن تلاقيا، ولم تستطع أن تنفصل عنه أبدًا من وقت أن اشترته من المزاد حتى هذه اللحظة، ثم تمضي بسيارتها المرسيدس القديمة ذاهِبة إلى المجهول الذى لا تعلمه في تلك الڤيلا التي استأجرها زوجها، ولم ترَها. تمضي، ويمضي بها طريق ذكريات مؤلم، ومُفرح لم تكُن تعلم متى سينتهي إلى حيث تريد، لا إلى حيث يريد أمجد مهران، وها هي المشاهد تأتي وترحل على مرآة سيارتها المرسيدس.

(٤)

مساء صيف ١٩٨٩

مصر الجديدة.

تعود ناريمان من نادي هليوبلس في موعدها المُعتاد بالثامنة مساءً. تفتح باب شقتهم الفاخرة المُطلة بشرفاتها الواسعة على النادي، وأثناء مرورها بالريسيبشن الكبير المطل على حجرتي السُفرة، والصالون تسمع أصوات آتية من حجرة الصالون فتعرف أنهم ضيوف، ولم يكُن عندها علم بزيارتهم.

تتذكر أنه كان من الجاذب لنظرها وقت خروجها من النادي أن شُرفة الصالون المُطلة على النادي كانت مفتوحة ومضاءة؛ فتقرر أن تذهب لحجرتها دون أن يشعُر بها والدها، لتتركه على راحته مع ضيوفه، على أن تراه بوقت لاحق، وربما يكون ذلك الوقت أثناء تناولهم العشاء.

تسمع صوت والدها الهادئ، وهو يُحادث الضيوف، فيستوقفها الفضول غير المُعتاد للحظات، لتحاول أن تعرف من هم هؤلاء الضيوف.

تظن ناريمان أنهم ربما يكونوا أصدقاء من أصدقائه القدامى، الذين اعتادوا أن يوجه لهم والدها الدعوة كي يزوروه بالمنزل من وقت لآخر أثناء فصل الصيف بعيدًا عن لقاءات النادى المزدحمة بالأُسر، والشباب، والأطفال؛ لأنه يفضل الهدوء دائمًا، أو ربما كانوا زملاءً له بالعمل من أولئك الذين جمعتهم به الأيام بإحدى الدول التي كانوا يعملون بها في مجال عملهم رفيع المستوى، ونادرًا ما يلتقون.

عامل المنزل.

يأتيها ليقطع عليها حبل تكهناتها، ويخبرها أن والدها يريدها أن تأتيه بالصالون كى تسلم على ضيوفه؛ فتذهب إليهم، وهى ترسم على وجهها ابتسامة رقيقة الطبع مثلها، لكنها قلما تزور ثغرها الذي نسي الابتسام النابع من القلب بسنواتها الأخيرة، لتحل البسمة الآن كضيف عزيز على هذا الوجه البريء، والذي ما أن رآه ضيوف والدها الحبيب، إلا وتهللت أساريرهم مرحبين بها بشدة بعد أن رحبت هي بهم بمُنتهى الاحترام.

يبادرها السلام رجُل في عمر والدها، له نفس الهيئة الدبلوماسية، ويشبهه بعينيه التي تشع ذكاء، ولا تخلو من نظرات حانية ودودة؛ فتقول في نفسها:

- أكيد الشاب ده ابنه.

لم تدقق وقتها بملامحه، وكأن الزمن كان قد أرجأ تلك المهمة الآتية فيما بعد، والتي جعلتها تتعرف هيئته، وملامحه بلقاءات أخرى، لكنها للأسف ما رأت وقتها غير هذا الإطار الخارجي الذي يتحلى به معظم البشر ببدايات التعارف.

كان شاب ببدايات الثلاثينيات من العمر، طويل إلى حد ما، ذو عيون سوداء حادة واسعة، وشعر ناعم أسود، وبشرة خمرية. تندهش كُلما تذكرت مشاعرها الوجلة تجاهه، وهو ينظر إليها بأول لقاء، حتى كاد يلتهمها بعينيه.

معترفة أن كل ما كان يحيرها وقتها، هو ذاك السؤال الذي ظل يطوف بعقلها، ولم تكن تعثر له على جواب شافٍ على مر الأيام. كيف يكون هذا

الشاب هو ابن لهذا الرجُل المُهذب، الذي يجاوره بالمقعد، وعلى الرغم من شعورها به الذي لم يخطئ منذ أول لقاء إلا أنه كان يحاول أن يكون دائمًا شخصًا لطيفًا (چنتل مان). فمنذ أن رآها بهذا اللقاء الذي كان بصالون منزلها تتذكر أنه بادر بالوقوف، ثم تقدم بخطوة محسوبة نحوها، ليبادرها بسلام مفعم بطلب الوِد، لكنها شعرت أنه كان سلامًا غير متحفظ لأي من تلك المسافات التي يحرص عليها الغرباء حين يلتقوا لأول مرة.

كان أمجد جريئًا بخطوته، وكأنه يعرفها منذ الزمن البعيد؛ فقدم لها نفسه قائلًا:

- مهندس أمجد مهران.
- أهلًا وسهلًا بحضرتك.
- أهلًا بيكى.

وما إن دخلت عليهم كريمة هانم زوجة أبيها مرحبة بهم، وسعيدة بالشكل المعتاد الذي يحدث له حين تعرف أن عريسًا آتٍ إلى المنزل لطلب يد ناريمان، حتى انقبض قلب ناريمان، بينما كريمة هانم "والتي لا يحمل اسمها أي صفة تخصها" مسترسلة بالحديث، وهى تغدق عليها بهذا الكم العجيب من القبلات، والسلامات المصحوبة بالكلمات المفعمة بالحنان، لتنساب الكلمات من بين شفتيها متشنجة بطريقة مستفزة، وبلا طعم لأنها على غير الحقيقة الكامنة بقلبها تجاه ناريمان، لتستفيق ناريمان بهذه اللحظات،

وتصير أشبه بمن علم بنصب الشرك له؛ حتى يقع بالمصيدة، وظنت أنها احتاطت بالحذر قدر أستطاعتها.

القاهرة الجديدة.

الڤيلا المستأجرة.

تقطع الذكريات على ناريمان الطريق، ثم قبل أن تتركها عند باب الڤيلا المستأجرة بإحدى مدن القاهرة الجديدة. تتصل بزميل الدراسة العزيز، وتأخذ موعدًا لمقابلته، وها هي ما إن فتحت باب الڤيلا المستأجرة حتى أغمضت عيونها سريعًا غير مستوعبة ما يحدث هنا، وهى ترى هذا المشهد البشع لتِلك القطع من الموبيليا الغميقة القابضة للروح، والتي يعج بها المكان.

ثم فتحت عينيها سريعًا؛ كى لا تقع بالأرض مغشيًا عليها فوق الباركيه الذي بدى عليه هو الآخر أنه ترك معظم أماكنه، وفر هاربًا من كل هذا السواد، وكأنه كان مخنوق الأنفاس يحاول النجاة من هذا الظلام، ومن كثرة ما انهالت الأيام عليه بفوضى العناء، ثم تسير مضطرة ببطء شديد؛ لتستند على جِدار بالريسبشن، ثم تبتعد سريعًا، ربما تخشى من شدة قذارته، أو ربما انتابها شعور، وكأن أمجد يريد أن يوقع عليها بقية الجدران؛ فأضاءت ذاك المصباح المتهالك القديم، ورأت أكثر كل هذا الكم من الجدران المتشققة فقيرة الطلاء.

تنهدت في صمت قاتل، وكأن صور الأمس القريب، والبعيد أتت الآن تستدعي بعضها بعضًا، وتلومها على تحملها كل ما كان حتى وصلت إلى هنا، ثم ها هي تحاول أن تأخذ نفسًا عميقًا، ربما تستدعي به الصبر على ابتلاءات الدنيا التي يتسبب فيها غباء الآخرين، لتتوالى محاولاتها الجادة في أن تتماسك؛ فوضعت حقيبتها الأنيقة لجوارها، وجلست على أريكة كادت تتمزق كسوتها الحريرية ذات اللون الرمادي القاتم من كثرة ضغط الغرباء عليها، وبدأت تنظر إلى حقيبة ملابسها التي وضعتها لجوار الباب الكبير منذ لحظات، وقبل أن يأخذها خيالها، ويذهب بها عند ذات الحقيبة لتحملها، وتفر بها من هذا المكان الموحش، والمُقبض للروح، لتوقعها الحيرة بين شقي رحى شقاء الاختيار؛ فلا هي قادرة على ألا تأسف على تضحيتها براحتها من أجل أن يعيش ابنها حياة أسرية مُستقرة بين أمه، وأبيه، ولا هي تستطيع التخلى الآن عن واجبها بصفتها زوجة عليها مواجهة الموقف بقوة، ورجاحة عقل، مهما اكتشف هذا العقل أن زوجها على الغالب أسوأ الرجال، إلا أنها لا تملك سوى الصبر من أجل مستقبل أسرتها التي بالأساس لا بد أن تستقيم أوضاعها من أجل مصلحة ابنهم الوحيد، لكن إلى متى سوف تستطيع الصبر على هذا الحال، لا تدري.

وبنظرة حائرة تتوه، ثم تطمئن قلبها بذكر الله اللطيف؛ فلعل، وعسى يخيب أمجد ظنونها فيه، ويقف وقفة رجل مسئول، ويعيد توفيق الأوضاع الخاصة بعائلته، وبالمصنع؛ كي يستعيدوا وضعهم الاجتماعى، وفي محاولة منها أن تتماسك أمام أمر واقع تريد فيه أن تمسك العصا بحذر من المنتصف

للمرة الأخيرة رغم استيعابها لكل ما هو آتٍ. طردت فكرة ترك هذا المكان سريعًا، وحاولت أن تحمل الشنطة بكل ثقلها، وتصعد بها درج السلالم الخشبية، درجة، درجة، حتى وصلت إلى غرفة النوم الماستر؛ ففتحتها بقلق لشعورها أنها ستكون بمثل ما رأت بالطابق السفلي، وبالفعِل كانت هكذا، لتتساءل في ألم عن تلك الغرفة القديمة التي تجبرها الظروف أن تنام عيون القلب، وتصحو على كآبتها التي تفوق أي احتمال، ثم يجرجرها السؤال عن كم الغرباء الذين داست أقدامهم بها، وتمرغوا بمُنتهى اللامبالاة على فراش هذا السرير، ليغطوا في سبات عميق، ثم تتساءل:

"ألم يشعروا بمدى المهانة من عدم نظافة المكان وتهويته؟".

فكيف تنام ناريمان على سرير كهذا نام عليه غيرها، وكيف تقبل أن يتدثر جسدها بأغطية لامست أجساد الغرباء، ليداهمها الشعور القاسي من أمجد مرة أخرى، وتصر على ما وصلت إليه من تفكير بالأمس بشأن الفلوس؛ لأنه ما زال يثبت لها أنه يعرضها للمواقف التي لاتشبهها.

رنات الموبايل.

تشاهد رقم أمجد، ولا ترد، ثم تضحك بمرارة ضحكة الشريد المهزوم؛ ساخرة من نفسها التي لم تكُن تدري أي مُفاجأة كانت تنتظرها.

تغلق الموبايل، وتغلق هذه الغرفة، بعد أن قررت أن تتركها لأمجد حين يعود كما وعدها، وأن تستكمل الحياة من أجل ابنها كما وعدت نفسها، لكن

لن يجمعهم فراش مشترك مرة أخرى، وبصوت متعجب هامس حزين تقول كلمتها المأثورة "ومتى كان أمجد يشبهنى؟!".

خريف ١٩٨٩.

تكثر اللقاءات المفاجئة لناريمان، والمتعمدة من كريمة هانم زوجة أبيها بأمجد كى تتمم الزيجة، وتتخلص من ناريمان، ليس لشيء غير أن ناريمان هي حب والدها الوحيد، منذ أن تركتها والدتها طفلة صغيرة وحيدة، ورحلت، حتى صار هذا الحب ينغص على كريمة حياتها، ولم يجعلها بغباء منطقها، وعمى قلبها، وبصيرتها تشعُر أنها بصفتها زوجة لها مكان آخر بقلب هذا الرجل الكريم.

وهذا ما لم يتحمله قلب كريمة الحاقد الغيور، والذي لم يبصر الفرق بين حب الرجل الحنون لابنته التي تركتها والدتها طفلة، ورحلت، وبين حبه لها كزوجة اختارها أن تكمل معه رحلة الحياة؛ فمنذ أن تخرجت ناريمان في الجامعة، ولم تيأس كريمة هانم من محاولات مُتعددة بادرت خلالها بترشيح طابور طويل من العرسان، وباءت كل محاولاتها بالفشل؛ إذ كانت ناريمان ترفض بطريقة أو بأخرى هذا الأسلوب العقيم لمجرد الحصول على عريس ذي مكانة اجتماعية تناسب عائلتها، إلى جانب ما بها من اجترار آلامها لقصة حبها الفاشلة؛ فأحيانًا كانت تضعها الظروف رغمًا عنها في مواجهة الموقف الذي كانت كريمة هانم تعد له مُسبقًا بالاتفاق مع العريس، وأهله، وأحيانًا أخرى كانت ناريمان تهرب من الموقف حين كانت تعلم به.

فى تلك الأثناء لم يكُن والدها يستطيع أن يضع يده على السبب الحقيقي وراء رفض ابنته لكل هؤلاء العرسان الذين كانوا على قدر مستواها الاجتماعى والثقافى، ولم يكُن قادرًا على الإمساك بتصرفات كريمة مع ابنته، والتي كانت ابنته تلمح له ببعض منها؛ لأنها كانت امرأة كالأفعى لا تستطيع أن تمسك عليها فعل بعينه، ولم يكُن يعلم الأب الحنون أن قلب ابنته ناريمان كان مُمزق ما بين لوعة الاغتراب، والفقد؛ فلم تفصح ناريمان عن قصة حبها الكبير لزميلها بالجامعة رغم كل هذا القرب العاطفى من والدها؛ لأنها وزميلها تواعدا على الكتمان، حتى لا يرفضه والدها؛ فقررا أن يعود لخطبتها بالوقت المُناسب، والذي يصير فيه لائقًا بمكانتها الاجتماعية، ولم تكُن ناريمان تلتفت لأيامها التي كانت تلاحقها لتُخبرها بأن العمر يجري، بل أن القصة كانت دومًا تخبرها بأن صفحاتها لن تذوب، وتنزوي بين تلال الحنين الذي لم يفقد الأمل في أن يعثر على مروان، لكن مروان ذاب مع الأيام، والسنوات ذوبان الملح في الماء، واكتشفت هي بمرور السنوات أن شيئًا ما باقٍ ليدق على باب قلبها ما بين الحين والحين.

الڤيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

تخرج ناريمان من ذكرياتها، ومن حُجرة النوم البالية تعبة، وراحت تجرجر حقيبة ملابسها الكبيرة، وكأنها تجرجر سنوات ثقيلة مريرة مع أمجد ما بين هنا، وهناك، ولا تدري بأي أرض هادئة سوف تحط رحالها تاركة الحقيبة جانبًا بالكريدور الطويل المؤدي إلى غرف النوم، ثم تدخل، وهى

متوترة لترى كل الغرف غرفة غرفة، حتى انتهت من الأربع غرفات الموجودة بالطابق العلوي دون أن يرتاح قلبها لأي منهم؛ فيفر منها قبلها، ويذهب إلى هناك؛ حيث كيانها، وود أيامها التي هجرتها دون ذنب منها، تمامًا كما هجرها مروان دون ذنب جنت لتأتيها صورته، وهو يقتحم، ويحتل كل ركن نمقه قلبها بثيلتها، وقبل أن تطرده من خيالها بسرعة، كما قررت منذ أن رأت منه ما رأت بالأمس، تعترف أنها لن تنكر أن عودة مروان أربكتها، وزلزلت كيانها بالساعات القليلة التي جمعتهم، بل، وربما أنستها لبعض الوقت أنها زوجة أو أم، بالأخير هي كانت أمامه في موقف لا تحسد عليه، وتعترف بصِدق أن مشاعرها بصفتها أنثى لم يفلح الزمن في أن يبدل ملامحها أو ربما لم يفلح كل هذا البعاد في الكف عن حبه، لتعود بالذاكرة لسنوات قريبة.

وسط البلد.

بإحدى محلات بيع التابلوهات الفنية، تقف ناريمان أمام تابلوه رسمه فنان مُتميز تتابع أعماله عن قرب بهذا المكان الذي يحرص على اقتناء أعماله، وإذ بها تجد شخص يقف من بعيد بصحبة امرأة جميلة، ودون تفكير تجدها تسير نحوه، وتقترب منه ثم تقف لتنادي عليه:

- مروان.

فيتجه الرجُل بوجهه نحوها، وتقع هي في حرج شديد، بينما ظل الرجُل والمرأة مندهشين من صمتها حين رأتهم ومن الخجل الذي كان واضحًا جدًّا من رد فعلها؛ فهي دائمًا كانت تعيش على أمل أن تجمعها به الأيام، وتعذبت

به كثيرًا في لحظات بعينها جمعتها بأمجد على فراش واحد، فهي بالفعل لم تتناساه سوى من أجل أمير، فبعد أن أصبحت أمًّا هذبت مشاعرها ودربتها أن تتناساه، لكنها في تلك اللحظة التي وقعت عينيها عليه حين أتى ليشتري الڤيلا لم تصبح هي ذاتها تلك المرأة الواقفة أمامه، والتي تعاني، وتعاني، وتعاني حتى أهلكها كل هذا الكم من فوضى العناء، بل عادت بلحظات كانت تقف فيها أمامه بهو الڤيلا، أو جلست فيها لجواره بالصالون، ناريمان على حقيقتها دون زيف أو ادعاء لمشاعر صنعتها، وهذبتها مع الزمن، عادت فتاة العشرين زميلته بالجامعة، ثم صارت بلحظات أخرى المرأة العاشقة المشتاقة، وبالذات في الوقت الذي أنكرت عليه أن يعود من بعد أكثر من ثلاثين عامًا لتتأبط ذراعه امرأة أخرى غيرها، ففاقت.

تفيق ناريمان أكثر، وأكثر، وتسترسل بحديث النفس، علَّها ترتاح منه، وتعيد ترتيب أوراق حياتها بوضوح؛ فتعاود اعترافاتها بعقلها الواعي، وبمُنتهى الصِدق أيضًا الذي اعتادته مع نفسها بأن ما يشغلها منذ الوقت الأخير من ليل الأمس، حتى الآن هو إعادة بناء حياتها بشكل يرضيها، وعدم الرضوخ مرة أخرى لأوامر أمجد؛ فواجبها أن تذكر نفسها في كل حين أن الرجُل الذى أتى ينكرها، وهو بصحبة امرأة أخرى ليس مروان الذي أحبته، وظنت أنه أحبها يومًا ما، بل وليس هذا فحسب؛ فقد ظلت بانتظاره خمس سنوات كاملة كما تواعدا بأيام الجامعة على الرغم من أنه دون أسباب تنقطع عنها أخباره من بعد ثلاثة أشهر من سفره للدراسات العليا بأمريكا، لتظل هي لا تعلم عنه شيئًا، ورغم ذلك صبرت، وانتظرته بالفعل للخمس

سنوات متتالية، دون جدوى، لتفيق على الحقيقة المؤكدة بأنها لن تقبل على كرامتها أن يعاود قلبها الحنين إليه، وبخاصة بعد أن أوجد له هذا القلب رغمًا عنها أعذارًا لا تدري من أين أتى بها باللحظات الأولى للقاء.

لن تقبل ناريمان بصفتها أم، وزوجة، وإنسانة قبل كل هذه المسميات أن تستمر في تلك المهزلة، وتتقبل مرة أخرى على مشاعرها ما حدث منه من تجاهل حين التقيا، ثم تفيق أكثر، وأكثر، وتتساءل حائرة:

"لماذا أتى مروان ليشترى ڤيلاتها بعد كل تلك السنوات التي غاب فيها عنها؟ فلماذا غاب؟ ولماذا يعود الآن؟".

تتماسك، ثم تجيب على نفسها أنه ليس شأنها أن يعود أو لا يعود علَّها تستطيع أن تُلملم هذا الشتات الذي يبعثرها بين جنبات الحيرة، لتقرر أنه لم يعد يشغلها الآن أنه لم يكن على قدر مسئولية الحب، والوعد الذي وعدها إياه.

بقدر ما يشغلها هذا القدر العجيب الذي اختاره من بين كل البشر كي يحتل أماكنها، كما أحتل كيانها كله من قبل، ثم رغمًا عنها تهوى مرة أخرى، فتعود للتفكير بمروان متسائلة "أي شيء جنت به عليه هي كي يعود هكذا؟ أليس من الممكن أنه كان يبحث وراءها، وعلم بحالها، وببيع الڤيلا، ويريد أن يستحوذ على تلك الأنفاس التي كانت تملأ بها رئة حياتها لتواصل المشوار في كل يوم جديد. ألا يعلم أن تلك الأنفاس التي ملأت بها أمكانها الأثيرة بڤيلتها، وتركتها قبل الرحيل جعلتها تجيء إلى هنا مختنقة، حائرة، حزينة.".

تفيق على الدموع المنهمرة على وجهها البريء، ورنات جرس الڤيلا.

(٥)

بعد مرور ساعات.

الدوحة.

أوتيل جراند حياة.

لم يستوعب أمجد أن ناريمان أغلقت الموبايل الخاص بها، وأنها تعمدت عدم الرد عليه، وأن المبلغ الذي بيعت به الڤيلا لم تضعه في حسابه حتى الآن؛ فظل واجمًا للحظات حتى وصل إلى لوبي الأوتيل، ثم أخذ يلعن، ويسب بصوت عالٍ إلى حد ما؛ مما جعل الجالسين من حوله ينظرون إليه، وهو يسير نحو الطاولة، وكأنه شخص مسه الجنون؛ فأطبق يديه على الموبايل، يريد أن يلقي به عرض الحائط، وكأنه يريد أن يرى ناريمان الآن في ذات اللحظة، كي يكسر أضلاعها التي بدت له، وكأنها تعوج فجأة، ودون مُقدمات، ثم يحاول أن يستجمع قواه العقلية، كي يُحافظ على مظهره كچنتل مان أمام صديقه الشيخ عابد الثري العربي، وأخته الشيخة إسعاد. وهو يراهم الآن، وهم مقبلين عليه بصُحبة البدي جارد الخاص بهم.

وما إن أقبل عليه الشيخ عابد، وأخته حتى قام منتفضًا من على مقعده الفخيم بلوبي الأوتيل، وكأفَّاق كبير، وقف ليأخذ مطرحه في طابور المنتفعين، ويبدي احتراماته مع احتفاظه ببرستيچه بصفته مهندس، ورجل أعمال مصرى كبير.

الشيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

ما زالت ناريمان تسمع رنات جرس متلاحقة، فتُخرجها من كُل ما هي فيه، لتنزل على مهل من الطابق العلوي وهي تمسح دموعها؛ فهي لم تعد بقادرة على اللهث وراء ما يعنيها، وما لا يعنيها؛ فهي ليست بانتظار أي أحد، ثم تصل لتفتح الباب، وهى في شدة التوتر من رنات جرس الباب المتلاحقة، وإذ بها تجد أمامها شابة سمراء ذات نظرة عميقة لكنها مرتجفة، لم تدرِ ناريمان أي مجهول أتى بتِلك العيون التي، وكأنها نام سواد الليل بأحداقها، ثم أغلق عليه الأبواب، ولم يسمح بعد لأي طلة نهار.

تحتار ناريمان، وكأن بتِلك العيون شيئًا ما حائر النظرات، شيء ما أن أفصحت نظرة واحدة عنه هنا أو هناك، فلن تُخبرك النظرات التالية الأخرى سوى عن شيء مجهول.

ترتعد ناريمان من هذا الشعُور الذي تملكها، وهى تنظر لتِلك للمرأة التي أغلقت عليهما الباب دون استئذان، ثم للحظات ساكنة بينهما بدا يحيرها أمرها، كما شعرها الحائر على كتفيها، والذي كان يتطاير في مجون، لتفيق على أنها كانت تستغيث بها أن تدخلها عندها لتنقذها من زوجها المجنون الذي كان يجري وراءها، وبالفِعل قبل أن تأذن لها ناريمان بالدخول، تدخل هذه السمراء، ثم تغلق الباب بالمفتاح الذي كان معلقًا بالكالون، وكأنها صاحبة المكان، وهي ترتعد من شدة الخوف؛ فترعِب ناريمان معها أكثر، وأكثر، ثم تجري دون وعي، وتجلس على الأريكة الرمادية الكئيبة الممزقة الكسوة، وهى تتمزق من شدة الأسى الذى لا تعلم ناريمان لأي مدى يلاحقها، لتتملك الحيرة من

ناريمان أكثر وأكثر، ولم تملك أن تفعل أي شيء حيال كل ما حدث سوى أنها ظلت واقفة أمامها لا تستطيع أن تنطق بكلمة، لكنها ظلت تهمس إلى قلبها بالسؤال الحائر "ألم يكفك، ما بك؟!". ثم تقطع عليها المرأة همساتها بعد أن هدأت قليلًا، وتقول معتذرة بصوت غلبه القهر:

- أسفة جدًّا جدًّا، لكن مش بايدي، والله.

ثم أخذت تبكي بشدة، وهى تكمل حديثها، وتقول:

- وانا بجري مرعوبة منه كنتي أول باب يقابلني، فاضطريت من كتر خوفي اني استخبى جنب بابك قبل ما يلمحني، وماصدقت انه جرى لبعيد؛ ففضلت اخبط على الباب لحد ما اتفتح، دخلت، وما اعرف دخلت فين، وبعد دقايق استوعبت أنا فين، وحمدت ربنا ان في حد موجود، وفتح الباب لان الڤيلا دي معروف إن مافيهاش حد، وكده لا يمكن يخطر علي باله انى هنا، حقيقي أسفة انى أزعجتك.

تستجمع ناريمان قوتها المستهلكة، وتقول لها:

- ممكن أعرف حضرتك مين؟
- مليكة، جارتك بالڤيلا اللي جنبك على طول.

تتذكر ناريمان قول والدها المأثور "النبي وصى على سابع جار"، فتحاول أن تهدأ وتستسلم لما حدث، وتقول في بحة صوت رغم عنها بدت تئن في هدوء حنون، وكأنها شعرت بانكسار مليكة:

- طيب اهدى شوية من فضلك؛ عشان نعرف هانتصرف إزاي، الوقت بيمر بسُرعة، والليل ممكن يدخل علينا.

ثم ذهبت لتأتي إليها من المطبخ بكوب ماء لترى المطبخ في حالة لا يرثى لها؛ فذهبت لتأخذ زجاجة المياه المعدنية من حقيبتها، والأكواب البلاستيكية الفارغة النظيفة التي أحضرتها معها بالصُدفة دون ترتيب، وكأن قلبها ما زال بخير، ويحدثها.

شربت مليكة الماء، وهدأت بعض الشيء، ثم بدأت تغمض عيونها لبعض الوقت؛ فتركتها ناريمان؛ علَّها تستطيع أن تقدم لها شيئًا ما حتى لو كان هذا الشيء بعضًا من هدوء.

المقطم.

بعمارة سكنية كبيرة يسكن مروان، وزوجته دكتور مديحة بشقة أنيقة كبيرة، فرشتها مديحة بالكامل دون تدخل من مروان بذوقها الخاص على الطراز الأمريكي، وكأنها أرادت أن تعلنها للجميع، أن صاحبة هذا المنزل أمريكان استايل، أما عدا ذلك؛ فهى لم تأخذ من العيش بأمريكا شيئًا؛ إذ تجدها تشبعت أكثر بسياسة الهيمنة الأمريكية على العالم؛ فهى لا بد أن تكون مركز الكون، فلا تبدأ الأشياء، وتنتهي إلا بها وعندها.

تتشدق بين مجالس الجيران التي تعشقها بالحُرية، وتنادي بالديمقراطية على جميع المستويات، ولا تعمل بها؛ لأنها بالحقيقة لا تعرفها؛ فتراها سيدة متسلطة، قليلة الذوق، لم يسلم من بذاءة لسانها، قريب أو غريب، حتى صار الجميع يتجنبوها بعد أن عاشروها منذ أن عادت مع زوجها من أمريكا؛ مما يقرب من خمس سنوات، أدخلوا ابنتهم

الوحيدة ياسمين منذ عودتهم من أمريكا كُلية الهندسة بالجامعة الأمريكية.

تطُل شرفات الشقة على ميدان رئيسي فسيح، يخرج مروان من الشُرفة، بعد أن تناول الشاي وحده بموعده المُعتاد مع قطعة من الكيك، ليجد زوجته ما زالت تثرثر مع أختها بالتليفون، ولم تنتهِ بعد منذ الأمس من الحديث عن وصف الڤيلا الفخمة التي سوف ينتقلون إليها الأسبوع القادم.

يكره مروان أسلوب زوجته الطبيبة المتعلمة في استفزاز أختها الوحيدة، والتعالي عليها، وقد حاول معها كثيرًا في أن تتعامل مع أختها المهندسة المهذبة بأسلوب يليق، لكن كل محاولاته كانت، وما زالت تبوء بالفشل كما يعترف دائمًا لابنتهم ياسمين.

ياسمين هي ابنته، وحبيبته، وكل ما له بتِلك الحياة من أهل، وأصدقاء.

وها هو مروان يحاول أن يركز بهذا البرنامج الإخباري الذي يتابعه عبر شاشة التلفزيون؛ علَّه يفلح في أن يخرج تلك المرأة التي رآها بالأمس من دائرة اهتمامه، لكنه للأسف لا يقدر، ولا يجد سوى ذات الشعُور، يلح عليه، ويعُود ليخبره من جديد عن هذه المرأة، ومن تكون؟ وإن كانت راغبة بالفِعل ببيع بيتها أم لا؟ فيهرب من مشاعره، وكأنه يحاول أن يرجمها، ويغلق عليه باب قلبه الذي يفر رغمًا عنه، ويذهب إليها.

بالڤيلا المستأجرة.

بعد مرور ساعة.

تفيق مليكة من غفوتها، وهى تفرك عينيها بيديها، ثم تتلفت يمينًا، ويسارًا تنظر حولها، وكأنها كانت نائمة تحت سابع أرض، لتجد نفسها تصحُو فجأة بمكان غريب عنها، وكأنها لا تعلم أين هي؟! ثم ترى ناريمان جالسة أمامها فتتذكر، وتشكرها أنها سمحت لها بتِلك المساحة من الخصوصية ببيتها؛ فتنظر لها ناريمان نظرة مستنكرة، وكأنها تخبرها أن هذا البيت ليس ببيتها. لم تفهم مليكة ما تقصد ناريمان بتِلك النظرة، وظلت تسترسل بالكلام، بأنها منذ الأمس لم تغفُ مُطلقًا بسبب نزاع زوجها معها، ثم تتوقف للحظة عن استرسالها في الكلام معها، لتخبرها أنها لا تعرف اسمها؛ فتسألها عنه، وتخبرها ناريمان.

تشكرها مليكة على سعة صدرها، وتحملها هذا الموقف الصعب الذي وضعتها فيه منذ الساعات الماضية. ترد عليها ناريمان بصوت هادئ أن الجار للجار كما تقول الأمثال، ثم تستفيق ناريمان، وتحاول أن تخرج من عباءة براءتها التي أضرتها كثيرًا، لتخبرها أنه ربما لا يجوز لها أن تسمح لنفسها بالدخول في حياتها الشخصية، لكن من أين لها أن تصدق روايتها، وأنها جارتها بالڤيلا المجاورة.

يخيم الحزن على وجه مليكة، وتلوم زوجها الذي وضعها في ذلك الموقف المؤلم، ثم تطلب من ناريمان أن تسمح لها بأن تأخذ من وقتها القليل، وإذ بها تسترسل بتفاصيل حياتها كاملة دون أن تطلب منها ناريمان ذلك، وكأنها كانت

تريد شخصًا بقلب ناريمان الذي أحسّته دون أن تعاشره كي ترمي على عتباته أحمالها؛ علَّ كفتي الميزان بحياتها تستقيم، فتقول مليكة:

- كنت بنت عادية، متخرجة من معهد متوسط، أخدت شهادة ما اعرف عنها حاجة، يعنى اتخرجت من المعهد جاهلة بعرف اكتب، واقرا، وأتكلم، وخلاص. أُمى، وأبويا ناس غلابة، وعندهم ٣ بنات غيري، أنا أوسطهم، يعنى شفت مصير اللي قبلي، وما حبيت انتظر اللي هايجرالي زي أخواتى البنات اللي بعدى. أبويا راجل صعيدي، وجاهل، كان بيشتغل في القباقيب. تنظر ناريمان لمليكة؛ فتفهم مليكة أن مهنة والدها استوقفتها للحظة، وتخيلت أن ناريمان ربما تريد أن تسألها عن القباقيب، وتقول:

- يعنى أيه؟

فترد عليها مليكة، بعين خيالها أيضًا:

-يعنى أيه، ايه؟! قصدك يعنى ايه قبقاب؟ هو انتى مش من هنا، والا أيه؟!

ثم تسترسل بذاك الخيال، وتقول:

- أه، فهمتك، شكلك كِده فِعلًا رقيقة، وعلى نياتك، ومُش عارفة بجد.

فتندهش ناريمان من السرعة التي تتنقل بها مليكة عبر الجُمل، والكلمات، وتسترسل مليكة غير عابئة بشرح تاريخ القبقاب، دون أن تطلب منها ناريمان أن تشرح شيء، وتقول:

-كان زمان جدًّا بيستعملوه الناس في الحمامات، ويمكن في البيوت، والجوامع، ويمكن في الخروج في المناطق الشعبية.

تستوعب ناريمان أن مليكة أخطأت فهمها؛ فتستوقفها، وتقول لها إنها تعرف القبقاب، وتعرف قصته التاريخية مع الملكة شجرة الدر. تضحك مليكة للحظة ساخرة من نفسها قائلة:

-انتى عايزة الحق، أهو أنا استاهل يجي مليون قبقاب على دماغىً.

تضحك ناريمان، وتضحك مليكة حتى كادت تنسى همها، وهى تقر، وتعترف:

-- أه والله، استاهل، طب، والله أنا ما عارفة، انا ليه بقولك كِده كل حاجة؟!

تنظر إليها ناريمان، وهى تبتسم بانكسار، وتقول:

- والله، ولا أنا، لا عارفة دخلتك ليه؟ ولا بسمعك ليه؟

تضحك مليكة، وتُكمل حديثها، وتقول:

--أبويا راجل غلبان، ورزقه يوم اه، وعشرة لاء. أمي كانت بتساعده، وتروح تساعد اللي هاتولد، واللي بتجوز بنتها، واللي عايزة تنضف بيتها، وأخر النهار ترجع لنا بقرشين كويسين، حملهم كان تقيل، فكان ما بيصدق أي عريس، والسلام، ويروح ملزق بنته له، ويقولك "البنت مالهاش الا الستر في بيتها مع راجلها، بلا تعليم، بلا شغل، بلا مسخرة". طول عُمرى كنت عايزة أكون غيرهم، حاولت أركز في تعليمي على أد ما قدرت، اخدت دبلوم، ومن بعده المعهد، وكنت مفكرة انى هاشتغل في وظيفة مُحترمة، لكن فضلت اتلئح من الشغلانة دي للشغلانة دي، ورفضت اتجوز إلا لما أشتغل، وأجيب كل اللي انحرمت منه، وطبعًا وقعت في مشاكل كتير مع أبويا لحد ما تعب مني، ورمى طوبتي، طول عُمرى بتمنى ألبس زى الناس الكويسة اللي بشوفها في التلفزيون، والسيما، واكل الأكل اللي بنشوفه في الإعلانات. حطيت القرش ع القرش، واشتريت

هدمتين عليهم القيمة، واتعلمت كام كلمة إنجليزي أحشرهم في وسط الكلام، كل ده، وانا بشتغل في محلات وسط البلد، كنت مخططة لحياتي انها مرحلة، وهاتروح لحالها، كل اللي وجعني فيها انه ولا حد رحمني، كل واحد يشوفني يطمع فيا، وانا لا يمكن أسمح لكلب فيهم انه يلمسني فكانوا بيزهقوا مني، ويطردوني لحد ما النصيب أخدنى لحد عنده.

تنسى ناريمان ما بها، وكأنها كانت تريد أن تنتشلها هذه القطة السمراء الماكرة، المتمردة لتخرجها من شرنقتها، وتفتح عيونها الناعسة على الدنيا، وما فيها؛ فتنتبه لها أكثر، وهى جالسة أمامها على فوتيه ذيتي قميء لتسمعها.

منتصف الليل.

رنات موبايل ناريمان.

تخرجها من حكايات مليكة المثيرة. وتجعلها تدرك أن الليل انتصف، وهى تنظر لساعة الموبايل أثناء ردها على مكالمة أمير للاطمئنان عليها. تغلق معه التليفون سريعًا بكلمات قصدت أن تكون مقتضبة بعد أن اطمئنا على بعضهما؛ كي لا تسرد تفاصيل حياتها أمام مليكة؛ فظن أمير انها حزينة، ومتعبة، أو تريد أن تنام؛ فتنظر لها مليكة نظرة خاطفة، لا تستطيع أن تطيلها بعد أن صعب عليها فتح عينيها.

كانت مليكة تود أن تعرف عنها أي شيء غير اسمها الذي ذكرته لها. كانت تود أن تعرف من تكون ناريمان، من تلك المكالمة، أو من الجائز أنها كانت تريد أن تعرف عنها كل شيء، كما كانت تسرد لها الآن حكاياتها، لكن سلطان النوم أتى، وغلبها ثانية أثناء ما كانت ناريمان تخبرها أن أمير هو ابنها الوحيد بعد أن أغلقت الخط مباشرة معه، ثم تصمت ناريمان من هول الدهشة عندما رأت مليكة تنام فجأة، ودون مُقدمات لثاني مرة على الأريكة.

فهي لم تكُن تدرك أن الوقت سوف يسرقهم إلى هذا الحد، ولم تفكر على الإطلاق في أن مليكة من الممكن أن تبيت معها، على الرغم من أنه من المؤكد أن هذه الليلة كانت سوف تكون موحشة دونها، وبخاصة في مكان كهذا، لا يُقال عنه أنه مكان غريب عليها، وفقط، بل هو مكان مُقبض، ومتهالك إلى حد كبير، ولا تستطيع ناريمان أن تغمض لها عين لو كانت وحدها به.

تتذكر ناريمان أنها لم تشرب، أو تأكل أي شي منذ الصباح الباكر؛ فتأخذ زجاجة المياه المعدنية، وكوب ماء بلاستيكيًا نظيفًا آخر، وتشرب، وها هي تطرح جسدها على الفوتيه المتهالك أمام مليكة، ثم تبدأ التفكير بشكل مختلف تمامًا؛ إذ حاولت أن تتأقلم بعد أن تدخل القدر اليوم، وساعدها في أن تخرج من مشكلتها الكبيرة لبعض الوقت منذ أن أختصها أن تأتى إليها مليكة من بين جميع سكان الكمباوند، وتسرد لها هذا الجزء المثير من مشكلتها مع الحياة.

في الصباح.

تصحُو مليكة من نومها؛ لتبحث ثانية بعيونها بين أرجاء المكان الذي باتت فيه؛ فتعرف لأول وهلة أنه مكان غريب عنها، ثم تتذكر ناريمان، وما حدث بالأمس، وتتذكر أنها دون نقود، ودون ملابس، ودون أي شيء، وتتذكر أيضًا أنها دون الموبايل الذي يعد أهم شيء تحتاجه الآن من هذه الدنيا، فكُل ما عادت تريده هو أن تعيش باحترام؛ فهي تريد الموبايل فقط كي تتصل بخالد الذي أرادت، ولأول مرة بكامل إرادتها الحرة، أن تتناساه، وأن تتعايش دونه حتى لو كان هذا الشعُور ليوم واحد فقط.

تحتار لبعض الوقت، ثم تشعُر بالآلام تسري بجسدها؛ فتحاول أن تتناساها؛ كي تنسى إهانات سيد لها بالأمس، وتتذكر أن ناريمان كان معها بالأمس موبايل، وكانت تتحدث منه مع شخص ما؛ فتهدأ إلى حد ما.

ثم تنهض من على الأريكة، تصحبها آلامها، لتكتشف أن الآلام المبرحة التي تشعُر بها منذ أن استيقظت من نومها، وما زالت تصحبها ليست بسبب ضرب زوجها لها، وفقط، بل زاد عليها سبب آخر؛ هو تلك الأريكة المتعِبة التي غلبها النوم عليها لثاني مرة من شدة التعب أثناء جلوسها عليها؛ فتشعر للحظة، ولأول مرة بأنها تفتقد مخدعها الناعم الذي بحجرة نومها الفاخرة، والتي كان فرشها لها سيد أثناء الأعداد للزواج كباقي الفرش الأنيق.

تتحمل، وتقاوم الألم، وتسير ببطء، تبحث عن مكان الحمام، وهي تهمس بصوت خفيض؛ كي لا تزعج نوم ناريمان، لتجدها تنقلب على سيد، وشقته، وتقول لنفسها:

- حبة تعب، ويروحوا لحالهم، اهو أرحم من عيشة سيد السودا، بلا سرير بلا زفت، انتى هبلة، نسيتي تلطيشه، واهانته كل يوم، وجع ساعة، ولا كل ساعة، المشكلة بجد في الست الرقيقة اللي نايمة ع الفوتيه المؤرف ده، شكلها بجد بنت ناس، ومُش وش بهدلة، يا ترى ايه اللي رماها ع المُرده.

تعود من الحمام، لتجد ناريمان استيقظت، وذهبت للطابق العلوي؛ فأخذت تجوب بالريسبشن، والسُفرة، والصالون وتحادث نفسها أن هذا المكان يحتاج للتنظيف، والتنظيم، ولا يمكن أن يليق أبدًا بناريمان، ثم جلست مليكة على الأريكة ثانية تنتظرها.

يمر بعض الوقت.

ومليكة بمكانها تخشى أن تفتح شِباك أو شُرفة، كي لا يلمحها زوجها سيد؛ فهو بقيلتهم المجاورة، ومن الممكن أن يراها بالصُدفة بمنتهى البساطة، ثم أتت إليها ناريمان تلقي عليها بابتسامة لطيفة بتحية الصباح.

بعد أن أخذت شاور، وغيرت ملابسها، وها هي تستأذنها بأن تتركها لبعض الوقت، وأن تدلها على ماركت الكمباوند كي تشتري بعض الاحتياجات البسيطة.

تحرجت ناريمان أن تقول لمليكة إن هذه الڤيلا ليس بها كسرة خبز، ولا أي طعام، ولا شراب، فهمت مليكة أن ناريمان تريد شراء لوازم البيت، وما شابه، واعتذرت لأنها لن تستطيع أن تقوم هي بهذا الواجب، لتذهب ناريمان بسيارتها

التي أوصتها مليكة أن تتركها بعد أن تعود كما كانت بعيدة بعض الشيء عن الڤيلا كي لايفهم سيد أنها ربما تكون بداخل تلك الڤيلا بعد أن يكون سكنها أحد دون أن يعرف. تندهش ناريمان، وتقول:

- بصراحة مش فاهمة حاجة.

أما مليكة فترد عليها بخجل:

- لما ترجعي هافهمك.

بعد مرور بعض الوقت.

تعود ناريمان من الماركت، وتركن السيارة جانبًا على بعد خطوات، وها هي تحمل كل ما يعين على الحياة من مأكل، ومشرب، وأدوات تنظيف لهذه الڤيلا، هذه الڤيلا بالغةِ الإهمال في كل شيء، والتي تعتقد ناريمان أنه لم يهتم أحدهم بنظافتها منذ وقت طويل.

تقوم مليكة بفتح الباب لناريمان، وإغلاقه بسُرعة ثم تسرع، وتساعدها في حمل الأكياس، وتكرر اعتذارها لناريمان أنها حملت كل هذه الأشياء وحدها، ولم تستطع أن تتذكر رقم الماركت؛ لأنها كانت ستوفر عليها هذا الجُهد لو طلبت كل ما تحتاجه ليصلها كل ما طلبت دون أن تبذل كل هذا الجُهد، ذاكرةً لها أن الرقم مدون على الموبايل الخاص بها، والذي كسره سيد زوجها، بعد أن داسه بأقدامه، وهو يتشاجر معها.

تبتسم لها ناريمان ذات الابتسامة اللطيفة، وتحاول أن تخفف عنها؛ فقد شعرت أنها تعاني بحق، وأنها تواجه مشكلة حقيقية مع زوجها سيد، وبخاصة بعد رفضها فتح الشبابيك.

(٦)

المقطم.

بالمقعد المفضل لديه يجلس مروان، ليذهب ويعُود مع اهتزازت رياح الأيام، ما بين ساعات الأمس البعيد الذي غاب عنه، والأمس القريب الذي أدركه ليحمد الله دائمًا أن الحياة رغم كل ما فيها، ورغم افتقاده كرجل لسعادة القلب، إلا أنها تسير به وبعائلته بخير؛ فهو منذ أن تخرج من الجامعة، وسافر لأمريكا للحصول على الماچستير، والدكتوراه في الإدارة، والتسويق، وهو مشغول بفكرة الزمن وما تفعل به الأيام.

ينظر إلى مديحة، وهو جالس أمامها، يشعل سيجارة، وينفث عذاباته التي ما فارقته معها في الهواء؛ علَّه يفلح في أن يخرج من بين رئتيه هم اغترابه مع نفسه ومعها، لتأتيه ياسمين من غرفتها كنسمة هواء كان يحتاجها توًا بشدة لتشاهد معه برنامج مسابقات غنائي عالمي يتابعانه معًا في نفس الموعد.

فتعود الأبتسامة الغائبة على وجهه مع عودتها لأحضانه، أما مديحة فتركتهم وذهبت لغرفة نومها؛ كي تكمل أحاديثها المستفزة لأختها المهندسة الجميلة عهد التي ما زالت تستمع إليها منذ الأمس بمُنتهى الأريحية.

عهد تختلف كثيرًا عن مديحة؛ إذ يتملكها اليقين الشديد أن كل أنسان بتِلك الحياة يمتلك ال ٢٤ قيراط بطريقة أو بأخرى، لكن غالبية البشر أتعبوا أنفسهم، وهُم يلهثون وراء البحث عنهم، إذ تعيش عهد سعيدة بحالها منذ أن

تزوجت من المهندس رشيد، وولديها عمرو، خريج كُلية الهندسة، والمرتبط عاطفيًا بابنة خالته ياسمين، وأحمد، الطالب بأكاديمية الفنون المسرحية. ينعمون جميعًا بحياة مُستقرة بشقتهم الصغيرة الكائنة بحدائق القبة.

وعلى الرغم مما تملكه مديحة، والتي لا تترك أي مناسبة إلا وتجدها تستعرض دومًا أمامها، وأمام زوجها، وأولادها بما تملك من أموال، إلا أنهم جميعًا دومًا في غنىً كامل عن كل هذه الاستعراضات السخيفة، ولم يتأثروا يومًا بأي شيء من كل هذا الغنى؛ فمديحة لا تستطيع أن تشعر بما تشعر به عهد من سعادة حقيقية وسط زوجها، وأولادها.

وهكذا تؤمن عهد تمامًا أنها أخذت ال ٢٤ قيراط كما تؤمن مديحة بأنها دائمًا ينقصها شيء ما، وهى غير مدركة أنها أدركت هذا الشيء الذي تشعر أنه ينقصها في حبها الشديد للمال غير عابئة بإيجاد تلك المساحة الغنية بالدفء بينها وبين زوجها، وبينها وبين ابنتها الوحيدة ياسمين.

وهذه هي الحياة، فيها الكثير من الأشخاص الذين يتمتعون بشيء عظيم اسمه الرضا، وآخرين منزعجين بفكرة البحث عن شيء ما، ربما يملكونه بالفعل، ولا يشعرون بقيمته؛ فهؤلاء دومًا على عكس الحقيقة؛ فهم يرون أن الأشياء التي يملكها غيرهم لا بد أن تكون لهم أيضًا على الرغم من بساطتها بالنسبة لما يملكونه، لذا دائمًا لديهم شيء ما ينقصهم؛ فيطمعون دومًا بما في أيدي غيرهم على الرغم من أنهم من الممكن جدًّا أن يهيئوا لأنفسهم متسعًا من براح القلب والروح لتصير مثل هذه الأشياء البسيطة في مظهرها، والغنية في جوهرها حولهم، وبين أيديهم، لكنهم لا يشعرون. تمامًا كعدم شعورهم

بالكثير من النعم التي تكفيهم وتزيد، وليست عند غيرهم؛ لأنهم ببساطة لا يملكون نعمة الشعور الرضا.

الڤيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

بعد أن فتحت ناريمان الموبايل، وجدت أن رنات كثيرة كانت تعاود الطرق على وجه أيامها؛ فَتنظر على الشاشة لترى أن كل الرنات كانت من أمجد، وها هو يتصل الآن، فتقرر أن تتركه، ثم تكمل حديثها مع مليكة، وتقول:

- حصل خير يا مليكة، عمومًا أنا فِعلًا أخدت رقم الماركت.

ثم انتبهت أن مليكة بدت تذكر زوجها سيد، وما كان منه بالأمس، فتقول لها:

- انا أكيد مقدرة ظروفك يا مليكة، انسي سيد، وكل اللي حصل، وتعالي نحضر الفطار، نفطر الأول، وبعد كِده تحكيلي لو حابة طبعًا، تكملي حكايتك عن مشكلتك مع سيد يمكن أقدر أساعدك.

توافق مليكة وتذهب معها لتساعدها؛ فأدخلت معها معظم الأشياء بالمطبخ، وها هي تقوم بغسل البراد الكهربائي، وتحضير الشاي، وكذلك غسل الأطباق، والملاعق، ثم الذهاب إلى طاولة السُفرة لتنظيفها قبل أن تأتي ناريمان لتضع عليها صينية الشاي، ثم تضع الفطور بالأطباق، لتجلسا معًا لتناول الطعام.

تنظر إليها ناريمان بمودة، وهى تتناول معها الفطور، فتبادلها مليكة المودة من كل قلبها، ثم تحادث ناريمان قلبها وتقول "ربما تكون مليكة هي رسالة من رسائل السماء التي اعتادت أن تتلطف معي بها؛ فأرسلتها لي لتعيننى على مجابهة ما يطرأ بأيام حياتى بالوقت المناسب، وأتمنى أن أكون أنا لها كذلك، وأستطيع أن أساعدها".

تنتهيان من تناول الفطور. تشكرها مليكة جدًّا؛ فتبتسم وتقول لها "لا شُكر على واجب"، ثم تستأذنها مليكة، وتطلب منها أن تأخذ الموبايل كي تجري مكالمة مهمة جدًّا، فتعطيها ناريمان الموبايل بكل أريحية، وما إن أمسكت مليكة بالموبايل، وبدأت في وضع الأرقام حتى اختفت ابتسامتها، وها هي ناريمان تنظر لوجهها بدقة، وترى ملامحها بوضوح، وقد تغيرت، وبدى عليها الضيق.

تشعر ناريمان بالحرج، وتستأذنها مليكة على استحياء أنها ستصعد الطابق العلوى، كي تتحدث مع الطرف الآخر على راحتها؛ فتهز ناريمان رأسها مرحبة جدًّا بأن تتركها على راحتها، فقد ظنت ناريمان أنها ربما تحتاج أن تُخبر أحدًا من عائلتها، أين هي، أو لعلَّها تريد مُحادثة زوجها، ثم شيئًا فشيئًا بدأ صوت مليكة يعلو، ويعلو حتى وصل لمسامع ناريمان رغمًا عنها، وهي تقول:

- خلاص يا خالد، ما عاد عندي أعصاب تتحمل كل اللي أنا فيه، وانت واقف تتفرج عليا، حب ايه ده اللي يعرضني للمهانة والمرمطة، خِلصت خلاص، من فضلك لازم المشكلة دي تتحل.

ثم تغلق الخط، وهى تبكي بحرقة. تندهش ناريمان مما سمعت، وتنزعج في ذات الوقت مما شعرت به من خلال كلمات مليكة، وترديدها لاسم رجُل لم تذكره قبلًا، ومن الواضح جدًّا أنها على علاقة ما به، وقبل أن تتوه مع مشاعر تورطها أكثر مع مليكة.

تلتزم الصمت، وتبدأ بالتفكير بشكل مختلف على الرغم من أن رنات موبايل أمجد لم تهدأ، بل ظلت تعاود الطرق على وجه أيام ناريمان، فَتمسك ناريمان بالموبايل، ولا تدري لمَ ترد عليه الآن، ربما تريد أن تخرج تلك الثورة العارمة التي تدافعت بداخلها من الجميع، على الرغم من أنها كانت منذ لحظات ما زالت تفكر بأمر مليكة، ولا تعرف ماذا تفعل لأجلها، أتواسيها، أم تدَّعي اللامبالاة، ثم ترد بتوتر شديد:

- أيوه يا أمجد

فيحادثها بصوت عالٍ جِدًّا لم تستطع أن تفهم منه أي شيء، فتقول بصوت مهذب على الرغم من أنها تزداد توترًا:

- من فضلك، وطي صوتك، انا مش قادرة أنزعج أكثر من كِده.

يتهكم عليها أمجد بمنتهى العجرفة، ويقول:

- ايه تنزعجي دي يا مدام، قرفتيني بإسلوبك، بقولك ايه، جاوبيني حالًا، ازاى الفلوس لغاية دلوقتي ما وصلتني، وازاي تفكري مجرد تفكير بأنك تاخدي الفلوس دي كلها من غير ما اعرف.

تصمت لثوانٍ يقتلها فيها الحزن على حالها مع رجُل ليس لديه ذرة مروءة، يريد كل هذا المال ولا يهتم أنها دون مليم واحد؛ فيشتاط غيظًا من صمتها، ويقول ثائرًا:

- ردى عليا يا هانم، مابترديش ليه؟

ثم دون تفكير، تغلق ناريمان الموبايل في وجهه، تغلق، وهى غير عابئة به؛ فلم تعد ناريمان كما كانت، وبخاصة بعد أن دخلت لهذا المكان القميء، وقررت أنها لن تجامل أحدًا على حساب مشاعرها حتى أميرابنها؛ فهى في تلك اللحظة، وصلت إلى الذروة، ولا تريد الحديث مع أحد بأي شكل من الأشكال.

تحاول ناريمان أن تنسى أمر أمجد نهائيًا، كي تستطيع أن تواجه ما تشعر به من مشكلات قادمة إليها لا محالة؛ فقد تيقنت تمامًا أن معظم ما كانت تشعر به قبلًا من مخاوف قد بدى يتحقق مع الأيام، لذلك هي الآن لا بد لها أن تفيق من استغلال أي أحد لها؛ فتنادى على مليكة، وهى ما زالت في قمة ثورة الغضب التي تهلك مشاعرها، لكنها تحاول أن تسيطر على تلك الحالة، وتتحسب قدر الإمكان ألا تجرحها، وبخاصة بعد ما ترامى لسمعها رغمًا عنها ما قالته مليكة بالمكالمة التليفونية حين طلبت منها تليفونها منذ قليل، وأجبرت أن تناديها الآن؛ لتتحقق مما سمعته منها بهذه المكالمة التليفونية، فتأتيها مليكة، وتنظر إليها بود يساوره شعور خفي بأنها تشفق علي ناريمان من شيء ما، لا تدركه، فقالت لها:

- اعتقدت انك تفضلي تكوني لوحدك.

- ناريمان، لا أبدًا.

- ممكن يا مليكة تعطيني الحق انى أسألك عن المكالمة اللي غصب عنى سمعتها؛ لأن صوتك كان واصلني فوق.
- أكيد طبعًا أنا مقررة من وقت ما فتحت لك قلبي، وانتي فتحتيلي بيتك انى أقولك على كل حاجة.
- أتفضلي، أنا سمعاكى.

تنظر إليها مليكة، وهى في منتهى الخوف، والخجل قائلة:

- ممكن أطلب منك طلب بسيط قبل ما احكي.

تتنهد ناريمان وهى تحاول أن تأخذ نفسًا عميقًا لتهدأ قائلة:

- أكيد ممكن.
- يا ريت تسمعيني بقلبك الكبير اللي أنا حاسه بيه جدًّا من وقت ما دخلتيني بيتك لأني فِعلًا محتاجة مشورتك.
- الجارللجاريا مليكة.
- أيوه طبعًا عارفة، ومتربية والله ع الأصول دي، احنا صحيح ناس على أد حالهم، لكن اتربينا والله ع الأصول، انتي كتر خيرك، دخلتيني واتحملتيني في بيتك، وانتي ماتعرفنيش، ودى كبيرة عندى قوى، الناس هنا معظمهم غيركِده خالص، انتى فِعلًا بنت ناس بصحيح.
- يا مليكة الله يكرمك، مايصحش كل شوية تفضلي تحرجيني بالكلام ده، احكي يا مليكة كل حاجة، يمكن ربنا يقدرنى، وأقدرأساعدك.

يوم جديد.

قررت ناريمان ألا تكترث بعد الآن على الإطلاق لتليفونات أمجد التي لم تتوقف معها منذ ليلة بيع الڤيلا حتى اللحظات الفائتة؛ فقد انتهى الأمر بالنسبة لها، ولم تعد ناريمان كما كانت قبلًا؛ فكل ما عليها الآن، هو أن تخرج من هذا النفق المظلم، وتسعى للعمل الجديد الذى تأمل أن يعوضها عما فات، وتذكر نفسها أن مجرد التفكير فيما سوف يقدمه أمجد لها، ولابنهم درب من دروب الخيال؛ فتلك المشاعر الطبيعية التي من المفترض أن تكون بين الزوج، وزوجته، والأب، وابنه كثيرًا ما تغافلت عنها، ولم يستوقفها أنها لم تجدها يومًا بقلب أمجد، على الرغم من أنه كان يتبارىَ في أن يبدو أمام الناس شخصًا حنونًا، وكأنه أب غاية في رقة المشاعِر النبيلة، والعطاء. تندهش لأمره، وتأسف أنها لم تشعر على الإطلاق بأنه كان يجب عليها ألاَ تمرر كل هذا دون وقفة تستحثه فيها بأن إحساسه الفطري على الأقل بابنه يجب أن يستوقفه، ويحاول أن يكون كما يظهر أمام الناس، وقبل أن تبكي على حالها لأنها كان يجب عليها أن تأخذ منه موقفًا حازمًا، تفيق من دوامات ذكرياته المؤلمة معترفة بأنه لم يدرك أو يشعر أنه زوج أو أب، ومسئول عن ابنه، ولذا هي الآن تتوقع منه أي شيء، وهكذا بمواقف معينة لا تستوعب مشاعر ناريمان أشياء بعينها؛ فتنزلق بعواطفها الجياشة غير مقدرة العواقب الوخيمة، كتلك الأوقات التي مضت بالساعات الأولى من ليل الأمس حتى هذه اللحظات التي تجمعها بليلة أخرى بمليكة، وعلى الرغم من إحساسها بالمسئولية تجاه مليكة بعد أن ائتمنتها على كل ما يخُص حياتها دون كذب أو

موارية، إلاَ أن ناريمان لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة تعطيها فيها رأيها بعد كل ما حكت عنه مليكة.

أما عن مليكة، ودموع عينيها التي سالت أمام ناريمان، وكادت تغسل بها أوساخ تلك الڤيلا، فكم تمنت ناريمان أن تكون أيضًا غسلت ذنوبها التي سردتها أمامها بمُنتهى الصِدق، فلم تجد ناريمان بلية الأمس شيئًا يمتص كل هذا الكم من الغضب الذي احتواها من مشوار أيام مليكة ومن أمجد، ومن وجودها بهذا المكان، سوى أن تنهض، وتنظف هذا المكان المفروض عليها بأكمله بكل ما فيه، بكل ما أوتيت من قوة، وما كان من مليكة سوى العمل معها يدًا بيد، حتى انتهوا تمامًا من تنظيف الڤيلا بأكملها في صمت تام دون كلمة واحدة بينهُن.

الصوت الوحيد الذي ظل يجوب الڤيلا ذهابًا، وإيابًا معهما عن طريق موبايل ناريمان هو تلك المقطوعة الموسيقية Love Story، والتي ما أحبت ناريمان غيرها، ثم دون كلام، أعطت ناريمان لمليكة ملابس داخلية جديدة لم تستعملها من قبل، ومنشفة، وقميص نوم حريري أبيض، لم تستعملهم أيضًا، لترتديهم بعد أن دخلت كل واحدة منهما لتأخذ شاور، وبعد أن وضعت ناريمان بكل حمام أدوات الاستحمام الخاصة، لتخرجا بوقت واحد، ثم تهبطان دون كلام للطابق الأسفل.

وما إن وضعت ناريمان رأسها على الفوتيه الزيتي الغميق، بعد أن كسته، والمقعد الآخر، والأريكة الممزقة بملاءات بيضاء نظيفة كانت أتت بها من بيتها من عندها، إلا، وجلست أمامها مليكة ممدة جسدها المرهق بفعل

الأيام على الأريكة المتعبة، لتهدأ ناريمان، وتراها شابة لطيفة في نهاية الثلاثينيات من العمر، حتى بدأ يحيرها السؤال "هل نحن الذين نشارك في صنع أقدارنا، أم أن أقدارنا خطى كتبت علينا أن نسير مع أيامها بكل ما لنا، وما علينا؟".

مصر الجديدة.

١٩٨٩ م

لم تترك كريمة هانم أي فرصة أمام ناريمان ووالدها، إلا وكانت تتحدث عن أمجد، وحيويته، وأخلاقه التي لا يتمتع بها سوى أولاد الأصول؛ مما كان يجعل ناريمان تنفر لإثارة هذا الموضوع ببدايات تعارفها إلى أمجد، وعائلته.

في ذلك الحين كان أمجد بطلًا من أبطال السباحة، وكان قد دعاهم والده لنادي الجزيرة الرياضي لعدة مرات، ثم تعددت اللقاءات بينهم ما بين نادى هليوبلس، ونادى الجزيرة بمرور العام الذي تعارفوا فيه؛ فبدأ يجذب انتباه ناريمان بأنه كان يختصها من بين فتيات نادى الجزيرة بالاهتمام الكبير، ولم تكُن تدرك أن اهتمامه هذا كان مخططًا له، ولم يكُن نابعًا من القلب؛ فقد وضع عينيه عليها كعروس له منذ زيارتهم الأولى لمنزل والدها، والتي رأته فيها لأول مرة، وهو يجلس لجوار والده الخلوق، ولم تكُن تدرك وقتها أن تلك الزيارة ليست مجرد زيارة عادية بين صديقين قدامى، بل كانت بعلم والدها، ووالده.

حين أخبر والد أمجد، صديقه عاصم، والد ناريمان أنه يبحث لابنه عن عروس، ولن يجد أفضل من ابنة صديقه بنت الأصول؛ إذ كان وقتها السيد مهران، والد أمجد، يبحث بدفاتره القديمة عن أصدقائه، وبناتهم، وبالفِعل راح يبحث بجدية عن ابنة أحدهم علَّها تصلح من شأن ابنه، وتبعده عن فتيات السوء اللاتى كان يقضي معهن أوقات فراغه بتشجيع من والدته بلا ضابط، ولا رابط، حتى تأثر مستواه الرياضي نتيجة استهتاره، وسهره المستمر، وبالفعِل كانت رغبة أمجد أن يبحث له والده عن عروس في إطار عائلي عن طريق علاقاته الطيبة بأصدقائه الدبلوماسيين.

لم يحلم أمجد بعروس يدق لها قلبه؛ لأنه أعلم بحال قلبه، الذي لم يدق لإحداهن من بنات العائلات التي يعج بهن وسطهم العائلي الراقي، حتى وصوله لهذا العمر الذي تخطى الثلاثين؛ فقد كان يستكثر نفسه على أي امرأة كما علمته أمه، ومع ذلك، كان مقتنعًا أن الزواج شر لا بد منه، بينما كان والده الخلوق يريد له الاستقرار بحياة زوجية هادئة، لهذا لم يجد له أفضل من ناريمان ابنة صديقه عاصم؛ إذ بحث، وسأل بجدية عن ظروفها، فعلم أن ابنة صديقه ما زالت أنسة، ولم تكُن قد تزوجت بعد. ارتاح أمجد للفكرة المُدبرة، وهو يختار ناريمان.

أما والدته يُسرية هانم، فكانت لا ترتاح إلا لوجود ابنها الوحيد المُدلل بين أحضانها، ولو كان الأمر بيديها لكانت تفضل أن يظل أمامها أمجد بلا زواج، وبلا مسئوليات؛ فهي سيدة مجتمع مستبدة، تعمدت ألا تحضر مع

زوجها أول لقاء لاستضافتهم لناريمان، ووالدها، وزوجته بنادي الجزيرة متحججةً بآلام مفاجئة بجسدها

قاصدة بكل قلة ذوق ألا تعيرهم اهتمام؛ إذ كانت ترى أن ابنها أمجد أميرٌ من أمراء ممالك الزمان، ولا تستحقه سوى أميرة، ليست موجودة سوى بالأحلام؛ لذا حرصت على أن تسمى حفيدها أمير.

أما عن ناريمان، فهى من وجهة نظر أمجد، ووالدته فتاة بنت أصول، ثرية، هادئة، منغلقة على نفسها تمامًا، وليس لها أي صداقات خارج نطاق عائلتها، وهذا كل ما أرادوه من أجل التباهي بين العائلات، وهى أيضًا تحتل مركزًا مرموقًا لكبرى الشركات الاستثمارية، ولم تتعدَ الثلاثين عامًا من العُمر، وهذا بحد ذاته كان مكسب كبير من وجهة نظرهم المادية البحتة؛ فكل هذه المميزات بالنسبة لأمجد وأمه جعلتهما يستحيل أن يتركا فتاة مثلها.

أما موافقة ناريمان على الزواج من أمجد، فكانت من بعد محاولات كثيرة من ناحية والدها لإقناعها به؛ فبدأ يصارحها أن أمجد اختياره هو، وليس اختيار زوجته كريمة هانم؛ لأنه مهندس مرموق، وشاب واعد، وابن صديقه الخلوق الذى يعرف معدنه جيدًا، وحدثها أيضًا أنه لن يخفى عنها شعوره بأن إعجابه بأمجد كان منذ أول يوم أتى بصُحبة والده من الباب، يريد الارتباط بابنته الوحيدة؛ فأدرك بمشاعره، أن هذا تصرف مُحترم، ويحتسب لأمجد من وجهة نظر أب يخاف على ابنته، ثم من بعد تفكير عميق بحالها الذي كان يسير من سيئ إلى أسوأ بسبب قصة حبها الفاشلة لمروان، والتي ظلت لمدة خمس سنوات متصلة تتعذب فيها بغيابه، وافقت ناريمان.

الزمالك..

١٩٩٠

تم زواج أمجد من ناريمان بشقة أهل أمجد الفخمة المكونة من طابقين بالزمالك، بناءً على رغبة مُلحة من يُسرية هانم والدة أمجد؛ إذ إنها رفضت أن يستقل ابنها الوحيد، ويعيش مع زوجته بعيد عنها، وعن والده. وافق والد ناريمان على هذا الوضع، بعد أن أقنع ابنته، مؤكدًا لها أنه لم يرى شيئًا يعيب بطلب يُسرية هانم، أو يتنافى مع الأصول، ولم يكُن يعلم الأب الخلوق أن ابنته الحبيبة سوف تعانى المُر من حماتها المتسلطة، يُسرية هانم، بتدخلاتها المستمرة في كل صغيرة، وكبيرة في حياتها بمُنتهى القهر، والجبروت؛ فلم تسمح لناريمان منذ لحظة دخولها المنزل بأي مساحة خارج نطاق غرفة نومها، وتنازلت ناريمان عن كل حقوقها بمُنتهى الهدوء كتصرف بنات الأصول، كى لا تشعر حماتها أنها جاءت لتستحوذ على بيتها.

حاولت بالبدايات كثيرًا أن تعاملها كأم لها، وقدرت بوعي محبتها، وتعلقها بابنها الوحيد، وبخاصة بعد أن أنجبت أمير، لكن حماتها لم تقدر أي شيء، وظلت كما هي، بل فضلت الاستحواذ على أمير، منذ أن اختارت له اسمه؛ مما جعل الأمور بينهما تزداد تعقيدًا، في حين ظل أمجد ظل يلعب دور المتفرج، ولا يتدخل بأي شيء، وبخاصة حين رأى ناريمان تتحمل تصرفات والدته، وتصرفاته التي عادت كما كان قبل الزواج، بلا ضابط، ولا رابط؛ مما كان له أسوأ الأثر على صحة والده السفير مهران، والذي كان يخشى الحرج أمام صديقه السفير عاصم، ولم يبرئ نفسه من ذنبه تجاه ناريمان، إلى جانب

أنه لم يكُن قادر على الإمساك بكل ما يشعر به؛ لأنه يعلم دهاء زوجته وخبثها، التي لا يستطيع أن يمسك عليها فعل بعينه، وكأن هذا كان نصيب نازيمان الوفير بتلك الحياة من خبث هاتين السيدتين؛ إذ تمامًا كان حال حماها كحال أبيها عاصم من زوجته كريمة التي لم يستطع أن يمسك عليها فعل بعينه تجاه ابنته ناريمان.

أما أمجد أبن السفير مهران فكان شخصًا سيئ السلوك بطبعه؛ لذا ظل والده غير قادر على الإطلاق على تقويمه؛ فحزن حُزنًا شديدًا لأنه خُدع من ابنه، واختار له ناريمان، التي كانت تتصرف إكرامًا لخاطره، تصرفات بنات الأصول الرزينة الحكيمة، ولم تُخبر والدها بشيء مما تعانيه في بيته.

استمرت يُسرية هانم في معاملة ناريمان أسوأ معاملة، وبخاصة بعد أن توفى زوجها السفير مهران، أما أمجد، فازداد سوءًا، لكنه كان يحاول أن يبرر لناريمان تصرفاته، ويعتذر كي لا تتركه، وكانت بسلامة نيتها تصدقه في أحيان كثيرة.

بعد مرور ثلاث سنوات.

فى تلك الأثناء كانت ناريمان تأخذ إجازات كثيرة من عملها بفعل ضغط أمجد عليها بطريقة أو بأخرى كي يعرقل مستقبلها على الرغم من عدم تقصيرها معه، وببيتها، وابنها؛ مما أثر في مكانتها الوظيفية، ونفسيتها أسوأ تأثيرًا.

فبدأ يجذب نظر والدها هذا التغيير الواضح عليها من شحوب، وضعف بالجسم، وعدم قابلية للحياة، وبعض من كلمات بدأت تتسرب إليه عن طريق شلة النادي عن سلوك زوج ابنته المعوج؛ فقرر أن يجلس معها منفردًا ليعرف ما بابنته؛ فروت له ما كان يحدث من أهل هذا البيت الذين تعاملوا معها بقسوة وجفاء، وكأنها غريبة بينهم، وأن سندها الوحيد فيه كان صديقه الخلوق السفير مهران رحمة الله عليه، ثم بدأت تروي له تصرفات أمجد غير الواضحة أو مفهومة بالنسبة لها؛ لأنه يتركها معظم الأيام، فريسة لأمه بحجة عمله، وانشغاله به، ليقرر والدها أن يطلقها من أمجد على الفور، لكنها على عكس ما توقع رفضت الطلاق من أجل ابنها الوحيد؛ مما استدعى والدها أن يطلب منهم أن يتركوا له ابنته، وحفيده لبعض الوقت كي تستطيع ناريمان أن تسترد صحتها، وعافية روحها.

ڤيلا القاهرة الجديدة.

بمرور الوقت وجدت ناريمان أن مليكة غير موجودة؛ فبدت تحتار للحظات، وتتساءل أين تكون ذهبت تلك الحائرة المسكينة؟!

(٧)

لو أننا أدركنا أن قيمتنا الحقيقية فيما نملك من مشاعر لكان لحياتنا ألف وجه، ووجه ملون بالفرح.

بعد ساعة.

تنتهى ناريمان من تدوين كل ما تنتوي القيام به، ثم تقوم على الفور بارتداء ملابسها مفضلة أن تتناول الفطور بأحد الكافيهات لتخرج من هذا المود الحزين؛ فهى تعرف أن رؤية الوجوه السعيدة بالصباح كفيلة بأن تجعلها تهزم كل ما تمر به من انتكاسات مع الأيام.

فى الكافيه.

بعد أن انتهت ناريمان من تناول الفطور تقوم على الفور، وتترك الكافيه، لتستقل سيارتها المرسيدس القديمة التي ورثتها عن أبيها وتسير بالطريق، ثم تضع يدها على الموبايل، لتطلب زميلها المستشار الاقتصادي سليم الخولي لتبلغه بقرب وصولها إليه.

سليم الخولى هو زميلهم القديم بالجامعة، وهاهي تغلق معه الموبايل، وهى سعيدة أن السنوات ما زالت حافظة للعشرة بينهم، على الرغم من نفور أمجد من تلك العلاقة الطيبة بينها وبين أصدقائها.

ثم تبتسم، وتدير كاسيت السيارة على تلك المقطوعة الموسيقية التي لا تفضل غيرها Love STORY، وهي تشكر الأيام، بأنها لم تكُن تخلو من اتصال طيب، ودود بينهم ما بين الحين، والحين للاطمئنان الأُسَري، والأخوي على بعضهم بعضًا، وبخاصة أن سليم، وروڤان كانا الأقرب دومًا لقلبها؛ إذ كان لقصة حب ناريمان، ومروان فضل كبير على روڤان في تصحيح مسارها الإنسانى، والعاطفي، والشعور بمحبة سليم الكبيرة لها.

فنضجت روڤان، وتفهمت أن سليم هو حبها الحقيقي، وأنه ظل مُقدّرًا جِدًّا لفترة تمردها التي لم تطُل؛ لأنه كان على يقين من معدنها الطيب، واحترامها لهذا الحُب الذي كان، وما زال يملأ قلبه لها، والذي كان أكبر دليل على صدق يقينه، وإيمانه بها، وأنها ظلت كل تلك السنوات تشكر السماء عليه، وعلى أجمل هداياها لهما، ابنتيهما؛ هنى، ورغد.

أمام شركة سليم الخولي.

قبل أن تركن ناريمان بسيارتها، وتتأهب للخروج منها، للالتقاء مع سليم بشركته، تتذكر اتصالها بصديقتها ماهيتاب التي تعيش بإنجلترا، والتي كانت وعدتها بإيجاد فرصة عمل تناسب أمير، لتدعوا ناريمان من كل قلبها أن تسمعها ماهيتاب أخبار طيبة.

بمكتب سليم الخولى.

يستقبل سليم ناريمان، وهو في منتهى السعادة أن زميلته سوف تعود به لسنوات الشباب، والجامعة، ويسعدون معًا بالذكريات الجميلة، وهم يتناولون بالمكتب عصير البرتقال الطبيعي الذي حرص سليم على أن يكون هو المشروب الذي يتناوله معها.

بالفعل، فهم ما زالوا يفضلونه كما كانوا جميعًا بأيام الجامعة، عندما كانوا يذهبون بسيارة سليم الفارهة بعد انتهاء أي يوم دراسي مُناسب ليتناولونه بمحل بعينه بوسط البلد.

لم يتطرق سليم من قريب أو من بعيد، سواء بهذه المقابلة أو طوال السنوات الماضية باللقاءات القليلة التي كانت جمعتهم، بالحديث عن مروان قط؛ لحرصه الدائم على مشاعر ناريمان، وهي أيضًا لم تتطرق بالذكريات التي استرجعوها معًا للحديث عنه.

انشغلت بما جاءت لسليم من أجله، وتناست تمامًا أن تخبره أن الأيام أتت إليها أخيرًا بمروان لكنه صار شخصًا آخر لا تعرفه، وكذلك لأنها قررت ألا تحكى عما فعله بها أمجد، كي لا ينشغل سليم بظروفها غير المُستقرة.

بعد مرور ثلاث ساعات.

تودع ناريمان سليم على أمل اللقاء ببداية الأسبوع القادم، ثم تعود تقود سيارتها، ولا شيء عائد معها غير تلك السنوات التي كانت تضمهم بالجامعة.

جامعة القاهرة - ١٩٨٤

منتصف العام الدراسي الأخير.

كانوا بالفرقة الرابعة بالكلية، وتتذكر كلمات مروان جيدًا حين كاشفها أن شيئًا ما يشعر بأنه عظيم يجمع بينهما، ألا وهو الحب الصادق، الذي صمد لمدة أربع سنوات متتالية، بوجه كل المغريات التي كانت تسعى للتفرقة بينهم؛ إذ كان يوجد أكثر من زميل لهم بالجامعة، وعلى نفس مستواها الاجتماعي، كلهم كانوا يسعون لطلب ودها بجدية، وهى لم تكُن تعيرهم أي اهتمام؛ لأن قلبها لم يدق لغيره.

أما مروان، فكان لا يلتفت لمطاردات زميلتهم روڤان له، فقلبه لم يكُن يدق سوى لناريمان، وهو غير طامع أو متأثر بوضعها الاجتماعي، أو وضع غيرها؛ فلم يغريه حين عرضت عليه روڤان الزواج منه، وهو الفقير، وكانت روڤان وقتها ابنة أحد رجال الأعمال الكبار، تمُر بحالة نفسية سيئة، وكانت على استعداد للارتباط به، ومواجهة أهلها، وهو على هذا الحال؛ إذ كان تفوق مروان الدراسي، وحياؤه الزائد الذي لم يؤثر في قوة شخصيته، ووضعه المُحترم بين من أحبوه من زملائه، سببًا لجذب الأنظار إليه.

أحد أيام العام الدراسي.

شارع قصر النيل.

أحد محلات الأحذية.

لم يجد مروان أي حرج يوم دخل عليه اثنان من زملائه أحد محلات الأحذية التي كان يعمل بها بشارع قصير النيل منذ أن كان طالبًا صغيرًا بالمرحلة الابتدائية؛ إذ كان مروان يعمل طوال العام، وليس بالإجازة الصيفية فقط؛ نظرًا لشدة احتياجه للمال من بعد وفاة والده، وزواج والدته من شخص عذبه أشد العذاب؛ فخرج للعمل كي يعول نفسه من وقتها حتى لحظة تخرجه في الجامعة، ليتعين من بعد تخرجه مباشرة معيدًا بالجامعة، ويترك العمل بمحل الأحذية، ذلك العمل الذي تفانى فيه مع الالتزام بدراسته دون تقصير في أي منهما.

تتذكر ناريمان الموقف الذي حدث بالمحل، الذي كان يعمل به مروان بشارع قصر النيل، وكان حديث الزملاء حِينها، وكأنها كانت معهم ترى مروان، وهو ينحني على ركبتيه ليقوم بعمله، بكل رجولة، وثقة، ويقيس لزميليه الأحذية التي اختاروها.

تحادث ناريمان نفسها، وهى تتذكر الناس في ذلك الزمن. وكأن تلك الثقة، وهذا الرضا الذي كان يميز مروان لم يكُن بغريب على الناس بالمجتمع المصرى حِينها.

وتعود لهذا اليوم الذي اختلفت فيه وجهة نظر كل واحد من زملائهم في الحكم على مروان بعد أن عاد زميليه من محل الأحذية، ليروي أحدهم

الحكاية، وهو شامت فيه، متباهٍ بأنه ابن أحد رجال مؤسسات الدولة ليشيع الخبر، وكأنه تعمد أن يفضح مروان أمام زملائه بالجامعة، لينقسم الزملاء ما بين مؤيد، ومعارض، ومستهزئ.

أما الآخر فكان زميلهم سليم الخولى، ابن رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي المصرى وقتها، والذي اتفق جدًّا مع مروان، ومع تصرفه الرجولي بالعمل، كي يستطيع أن يكمل دراسته، وصار يدافع عنه كلما كان هناك مجال للحديث من خلف ظهره باعتباره أعز الأصدقاء له، ولناريمان.

الجميل في الأمر أن مروان لم يستحِ من أن يعرف عنه زملاؤه أنه يعمل بمحل أحذية؛ مما زاد من قدره عند ناريمان.

كانت ناريمان مدركة تمامًا أنه لا يوجد أي شيء على المستوى الاجتماعي مشترك بينها، وبين مروان سوى أنهم على المستوى الإنساني يدرسون بنفس الجامعة، وبنفس القسم، وأنهم بنفس مستوى التفوق الدراسي، أما على المستوى العاطفي، فالحب القوي الذي جمع بينهما، وكان يراه البعض من زملائهم غير لائق بمكانتها الاجتماعية كانت هي تراه أعظم ما حدث لها على المستوى الشخصي، والإنساني، وكانت ترى أن تفوق مروان الدراسي مع ثقل شخصيته المتفردة في العديد من الجوانب الإنسانية، والعلمية سوف تجعل منه الزوج الذى تفتخر به بين أفراد عائلتها، وطبقتها الأرستقراطية.

لم ترَ ناريمان في الفقر عيبًا منذ أن قابلت مروان، بل اقتنعت أن الفقر هو فقر النفوس الضعيفة، وبخاصة بعد أن رأت مروان من أغنى النفوس.

أما روڤان، فالأكيد أنها كانت تريد من مروان شيئًا ما. شيئًا ما، ليس هو الحُب بمعناه الحقيقي، إنما هو شيء ما أشبه بالثورة على تدخلات والدها، ووالدتها الزائدة عن الحد في اختيار أصدقائها، وتشجيعها دائمًا منذ الصغر أن تكون حريصة جِدًّا في اختيار أصدقاء، وزملاء لهم مكانة مادية، واجتماعية بعينها، ليس لشيء سوى لطمع في نفوسهم لأن يصلوا بين هذه الطبقات التي كانت أعلى منهم بالبدايات لما يريدون؛ فعلموها كيف تستغل من حولها، وتكون وصولية منذ الصغر، بل، وكانوا يتدخلون ليباشروا بأنفسهم هذا الاختيار ليس للاطمئنان على ابنتهم قدر ما هو اطمئنان على أنفسهم بأن تبني ابنتهم اختياراتها على أساس المصلحة، والمكانة الاجتماعية العالية لهؤلاء الأصدقاء، والزملاء بالمجتمع كي تعود عليهم المصلحة بأكبر استفادة، وبخاصة بعد أن ذاع صيت والدها، وعلا شأنه بين شركات خدمات التوظيف والسمسرة؛ إذ كان بالبدايات مجرد سمسار عادي، ثم عمل بالمشاريع السياحية من الباطن، وتولى أكثر من مشروع سياحي على مستوى البحر الأحمر الذي كان يستعد آنذاك لطفرة سياحية عالمية بالغردقة، وشرم الشيخ، إلى جانب مشاريعه التي دخل فيها شريكًا، كان يغطي على الفساد، لتتسع الدائرة، ويتولى مشاريع أخرى قائمة بمنطقة البحر المتوسط، والساحل الشمالي مما جعلهم بمرور السنوات يزدادون غنى، وإصرارًا على أن يصيروا بالفعل من صفوة المجتمع.

صيف ما بعد التخرج.

لم يكُن مروان يكره من كل أيام العام سوى الأيام التي تحرمه ناريمان بفترة الإجازات الدراسية؛ لذا لم تكُن الفترة التي انتهوا فيها تمامًا من الدراسة الجامعية بالفترة الهينة عليه، ومن المؤكد عليها أيضًا؛ فلم يفرح بعد تخرجهم في الجامعة بتعيينه معيدًا بذات الجامعة؛ لأنه كان يسعى للهدف الأكبر، وهو البعثة الدراسية، وبالفِعل ظل يسعى وراءها حتى حصل عليها، ليُصبح لائقًا اجتماعيًا بناريمان.

وها هي ناريمان تعود معه لسنواتهم البعيدة، حين اتفقا على أن تنتظره حتى يتم دراسة الماچيستير بأمريكا، ثم يعود من بعدها ليتقدم لخطبتها من والدها السفير عاصم، ويعُود ثانية لأمريكا لإتمام رسالة الدكتوراه ليعُود مرة أخرى ليتزوجا، وافقت ناريمان على ترتيب تلك الخطوات، ووعدته بانتظاره خطوة، خطوة.

قبل سفر مروان مباشرة.

تنقطع عنها اتصالاته لمدة أسبوع، ثم يتصل بها قبل السفر بيوم واحد، وبصوت منكسر حزين، يبلغها خبر وفاة والدته.

الڤيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

عادت ناريمان إلى الڤيلا تاركة ذكرياتها بمطارح القلب بعد أن ظنت كل تلك السنوات أن تلك المطارح خوت منذ أن آثر الرفيق الرحيل، وما إن دخلت الڤيلا حتى شعرت بفراغ قاتل، وهي بمواجهة الغربة التي أخذت منها الكثير لتواجه نفسها بمعاودة مرارة التساؤلات؛ فكيف لمثلها أن تصير مع السنوات بكل هذا السفه، والاستسلام لأمجد لمُجرد أنه زوجها وأبو ابنها؟! كيف ترتضي على نفسها أن تترك كل آمالها، وأحلامها التي تعبت في تحقيقها، ولم تكُن قط بالأمر اليسير عليها؛ فقد بذلت من الجُهد الكثير سواء مع أمجد أو في عملها الذي تركته بمجرد أنه أراد ذلك؟ كيف لها أن تتنازل عن جُهد السنوات بكل تلك البساطة، وتسير معصوبة العينين، كل تلك المسافات وراء من لم يشعر بها يوم، وكيف تخرج من جلدها، وتترك كيانها هكذا بكل بساطة لتأتي مُسيرة إلى هنا، مخذولة بحقيبة ملابسها، وبعض من ملاءات، وأغطية، إن هي سترت البدن لوقت لن تستطيع أن تستر خواء صار شيئًا فشيئًا يتكشف بالقلب، والروح كل الوقت.

تعترف ناريمان أنها لم تُراعِ عهد والدها معها بعد أن تقبل أن تعود لبيت صديقه، لتكمل حياتها مع أمجد من أجل ابنهم قبل وفاته بعام واحد.

نسيت ناريمان ما قاله والدها حين أوصاها أن تحتاط لنفسها من أمجد، ومن حبها الأعمى لابنها، ذلك الحب المرضي الذي قد يجعلها في يوم ما ربما تتنازل عن ما لا يصح أن تتنازل عنه، وهذا ما حدث منها بالفِعل كثيرا، كثيرًا، وعلى مدى سنوات وصولًا لتِلك اللحظة التي أغلقت باب بيتها وراءها،

وأتت بقدميها إلى حيث لا تشعر بأي راحة، أو انتماء لأي جانب من جنبات هذا المكان الموحش، لن تغفر لها نفسها ما فعلته بها؛ فكيف تطمئن نفسها، وتهدأ، وهى لا تشعُر بأي راحة، أو انتماء بمكان ليس به أي سبيل للراحة، وظروف لاتنبئ أبدًا بأمان، وكأن أمجد أراد لها المزلة، وهى التي أعزته، ووقفت لجانبه، وهو تعمد أن يبقيها بهذا المنفى الإجباري، وبهذا المكان القحط، وعلى الرغم من وجود هذا المكان وسط زروع، وظلال المنازل الأخرى الموجودة بالكمباوند إلا أنه يظل الوحيد الموحش، والمقبض.

تشعُر ناريمان منذ الأمس أن أمجد قد نصب لها الشرك الكبير، وأراد لها الوقوع فيه، لماذا؟ لا تدري. تحاول أن تهرب من التفكير بأمجد، ومشكلاته التي لا تنتهي، ولا تدرك لها أسبابًا سوى أن نفسه مريضة.

تحاول أن تطمئن نفسها بأنها أخيرًا احتاطت بالمبلغ الذي لم ترسله إليه، ووضعته بحسابها البنكي؛ فتتذكر حلمها بالرجل العجوز ذي اللحية البيضاء وتذكر الله اللطيف طالبة منه العون، ثم تفتح التلفزيون القديم الموجود على طاولة جانبية متهالكة بالليفنج روم، فترى برنامج قديم يعاد على الشاشة، ويتحدث فيه نجوم قدامى عن قيمة الفن في حياة الناس.

تظل منصته لكل ما يقال فيه لإدراكها قيمة الفن في تعديل الحالة المزاجية للبشر، ثم تترك مشاهدة البرنامج بعد أن أعلت من صوت التلفزيون بعض الشيء، علَّه يشيع بين جنبات هذا المنزل المميت بعضًا من بهجة لتستعيد هي روح الحياة، وتصعد لأعلى لتغيير ملابسها.

بعد مرور قليل من الوقت.

تتصل بصديقة طفولتها ماهيتاب كي تطمئن عليها، وتطمئنها على حال ابنها أمير، وتفهم منها ماذا فعلت من أجله؛ فترحب بها، وتخبرها أنها كانت سوف تتصل بها مساء غد، وأن أمير سوف يتسلم عمله بالفِعل الأسبوع القادم؛ مهندس بمكتب زوجها العقاري. تشكرها ناريمان جدًّا، وتطلب منها أن تبلغ زوجها جزيل شكرها، وأنها لن تنسى لهم موقفهم النبيل مع ابنها.

رنات جرس الڤيلا.

تهبط ناريمان للطابق الأسفل لتفتح الباب.

حى المهندسين.

ڤيلا المستشار سليم الخولي.

الثامنة مساء.

على طاولة طعام فاخرة يتناول سليم مع روڤان، وابنتيهم وجبة العشاء المكونة من شوربة الطماطم، وشرائح صدور الدجاج المشوية، وعصير البرتقال، يفضل سليم أن يوضع على الطاولة الطعام الصحي الذي لا يُجهد قلب روڤان، وبعض الأطعمة الخفيفة التي تروق للبنات، يمسك بكأس عصير البرتقال، ويعطيها لروڤان، والابتسامة تملأ وجهه، تلك الابتسامة التي لم تغيب يومًا، وما زالت باقية على شفتيه، لتبتسم روڤان، وتقول له:

- حبيبي يا سليم، ربنا ما يحرمنى منك.

- ولا منك يا حياتي.

تضحك هنى ، ورغد، وتقولان:

- نحن هنا.

يضحك سليم، وروڤان، ثم تقول روڤان:

- أحكيلي يا سليم، قابلت ناريمان؟

- طبعًا يا حبيبتي، وشربنا برتقال.

تضحك روڤان، وتقول:

- ياه يا سليم، كانت أحلى أيام.

لترد هنى، ورغد:

- أحلى أيام، ومخبيينها عن بناتكم حبايبكم.

تضحك روڤان، وتحكي لهم عن شلة الجامعة، ليظل الحديث موصولًا حتى انتهت البنات من الطعام، وذهبوا إلى غرفهم، لتكمل روڤان حديثها مع سليم عن ناريمان قائلة:

- طمنى عليها يا سليم، وحشانى جِدًّا، ما شفتها من وقت ما جت زارتنى أيام ما عملت عملية القلب المفتوح.

يرد عليها سليم، وكأنه شعر بكل ما بناريمان دون أن يشعرها بشيء وقت كانت معه بالمكتب صباحًا:

- هي حقيقي بتحاول تتماسك، طبعًا انتى أكترواحدة تعرفي صاحبتك.

- طبعًا ياسليم بتيجي على نفسها كتير، وما بتحب حد يشيل همها.

- بصي يا ستي، هى بتحاول من وقت ما اتصلت، وطلبت تقابلني في الشُغل أنها توصلي رسالة

أنها محتاجة الشُغل عشان تشغل وقتها من بعد سفر أمجد، وأمير، لكن إحساسي يا روڤان

أن الموضوع أكبر، وأخطر من كِده.

تصمت روڤان، ثم تقول له:

- عندك حق، وكمان احنا بعمرنا ده، محتاجين نرتاح مش ندور على شغل، هاتصل أطمن عليها.
- وخليها تيجى بكرة تتعشى معانا.
- براڤوا عليك يا حبيبي فكرة هايلة.

(٨)

الڤيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

ولربما ينبت بداخلك وسط قحط، لم تكُن تراه شيئًا ما.

شيئًا ما يزيح عنك بلحظة غشاوة عينيكِ، شئًا ما.. يكشف ما ظل مختبئًا بعُمق، وما ظننت أنه دُفن تحت الأرض، تلك الأرض التي ما ظننت أنها جدباء قاحلة يوم نزلت إليها بقدميك، شيئًا ما سوف يحيي ما أمات فيك كل ما هو جميل، وأنت لا تدري، بل وتراك كنت ترى بعمى بصيرتك، وسفهك المعهود منذ بدء الخلق أنك أنت سر جمال الوجود، ولا شيء سواك، ثم يبعث الله نور يزهر بطِيب كل ما قحط بداخلك، ويحيي فيك كل ما أماته ضميرك؛ فيوقظه ليوقظك، وتضيء بنفسك العتمة التي أغشت القلوب؛ فيبعث من جديد كل ما فيك، وكل ما ظننت بلحظة يأس أن ما أحلكته الأيام لن يعود بك سالمًا ثانية أبدًا.

تفتح ناريمان الباب، لتجد مليكة ترتمي بين أحضانها، وتعتذرعن خروجها دون استئذان. تستسلم ناريمان تمامًا لمليكة، وتترك نفسها بين ذراعيها. ربما تشعُر أنها بحاجة ماسة جِدًّا مثل مليكة لأن تلقى بهمومها بين أحضان إنسان، ودون أن تدري مليكة بما يدور بقلب ناريمان، والذي لا تعلم أنه يسمح لها بأن تفسح الطريق لسرد مشاعرها كيفما تشاء.

وها هي تشرح موقفها لناريمان بكل صدق؛ فتبدأ حديثها بأنها داهمها شعور بالحرج من ناريمان؛ لأنها أرهقتها جِدًّا بحكاياها، ثم تعترف لها أن تلك

الحكايا تتسبب بأذى نفسي كبير لها، وهى تحكي عنها، لكن على الرغم من مشاعر الحرج التي تتملكها إلا أنها مُطمئنة، ومُتأكدة من أنها أفضت سرها لصاحبة القلب الكبير، وأن الساعات التي جمعتهم منذ أول الأمس كانت هي الأقرب لقلبها، وهى التي فتحت عيونها على الحقيقة بأنها مهما كانت مشاعرها رافضة لسيد إلاَ أنها دونه مسكينة بلا حول ولا قوة، فلما لا تفكر بشكل هادئ عقلاني، ثم تسترسل مليكة بأن تلك الأوقات التي قضتها لجوار ناريمان أكسبتها شيئًا غاليًا بأن تحاول أن تدرب نفسها على الهدوء، وأن تلك الأوقات ستظل دومًا هي الأغلى لديها، وكأنها عِشرة عُمرها الطويلة.

تحاول ناريمان أن تتعامل معها بقلب كبير؛ فتبتسم لها ابتسامة هادئة، ومليكة تسرد عليها ما حدث منذ أن تركتها، فتخبرها مليكة أنها بعد أن فضفضت لها، وأزاحت عن صدرها هذا السر الكبير الذي ظل جاسمًا على قلبها لخمس سنوات متواصلة.

استطاعت أن تقنع نفسها أنها تتحرر بالفعل إلى حد كبير من حُب خالد، وتفيق بعد كل ما مرت به من مشاكل معه على حقيقة مؤكدة أن الحب الذي يضع صاحبه بهذه المكانة المهينة ليس بحُب على الإطلاق، وإلا لما ارتضى لها خالد كل ما كان يحدث من زوجها، وطرده لها من البيت، وهو لا يفعل أي شيء سوى أن يقف في كل مرة موقف المتفرج لا أكثر، لتكتشف أن خالد لا يستحق أي تضحية من ناحيتها؛ لأنه قبل عليها المهانة بكل هذه السهولة، وهى قبلت على نفسها أن تسير على هواه سير القطيع.

تعترف بمُنتهى الصِدق أنها تستحق ما يحدث لها من زوجها، وأكثر، وكأنه كان مستشعر خيانتها له، وأنها بكل سفه تخيلت بمرور الوقت أن هذا الوضع الذي لا يليق بين ثلاثتهم، هو أمر طبيعي جِدًّا، وبخاصة أنها لم تكُن تحاول أن تفعل لنفسها أي شيء يصون كرامتها، ويخرجها من هذا الهلاك؛ فتجيبها ناريمان أنها بالفِعل الآن قادرة على مواجهة ظروفها، وتمتلك القُدرة على الاختيار؛ لأنها أدركت الخطأ.

تنظر إليها مليكة دون خزي، وتقول إنها بالفِعل أخذت الخطوة، وخرجت من عندها مباشرة على بيت خالد بذات الكمباوند؛ فتندهش ناريمان مما تسمع، وتقوم لأخذ كوب ماء، بينما مليكة تسترسل في سرد حديثها بأنها ما أن رنت جرس باب الشقة حتى فتحت لها والدته الباب، لينقطع الحديث فجأة عند هذا الحد بين ناريمان ومليكة؛ بسبب مكالمة تليفونية آتية من أمجد.

تحاول ناريمان أن تسترد بعضًا من عافية الروح بعد أن أدركت أنها تستطيع أن ترد عليه بعد كل ما رآته من شجاعة في مليكة، وبصوت عالٍ يدعي الرجولة، وتنقصه الشهامة، يكشف أمجد عن وجهه الحقير الذي ظل يروح، ويجيء مراوغًا على مرأى، ومسمع من أيام، وليالي عُمر ناريمان، لكنها للأسف لم تكُن تدري حِينها أنها كان يجب عليها أن تواجه نفسها بأن زوجها كان طوال السنوات مخادع.

وها هو أمجد يصرخ عبر الموبايل ليراها بخياله المريض الذي عذبها به سنوات، وسنوات، وكأنها الآن تتحداه، وتقف في وجهه بالمرصاد، وما إن سمع

صوتها يرد على الهاتف حتى بدأ يراها بعمى بصيرته، وكأنها ترمقه بنظرة عين غادرة، كغدر أيامه لها، ليقول إن الديون التي تحاوطه لا تحتمل أن تجعلها تبقى عندها أموال بيع الڤيلا أو تأخذ منها شيء، ثم، وكأنها لا تلتفت لما يقول، فيراها مرة أخرى بعين خياله المريض، وكأنها همت من أمامه، وبدت تدير له ظهرها، وتمضي، ليشيح على البعد بيديه في وجهها، وهو يصدر فرمانه، بأعلى صوته أن تحول المبلغ غدًا بالبنك، وإلاَ لن تتحمل ما سوف يحدث لها. تغلق ناريمان التليفون في وجهه دون كلمة واحدة؛ فللصمت لغة أرقى من ضجيج الكلمات حين تؤلم المواقف، ويعز البوح، فتراه، وهو يرفع القناع الحقير الذي ظل يخفيه تارة، ويتكشف به تارة أخرى، ثم ما يلبث أن يعتذر لها سريعًا.. كي لا تعي أي الوجهين كانا وجهه الحقيقي، حتى إنها كادت ترفع له القُبعة الآن لبراعته في إتقان دور الطيب تارة، والشرير تارة أخرى؛ إذ كانت ناريمان تحتار كثيرًا لأمره، وتظن أنها لذلك لم تستطيع كل تلك السنوات أن تتخذ منه موقفًا بعينه لتحتاط، وتحذر.

تعلم ناريمان أن أمجد ينصعر على كل جنيه، وليس نصف مبلغ الڤيلا فقط كما ظن بفراسته المعهودة أنها سوف تفعل ذلك، لكنه للأسف الشديد لم تنفعه فراسته في الشعور بها كزوجة، وأم، فلم يكُن يدرك، ولا يزال لا يدرك قيمة ما كان بين يديه، سواء ما تركه له والده كولد وحيد، أو ما فعلته هي لأجله، وكأنه ليس هذا الرجُل الرشيد الكامل الذي وافق والدها على زواجها منه، بل كأنه هذا الطفل المُدلل صنيعة أيام دلع أمه له ليمكث كما تراه الآن في حجر الأيام، وكأنه شريد، ضال فاقد الأهلية.

لم يُقدر أمجد أن ناريمان لم تلتفت إلى استنزافه لأموالها أو لتركها عملها طواعية منها، وهى الخبيرة في الإدارة، والتسويق بالمؤسسة الاستثمارية الكبيرة التي كانت تعمل بها كي تتفرغ للعمل لديه وتسانده. فأين كان هو من كل هذا؟!

للأسف كان يحرق كل هذه الأموال بيديه؛ فلم يستطع أن يدرك حجم النِعم، ولم يُحافظ عليها بعد أن تطور حجم أعماله، واتسع، وصار مصنعه من أكبر المصانع، ولم تدرِ ناريمان بأي وقت كان زوجها يلهو بسنوات العمر؛ فتارة يتعرف إلى غانية تمتص دمه، وتستنزفه بصالات الخمر، والقمار، وتارة أخرى يدخل في صفقات مشبوهة فيضيع عليه معظم رأس المال؛ فيضطر للاستدانة، وإمضاء الشيكات حتى وصل الأمر بهم إلى ما آل إليه.

وهكذا ظلت ناريمان لا تعلم شيئًا عن كل هذه التصرفات المشينة التي كانت تتم بالخفاء، ويتستر عليه اللصوص الكبار الذين كانوا يعملون معه، كالمحاسب الخاص به، ومدير مكتبه، اللذين كانا لهما اليد العليا بعد أمجد في كل ما حدث من خراب.

كل ما أدركته بسنوات عملها معه بالمصنع أن كثيرًا من الأمور المتعلقة بالعمل كانت تدار بطريقة غير شريفة؛ ففضلت تقديم استقالتها، وتركت المصنع، وهو من أكبر مصانع المنطقة الاستثمارية، ثم ظلت حتى ليلة الأول من أمس سيدة منزل، ولم تأخذ خطوة قرار العودة للعمل سوى اليوم بعد مقابلة سليم.

تنظر مليكة لوجه ناريمان الذي تحولت كل تفصيلة فيه لموال يتغنى بالألم، لتظل صامتة أمامها لبعض الوقت بعد أن حاولت أن تنشغل بشيء ما؛ ففضلت مليكة أن تترك ناريمان لبعض الوقت، وذهبت للمطبخ أثناء المكالمة، ووضعت زجاجات العصائر التي كانت أحضرتها معها بالثلاجة، ثم ها هي تعود إلى الليڤنج روم، وفى يديها اثنتان لهما.

تضع مليكة العصير أمامهم، وتجلس على الفوتي، ثم تطلب من ناريمان أن تسمعها المقطوعة الموسيقية التي تحبها لأنها أحبتها. تحاول ناريمان أن تخرج من أحزانها بابتسامة لطيفة بعد أن وضعت قرارها الذي اتخذته يوم تركت بيتها، والذي لن تحيد عنه أبدًا، ثم تكمل لها مليكة مابدأت بناء على طلبها، وعلى أنغام موسيقا Love Story، تقول لها "بعد أن دخلت منزل خالد، أجلستنى والدته بالصالون ثم تركتني دون كلام، ولم أعلم أين ذهبت، استشعرت أن والدته لا تطيقني، بل وربما تريد أن تطردني، لكن لأنها سيدة مُحترمة تحملت الموقف الذي وضعتها فيه حين وجدتنى في لحظة، ودون استئذان أطرق عليها باب منزلها".

ثم تكمل مليكة ما حدث، وهى في منتهى القرف من نفسها "عادت والدة خالد بعد دقائق، وقبل أن أنطق بكلمة واحدة عن سبب زيارتى حاولت والدة خالد جاهدة أن تستقبلني بطريقة لطيفة إلى حد ما، وقدمت لي مشروبًا مثلجًا ربما يرطب قيظ الأوقات الحارة التي جمعتنا، ثم قالت إنها تعرفني، وتراني، وأنا أتريض صباحًا بتراك نادي الكمباوند الذي يطل على شرفتها، لم أملك سوى

أن أضع رأسي بالأرض خجلًا منها، وبخاصة حين ذكرتنى أنها يوم ما رأتنا بخلوة جانبية صباحًا باكِرًا، وكان التراك خالٍ من الجميع عدانا".

وكأن مليكة أرادت أن لا تقف بهذا الموقف مع والدة خالد لأنها تعلم أنها زوجة؛ لذا قصدت والدة خالد أن تصل إليها برسائلها المهذبة بطريقة غير مباشرة؛ فأخذت تحدثها عن حياتها مع زوجها والد خالد، وكيف أنها تحملت معه تبعات الحياة بكل ما فيها، وكيف أنه كان يقابل تحملها هذا بمزيد من الضغط عليها لأسباب لا تفهمها، وأحيانًا تدرك أنه يمر بأزمة ما في عمله، فتعذره.

ومن خلال ما تحدثت به بصِدق، أدركت مليكة أنها تلقنها درسًا في أصول التوازن في الحياة، والقرب من الله لأنه النجاة من كل شر. ثم، وكأنها تطلب منها بكل وضوح أن تنتشل نفسها من هذه الورطة، وتعيش بما يرضي الله؛ لأنه من السهل جِدًّا أن تكون سيرتها مع ابنها صارت حكاية تلوكها ألسُن جيرانهم بالكمباوند، ولم تذكر قط أنها كانت على علم بكل ما يحدث، أو أنها كأي أم كانت دائمة التوتر من تلك العلاقة؛ إذ إنه لم يكُن يرضيها حال ابنها، ولا حال مليكة، هكذا، وبمنتهى الذكاء أفهمت والدة خالد مليكة بأنها تشكرها على هذه الزيارة، وعلى تلك المفاجأة الطيبة؛ لأنها من المؤكد أنها ظلت في تلك المقابلة تتحاشى أن يجرح أحدهم.

تذرف مليكة الدموع أمام ناريمان، معتذرة لنفسها على ما أوصلت إليه حالها، وهى التي لم تكُن تقبل بأي كلب يقترب منها، لتكرر لها ناريمان أن دموعها، ووقوفها مع نفسها هذه الوقفة الصادقة هما مفتاح النجاة.

(٩)

بعد مرور أسبوع.

تسير الأيام هادئة بناريمان إلى حد ما، على الرغم من أن طيف أوقاتها لا يخلو من فوضى العناء؛ لانشغالها الدائم بابنها الوحيد، وبالقادم مع الأيام؛ فلم تعد ناريمان تفهم ماذا يريد أمير، بعد أن اطمأنت أنهم رتبوا معًا الأيام ما بين العمل بمكتب المقاولات، والعمل على مواصلة الدراسة للماچيستسر بالجامعة، ثم يختار أن يُكمل الحياة بإنجلترا أو يعود للأقامة، والاستقرار بالقاهرة.

تشعُر ناريمان أن ابنها به شيء ما، لا تدريه، فتحاول أن تتناسى آلامها بالانغماس في عملها الجديد الذي استلمته بشركة سليم.

حى المهندسين.

منزل سليم، وروڤان.

تجلس روڤان على أريكتها التي تقابل مكتب سليم بمنزلهم، وأثناء تصفحه لصفحته الشخصية على الفيس بوك، يجذب نظره بوست لأحد أصدقاء دفعتهم بالجامعة يدعو فيه زملاءه الموجودين جميعًا على صفحته لحفل سوف ينظمه الأسبوع القادم.

تنتاب سليم حالة من السعادة، وهو يخبر روڤان بما جاء بالبوست؛ لأن البوست يأخذ شكل الإعلان عن الحفلات الموسيقية لكبار الموسيقين؛ فتسعد مثله، وتخبره أن هذا الحفل سوف يكون فرصة جميلة لاستعادة أجمل أيام مع الجميع، وأنه من الظريف أن تكون ناريمان معهم، فيرحب سليم.

شيلا خالد

الخامسة مساءً.

يقوم خالد من نومه بالخامسة مساءً ليجد والدته أعدت لهما الشاي ليتناولانه بالليڤنج روم؛ فيطلب منها أن يتناولوه بالشُرفة كما المُعتاد؛ فتخبره أنها تود الحديث معه عن موضوع خاص، ولا تريد أن تخرج منها كلمة يسمعها أحدهم.

يوافق خالد، ويجلس أمامها كالطفل الصغير، ثم تبدأ تحدثه بمنتهى الجِدة عن جارتهم مليكة التي جاءت هنا لزيارتها، وأن تلك الزيارة لم تكُن زيارة عادية على الإطلاق.. ولولا أنها احتوت الموقف، لكان لحكايته مع مليكة التي كانت ترفضها شكلًا، وموضوعًا شأن آخر لن يرضى عنه بين جيران الكمباوند، وهذا لا يصح من رجُل مسئول مثله.

تتعالى في تلك الأثناء أصوات صراخ عالية بالكمباوند؛ فيهرع خالد إلى حُجرته، ثم يأخذ طبنجته، ويفتح الباب ذاهبًا خلف دوي الصوت؛ علَّه يقدر أن يفعل شيئًا بصفته مسئول كبير بجهة سيادية، يريد أن يحتوى الموقف الذي لم يدرك أبعاده بعد، تاركًا قلب أمه الملهوف عليه.

الدوحة

ظل أمجد حبيس ظلمة أيامه، إذ أخفى عن ناريمان أنه لم يعد باستطاعته العودة لمصر؛ نظرًا لكم القضايا المرفوعة عليه، وتلك الديون التي لا يريد سدادها، حتى إنه لو أراد تحقيق حلمه المريض بالانتقام من ناريمان على ذنوب لم ترتكبها معه لن تسمح له رحمة القدر عليها بذلك، لتمر عليه الأيام، وهو يهذى بمنفاه الاختياري بكلمات غير مفهومة كُلما كان وحيدًا بالشقة الفخمة التي استأجرها، والتي لم يعد يشاركه بها غير أوهام كؤوس الخمر التي أذهبت عقله.

بعد أن فشل في العثور على مبلغ بيع الڤيلا كاملًا، ولم يحاسب نفسه للحظة أنه نصب على شخص آخر ببيع ذات الڤيلا قبلًا، وقبض مبلغها كاملًا دون أن تدري زوجته، وأم ابنه ليعرضها لِما لا يحمد عقباه؛ لذا فضل أمجد أن يتناسى فعلة ناريمان الأخيرة؛ لأنه لم يكُن بيديه شيء يفعله، أو يستطيع أن يطالبها به، مكتفيًا بما سوف تلاقيه بالأيام القادمة؛ فاندمج إلى حد كبير في المجتمع الجديد الذي اختاره بنفسه تاركًا زوجة كل ذنبها بالحياة أنها تحملته إلى حد لم يكُن يتخيله؛ فزاده ذاك التحمل جهالة، حتى أعماه قلبه المريض، ولم يبصر أن تلك الزوجة إنسان، وله طاقة، ومن الوارد جِدًّا أن تستنفد في أي وقت.

الكمباوند.

ينقلب حال الكمباوند على تلك الجريمة البشعة التي راحت ضحِيتها سيدة في مقتبل العمر، ولم يتم إلى الآن تعرف الجاني الذي دفنها بشقة تستأجر كل حين، وكأن روح ربة وسكينة عادت للحياة.

تجلس والدة خالد بالشُرفة تتندر على زمن عاشته، كان فيه الصالح ظاهرًا، والطالح ظاهر أيضًا؛ إذ كان الخير موجودًا، والشر موجود لأنها طبيعة الحياة، لكن أن يتفشى الشر بهذا الشكل الصارخ، وأن تختلط الوجوه هذا هو الأمر القاسي، والخطير بهذا الزمن المختلف، والمتعدد الأقنعة.

ترى بعيونها سهرات الشباب، والفتيات كل ليلة، وترى أيضًا عودتهم لمنازلهم مع طلعة كل صباح، وهى جالسة بذات الشُرفة بعد صلاة الفجر.

تنتهى من قراءة وردها اليومي من القرأن الكريم، ثم تفتح صفحتها الشخصية على الفيس بوك، لترى عالمها الخارجي، والذي صار مع الأيام نافذتها الأخرى التي تطل منها لترى الحياة بعيون مختلفة؛ فتقع عيونها على بوست بأحد الجروبات الاجتماعية المُحترمة المشتركة بها؛ فتقرأ البوست الذي يدق على كل باب لنلتفت جميعًا للخطر القادم.

تقول صاحبة البوست "حكاية أعجبتني؛ فقررت نشرها، منقولة من سيده أعمال فاضلة معي على صفحات الفيس بوك". ثم تتركنا صاحبة البوست المنقول لنبقي مع سطور السيدة، وهى تحكى تجربتها، وتقول "بنتي الكبيرة هتبقي ١٦ سنة كمان كام شهر، بنروح مع بعض كندا، ونرجع هنا في

مصر، جينا نقضي الصيف هنا في مصر، كم القصص اللي حكتها لي عن أصحابها، ومعارفها اللي قدها، وازاي اتغيروا مرعبة! بجد بجد يا ناس فوقوا، وربوا عيالكم! ربوا عيالكم قبل فوات الاوان، ليه عيال في سن ١٥ سنة تشرب خمرة! ليه بنات تصاحب، وتروح تقضي اليوم في بيت صاحبها! ليه العيال معاها فلوس بالالفات، لدرجة انهم في السن ده خروجتهم يتغدوا في ساتشي! ليه بنات تعمل عيد ميلادها ١٦ سنة، كأنه فرحها! ليه نعلم ولادنا ان كل شيء مباح، وان الفلوس ملهاش قيمة! ليه من سن ١٥ سنه البنت تلبس Valentino and Gucci! ليه الساعة ال Rolex دلوقتي! طيب ايه اللي هيبسطهم لما يكبروا؟؟؟ ليه نطلع جيل بيقيم أصحابه علي حسب عندهم فلوس قد ايه!!!! والله، والله انا مبحبش أقارن، بس أصحابها في كندا آخرهم جزمة converse. ولو خرجوا راحوا السينما، مينفعش ياكلوا بره، علشان ميصرفوش كتير، لكن في نفس الوقت بيصرفوا آلاف علي رياضة، وتمارين وكورسات، المسألة كلها هي ثقافة أولويات، انا فعلا مصدومة من حجم المنظر اللي الجيل ده هيتربي عليها، احنا مكناش كِده".

ينتهى كلام السيدة الفاضلة على ذلك، وتغلق والدة خالد صفحة الفيس بوك دون أن تقرأ التعليقات التي سوف تزيدها ألم على آلامها، لتغلق وراءها باب شرفتها، وتدخل إلى المطبخ لتحضير الغداء علَّها تنسى، ولو لبعض الوقت هذا الألم.

بعد مرور بعض الوقت.

رنات جرس الڤيلا المستأجرة.

تفتح ناريمان الباب، وهي تعلم أنها مليكة فهذا موعدها المُعتاد معها منذ أن عادت لزوجها بالأسبوعين الماضيين.

- مساء الخير.

- أهلًا مليكة مساء النور حبيبتي.

- وحشتيني، أخبار الشُغل أيه؟

- جميل، الحمد لله.

- تستاهلى الحمد.

- طمنيني عليكي، عاملة أيه مع سيد.

- بخير والله، أنا بجد حاسة أنى أفضل بكتير.

- الحمد لله، انتى تستحقي الخير، وربنا كبير.

- كبير قوى والله وغامرنى بكرمه، وستره.

ثم تحاول ناريمان أن تطمئن من مليكة عما حدث بالكمباوند؛ لأنها لا تعرف أحد من السكان سواها.

- لسه يا مليكة ماتوصلوش للجانى اللي عمل العملة السودة دي في الست.

- لسه يا ناريمان، أنا قاعدة مرعوبة.

- سببها لله، ربنا يلطف بالجميع.

- أمين يارب.

رنات موبايل ناريمان.

- ألو.

- مساء الخير يا هانم.

- مساء النور.

- من فضلك، ناريمان هانم، فى موضوع ضرورى بخصوص الڤيلا، مروان بيه، ودكتور مديحة، حابين يتقابلوا مع حضرتك.

- أوكى، تحت أمرهم.

- ممكن نتقابل الليلة.

- ممكن طبعًا.

(١٠)

يوم جديد.

لم ترَ عيون ناريمان النوم الليلة الفائتة، سوى لوقت قليل جِدًّا قبل أذان الفجر بعد أن عادت مقهورة من مقابلة المحامي، ومروان وزوجته؛ فلم يخطر ببالها، ولو للحظة واحدة أنها سوف تسمع بأذنيها، وترى بعينيها يومًا ما كل ما سمعته، ورأته من زوجة مروان السليطة بعد أن أشاحت، وأطاحت وهى تتحدث عما حدث حين ذهبت إلى الڤيلا بعد مماطلة مروان لها، وعدم رغبته في الذهاب معها، لا لشيء لمسته سوى أنه يشعر أنهم احتلوا جنة المرأة المسكينة، لتقع المفاجأة الكبرى، يدخلون أصحاب آخرين للجنة المزعومة، وهم يرتبون بعض أغراضهم، ويفكرون كيف سيتواصلون مع ناريمان المسكينة بعد أن يئسوا من حضور زوجها أمجد، أو الرد عليهم، وعلى المحامي كما وعد لأخذ الحقائب الخاصة به.

تنهمر الدموع الحارة على وجه ناريمان؛ فلم يكُن يخطر لها على بال أن يفعل أمجد بها مثل هذه الفعلة أو أن يصل إلى هذا المستوى من الخِسة مع زوجته، وأم ابنه مهما بلغت ندالته؛ فقد أغلق هاتفه، ولم تستطيع أن تصل إليه طوال الليل؛ ففهمت أن المحامي لا بد أن يكون أبلغه بالمصيبة التي أوقعها فيها؛ فكُل ما يحدث لها لم يكُن يمر بمخيلتها، ولا يزورها كطيف من كوابيس الأحلام، ليؤكد لها قلبها أنها ما زالت بريئة لأنها رغم كل مخاوفها من

أمجد ما توقعت أن المواقف ستكون بهذه القسوة، وأن الأيام التي جمعت بينها، وبين مروان كانت تخفي لها كل هذه المصائب.

المقطم.

لم تكُن ليلة الأمس أحسن حالًا عند مروان؛ إذ إنها لم تكُن تختلف كثيرًا عن تخبطات ليل أحزان ناريمان، إن لم تكُن أكثر سوءًا، وأشد حِدة بكلمات التوبيخ التي وجهتها له زوجته دكتور مديحة على تعاطفه الذي لم يكُن بمحله مع تلك المرأة النصابة، ليلة وجودهم بالڤيلا لتوقيع عقد الشراء، وحتى ليلتهم بالأمس، لتنهره بكلماتها القاسية؛ لأنها لم تجد منه ردة فعل على مستوى الحدث الذي أوقعتهم تلك النصابة فيه، ليقف مروان أمام كلماتها الجارحة، ولسانها السليط تائه، شريد؛ لذا لم تكُن بالفِعل ليلة الأمس بالأمر اليسير قط على قلب مروان؛ إذ كانت ليلة الأمس هي ليلة ضياع الآمال، والأمنيات، وشقى العُمر، ليصحو مروان باكِرًا جِدًّا من نومه القلق، وكأنه ما زال هناك، أو ربما هو هذا العائد إلى الحياة من بعد حادثة سيركادت تودي به لموت محقق لولا رحمة السماء.

أمريكا.

منتصف الثمانينيّات.

أعتاد مروان منذ أن وصل إلى أمريكا أن يرتب أيامه بجدول أسبوعي كي يستطيع أن يلم بمنهج دراسته الذي دائمًا ما كان يفضل أن يعطيه الأولوية بالوقت.

ليلة الكريسماس.

انتهز زملاء الدراسات العليا إجازة الأعياد، وأصروا أن يصطحبوا مروان في تلك الليلة؛ لتقضية سهرة الكريسماس معهم، ليوافق من بعد محاولاتهم العديدة لإخراجه من شرنقة العلم التي حبس نفسه بها، ليستقلوا جميعًا قطار البلدة التي يقطنون بها ذاهبين لبلدة مجاورة بعد أن قرروا أن يقضوا سهرتهم بمكان جديد يبعد عنهم حوالي ساعة، وبعد أن قضوا جميعًا سهرتهم، وأثناء عودتهم ينحرف القطار، ويخرج عن مساره لينقلب بكل ما فيه، ليفيق مروان من هذا الكابوس الذي أخذ كل ماضيه، وذكرياته، ولم يعُد بِهِم حتى الآن، لينتبه أنه الآن بالقاهرة على قيد الوجود، وليس بأمريكا عند سماعه صوت زوجته، وهو يعلو، ويعلو حد الصراخ في وجه الشغالة المصرية البسيطة التي تلهث في كل يوم خلف لقمة العيش الشريفة، ومديحة لا تريد أن ترحمها من ذُل الأيام.

بذات الصباح.

تحاول ناريمان أن تخرج من عباءة أحزان ليلة الأمس، وتستقبل اليوم الجديد بشكل إيجابي؛ كي تستطيع أن تُلملم شتات أمرها، وتفكر كيف ستواجه هذا الأمر الخطير الذي من الممكن جدًّا أن يهدم كل ما تبقى لها من بناء بكل هذه السنوات، فتذهب لأخذ شاور دافئ علَّه يزيل بعض الألم الذى يرهقها، ثم ترتدي ملابسها، وتخرج من المنزل باكِرًا جِدًّا، لتقع عيونها، وهى تستقل سيارتها على والدة خالد، وهى تجلس بالشُرفة بذات الصباح الباكر، ثم تلقي عليها مليكة السلام من بعيد، وهى عائدة من رياضة المشي التي تمارسها أحيانًا بأي صباح باكِر، لتمضي ناريمان بعد أن ودعت مليكة، وتركت والدة خالد بشرفتها، لتفتح عيون القلب صفحاتها عبر نافذة الحكايا، فتعود والدة خالد بالذكريات، وتطرحها على أطراف ثوب الصباح لترى وجوه الناس المختلفة تدنو، وتنأى لتطُل من خلف الوشوش معظم تفاصيل الحياة، وأنه على الرغم من طبائع البشر المختلفة على مر الزمان إلا أن الأيام كل حين تقدم دليل إدانة جديدًا لتركيبة هذا الزمن القاسي، والذي يكشف عن حقيقة مؤكدة ألا وهي، أن البشر على مر الزمان من الطبيعى جِدًّا أن يكونوا مختلفين إلا أن الزمن الفائت يبرهن أنه كان هناك انسجام إلى حد ما في التركيبة المجتمعية للمصريين بمختلف مستوياتهم على العكس مما يحدث الآن تمامًا؛ فالتفاوت الذي غلب على طبائع البشر قبل مكانتهم الاجتماعية صار مزعجًا للغاية.

بالطريق.

ما زالت تقود ناريمان سيارتها، ويداها متشبثة بعجلة القيادة بشكل غير عادي، وكأنها لم تعد تملك بتِلك الحياة غير التمسك بالطريق، والتشبث بالنجاة؛ فتوقفت أمام كافيه قريب من الشركة، اعتادت من وقت قريب أن تتناول فيه فطورها، لكنها لم تقدر على أن تضع في فمها أي شيء، فطلبت الفطور تك أوى، حتى وصلت إلى مقر عملها لترسم على وجهها ابتسامة ثقة كمراجع مالي وإداري بشركة سليم، ثم تدخل مباشرة إلى عملها، فيدخل عليها كرم فراش المكتب الذي ما إن يراها بالشركة حتى يدخل عليها بمكتبها، ويستقبلها كما اعتاد منذ أول يوم أتت فيه بكل محبة، وحفاوة، بفنجان القهوة الذى تفضله لتعطيه هي الفطور الذي كانت طلبته تك أوى، وتغرق من بعد ذلك في دوامة العمل اليومي من الثامنة والنصف صباحًا، حتى السابعة مساءً، لينتهى بها اليوم كما بدأ على هذه الدوامة من الحزن، والمسئوليات التي تركها فيها أمجد وحيدة، ورحل.

بعد مرور يومين.

مساءً.

ما زال الحزن متعمقًا بقلب ناريمان، لكنها بقوة تُمارس حياتها بشكل طبيعي أمام الجميع، كي لا تعطي لهذا الحزن الفُرصة أن يطفو على سطح حياتها، ويطويها بين أيامه.

رنات جرس الشيلا المستأجرة.

تفتح ناريمان الباب، لتدخل عليها مليكة، وهى متجهمة، وكأن ابتسامتها ذهبت بعيد، بعيد، بمكان ما، ولن تعود الآن؛ فتقلق ناريمان عليها، وتسألها ما الخبر؟ فتجيبها أنهم وجدوا قاتل السيدة الشابة، للأسف القاتل شريكها في التجارة، ثم تستطرد مليكة، وصوتها يرتعد من الخوف، وتقول:

- هي الدنيا في الأصل بالقسوة دى، والا هي قسيت علينا احنا بالذات بزمنا ده؟!

تتنهد ناريمان، وكأن مليكة داست على جراحها مع الأيام والليالي، ثم تستكمل مليكة الواقعة المؤسفة، وتقول:

- هي الدنيا جرى فيها ايه؟!
- أزاى يا ناريمان، الراجل المجرم ده ياخد الست بعد ما هددته أنها تفضحه، بعد ما كشفت ستره؛ لأنه مجرم، وهربان من حكم بالإعدام في قضية قتل، وقضايا تانية محكوم عليه فيها، ومستخرج لنفسه شهادة وفاة، ومعاه كذا بطاقة مزورة، وبيملك عدد من الشقق بيأجرها هنا في الكمباوند، ومنهم الشقة اللي لقيوا فيها جثة الست اللى استدرجها فيها، منه لله، استدرجها بحجة أنه هايفرجها على الشقة اللي هيتنازل لها عنها عشان يشتري سكوتها، وهو حافر لها القبر فيها، والا مراته المجرمة اللي اشتركت معاه في أستدراج الست الغلبانة، ده غير التاني رجُل الأعمال، اللي اكتشفوا انه وأسرته

بالكامل مقتولين في ڤيلتهم، وترمخوا ع الجريمة دى بالذات عشان بيقولوا متورط فيها ناس كبيرة في البلد.

ناريمان تقول في حُزن شديد:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. كفاية يا مليكة، مش قادرة أتحمل.
- عندك حق يا ناريمان، أنا تعبانة قوي، من الزمن الأغبر اللي احنا عايشينه.
- يا مليكة، احنا البنى أدمين، اللي بنشكل تفاصيل الزمن، وأيامه بأدينا، وكل أزمة بنُمر بيها، للأسف بنفضل نلوم الدنيا، والزمن، والأيام، وهما مجرد مسميات بريئة بنفضل حطينها قصاد عنينا عشان نعلق عليها أخطأنا. يا مليكة، احنا المدانين.
- عندك حق.
- طمنيني عليكي.
- الحمد لله، على ستره، وفضله.
- الحمد لله، إدعيلي يا مليكة.
- بدعيلك من كل قلبي، ما لك يا ناريمان، فضفضى يا حبيبتي.
- أبدًا، موضوع بسيط، وهايتحل من عند ربنا بإذن الله.
- يا رب، وانا تحت أمرك لو احتجتيني في أي حاجة.
- أكيد طبعًا، أشكرك جِدًّا يا مليكة.

لندن.

تحاول ناريمان رغم الموقف الصعب الذي وضعها فيه أمجد، الاتصال بأمير لتطمئن عليه، مقررة ألا تشغله بمشاكلها مع والده، فقد ظلت تتصل به منذ يومين دون جدوى، وأخيرًا ها هو يرد على مكالمتها بمُنتهى اللامبالاة.

- هو في ايه يا ماما، حضرتك كل يوم اتصال، وانا ما عندى وقت أرد.
- أعتقد ان حقي عليك كأُ انك تسأل عنى وتطمنى عليك، ايه يا أمير؟ جرالك ايه يا بني؟
- ولا شيء، قلت لك مشغول.
- اوكي يا أمير.

تغلق ناريمان. الموبايل، وهى في منتهى الضيق، قائلة لنفسها "قلبي على ولدي انفطر، وقلب ولدي عليا حجر". تتذكر كيف كانت تضحي من أجله كثيرًا، وكيف أنها اعتادت أن تخفى عنه كل ما يضايقه، وكيف مرت بهم الأيام، ووالده مُقصر في تلبية معظم احتياجاته العاطفية، والمادية لسنوات، وسنوات مُستنزفًا مشاعرها، وأموالها بشكل غير طبيعي، ومستغل نقطة ضعفها كأم، لتسد هي كل هذه الفراغات الإنسانية بمُنتهى الرضا. ثم تتوقف عند كلماته الأخيرة لتلوم نفسها على كل ما تحملته بطيب خاطر؛ فتعاود نفسها اجترار الأحزان لأنها بمُنتهى السفه صار حبها الزائد عن الحد لابنها الوحيد، وخوفها الزائد عليه هما سبيله لأن يصل الآن إلى تلك الدرجة من الأنانية المُفرطة التي تملكت من نفسه، وأعمته أن يسأل عنها، أو أن يحاول أن يطيب خاطرها، أو أن يبذل بعض المجهود المتواضع من خلال مكالمة

تليفونية، ليشاركها وجدانيًا، ويسألها عن حالها، وماذا هي فاعلة بعد أن بيع البيت علَّه كان يدرك كل ما يمر بها الآن، كي يستطيع أن يشعُر بها.

وها هي نفسها تستوقفها كما استوقفتها قبلًا، وتؤنبها على كل ما فعلته بها لتصل بنهاية المطاف إلى ما وصلت إليه من اتهام مروان لها بالنصب، والاحتيال. أليست هي التي ضحت لأجل أمير بالمكافأة الكبيرة لنهاية الخدمة الخاصة بوظيفتها المرموقة، تلك الوظيفة التي تركتها بمنتهى الرضا، وأعطت لأمير المال كي يستكمل ابنها الوحيد تعليمه الجامعي بإنجلترا.

كانت هذه المكافأة هي كل ما تبقى لها من مال، بعد أن أجبرها أمجد منذ خمس سنوات على ترك عملها بأكبر شركة استثمارية بالمدينة؛ بحجة أنه الأحق بها لأنه الأكثر احتياجًا لها، ولخبرتها في مجال تسويق المشروعات الاستثمارية.

كان أمجد شديد الغرور، وقد صور له غروره بعد أن أصبح من كبار المستثمرين الصناعيين في مجال السيراميك أن باستطاعته أن يجعلها من ضمن حاشية خدامه؛ إذ إنه كان يرتعد من نجاحها فقرر أن يدوس عليها بأقدامه دون ذنب جنته، غير أنها إنسانة ناجحة، ومحبوبة من الجميع.

حدث منه كل هذا، وأكثر على الرغم من تواضعها، وخلقها الكريم معه كزوجة، وأم تدرك تمامًا ما لها، وما عليها. كانت ناريمان، وما زالت بريئة، ومستسلمة له تمامًا، ولم تدرك الفخ الذي أراده لها.

تفيق من ذكرياتها المؤلمة على رنات جرس الباب؛ فتذهب لتفتح الباب، وإذ بها تجد أمامها ضابط شرطة، ومعه طلب ظبط، وإحضار رسمي لها.

(١١)

كيف السبيل لأن أصحو على عالم بلا قهر، بلا غدر، بلا ألم، بلا ظلم، بلا حادثة سير، بلا جريمة، بلا غليان؟ كيف السبيل لأنجو بقلبي، وروحي من كل هذا الجنون، من كل هذا الفُجر، ومن كل هذا السفه المتنطع بدروب الأيام، القاتل للأحلام. كيف السبيل؟

لم تصدق والدة خالد ما تراه عينيها، من خلف نظارتها الطبية، وهى جالسة بذات المقعد بشرفتها، تحتسي قهوتها الصباحية، لتتوقفت عن قراءة تلك الكلمات التي لامست القلب، وحادثت الروح، كعادتها مع كتابات هذه الكاتبة المُفضلة لديها، والموقعة بحرفي (ج.. ج)، ثم تضع بيدِ مرتعشة فنجان القهوة جانبًا، وانتبهت لِما يحدث أمامها؛ فلم تستوعب للحظات أن تلك السيدة الرقيقة التي تمُر من أمامها كل صباح منذ ما يقرب من أسبوعين، وكأنها قارورة عطر، انتزع غطاؤها لتنساب بين أروقة الأيام، هي ذاتها من يصطحبها ضابط الشرطة الآن، فراحت تناديها بقلبها الأبيض الممتن لكل ما هو نقي، وجميل بهذا الكون، وتسائل الأيام عنها، وعن تلك الفعلة التي ينفي إحساسها أن تكون مثل هذه النسمة الرقيقة قد فعلتها.

وقبل أن تمضي بها سيارة الشرطة، كانت مليكة تشاهد الموقف في ذهول عن بُعد، وهى عائدة من رياضة الجري التي تمارسها باكِرًا كل يوم.

أذهلت الصدمة مليكة أيضًا، وما كان منها إلا أن التقطت من جيب الترنج الذي ترتديه سلسلة مفاتيحها، وفتحت سيارة زوجها، وسارت مُسرعة وراءهم بالطريق الطويل، حتى وصلوا إلى قسم الشرطة.

قسم شرطة القاهرة الجديدة.

ما زالت ناريمان بهذه الحالة من اللاوعي، واللاوجود منذ أن رنت عليها الشرطة جرس الباب، وذهبت معهم، وكأنها معصوبة العينين، حتى وصلوا بها إلى القسم.

كانت مليكةً قد لحقت بها، ووصلت إليها في الوقت المُناسب قبل أن يتم فتح محضر لاستجوابها، ودون أن تدرى ما الذي حدث كي تأتى ناريمان إلى هنا، تطلب منها ألا تفتح فمها بكلمة واحدة، إلا بوجود محامٍ سوف يحضر من أجلها في الحال.

وبالفعِل كانت مليكة طلبت المحامي الخاص بها، واستدعته على وجه السرعة لأمر مهم بقسم شرطة القاهرة الجديدة.

يصل مروان بصُحبة زوجته التي تتطاير من على وجهها قذفات نارية، ورغمًا عنه يتوقف أمام ناريمان للحظة فتطاله تلك النظرة البريئة، والهاربة منها إليه لتدينه، فتخبرها عيناه أنه مُدرك تمامًا بأنه هو الذي أتى بها إلى هنا، ليقفا الآن خصمان بأروقة القسم، وأن شيئًا ما منذ التقى عينيها ذات مساء، ما زال يصر أن يراها بمرآة قلبه، ويلومه على فعلته هذه.

شيء ما ما زال يتمناها، وكأنها كانت القريبة دومًا من ذاك القلب الذي قيدها بأروقة حكاياه شيء آخر غير الخصم، لكن متى؟ لا يدري.

ثم يتدارك مروان خطورة الموقف بعد أن رأى المشتري الآخر أتى لنفس الموقف المؤسف، وبنظرة أخرى شديدة اللهجة من زوجته، حاول جاهدًا أن يخرج مشاعره من تفاصيل ذاك المساء.

تدرك دكتور مديحة، ولا تنكر أن زوجها أحيانًا يشرد، ويتوه نتيجة الحادثة المأساوية الذي تعرض له ببدايات حياته بأمريكا، لكن شروده أمام تلك المرأة تشعُر أن له شأنًا آخر يقلب كيانها.

يتماسك مروان، وهو يسرد تفاصيل ما حدث أثناء اتخاذه الخطوات اللازمة لإجراءات التسجيل، ليكتشف بالشهر العقاري أن هذه الڤيلا، كان قد تم تسجيل بيعها لشخص آخر منذ أشهر قليلة على الرغم من أنه كان قد ترك للمحامي الأفَّاق مهمة البحث عن كل الأوراق الخاصة بتلك الڤيلا بالجهات الحكومية المختصة بذلك قبل الذهاب لشرائها، لكنه للأسف اكتشف أنه كان ضحية عملية نصب كبرى، لم يتورع المحامي الأفَّاق من الاشتراك بها، ثم ينهي أقواله هو وزوجته، ويطلب من ضابط الشرطة أن يرفق اسم المحامي رأفت فهمى المتواطئ معهم.

بعد مرور الوقت.

كفرس جريح، صار يبحث بلهفة في عيون من حوله عن بر أمان؛ فلم يجد. كانت ناريمان. تتحدث بقلب بريء ينزف ألمًا ولسان حال موجوع عن الاتهام المنسوب إليها أثناء وجودها بمكتب وكيل النيابة الذي بدى عليه مع مرور الوقت أنه مُدرك أن تلك المرأة على الرغم من انتباهه حضورها، وردودها الذي استشعر صدقها، إلا أن هناك شيئًا ما، شيًا ما جعلها بدت مخذولة حائرة لِما سوف يئول له حالها، وهي تدلي أمامه بأقوالها، فقالت إنها أتمت بالفِعل بيع الڤيلا للأستاذ مروان النعماني، بناء على رغبة زوجها أمجد مهران لا رغبتها هي، وبتوكيل رسمي منهِ، يفوضها فيه لذلك الأمر، ثم تصمت للحظات دامية الحزن لأنها لم تكُن مُدركة أنها كانت تعاشر وحش كاسر لم يعِ أن قلبها الحنون ظل يرافقه عقل راجح مُتزن يسانده، لذا حاولت جاهدة أن تتعايش مع رجُل أحمق من أجل ابنهم الوحيد.

تفيق لتسرد كيف أنه استغلها بسفره خارج البلاد وقت إتمام عملية البيع، وأنه كما أفهمها لا بد له من ذلك السفر لإتمام صفقة ضرورية جدًّا، ولا يمكن الرجوع فيها؛ لأنها سوف تنقذ وضعهم المالي من الأزمة الطاحنة التي يمرون بها؛ فوافقت دون تفكير لأنه بالفِعل كان مُوشك لا محالة على الإفلاس، وأن عدم الوفاء بسداد ديونه كان سيعرضه للسجن؛ لذا صار كل ذنبها الذي تمثل لأجله الآن أمام النيابة أنها زوجة، وأم وقفت إلى جانب زوجها حفاظًا على أسرتها؛ فوافقت على التنازل عن منزلها، وكيانها، وضياع حلمها الذي أسرفت في الحفاظ عليه كل هذه السنوات من العمر، وأنكرت

تمامًا كل ما ينسب لها من تهم، واعترفت بعفويتها التي وصلت حد السذاجة؛ لأنها رغم عِشرة السنوات لم تكُن تعلم أن أمجد بهذه الخسة، والندالة.

وتلك هي الحقيقة فلم يكُن أمجد بالفِعل أمينًا عليها بصفتها زوجة له، وأم لولدهم الوحيد؛ فخانها قبل أن يخون المشتري الأول حين باع له ذات الڤيلا محل النزاع منذ أشهر قليلة، ثم ها هو يخون مروان، ويبيعها له مرة أخرى عن طريق فخ التوكيل الذي نصبه لها، وأوقعها فيه.

طالبت ناريمان النيابة بأنها تريد أن تطلب حضور أمجد، وتوجه له اتهام رسمي بأنه هو المجرم، والنصاب الحقيقي، وليست هي، لتنتهي تحقيقات النيابة التي استغرقت حوالى يومين بخروج ناريمان من القسم بكفالة قدرها خمسون ألف جنيه.

بعد أن وكلت عنها المحامي الذي كانت أتت به مليكة ليدافع عنها مع تقديمها الدليل من البنك على حصول زوجها أمجد على نصف مبلغ بيع الڤيلا بعد أن أرسلته إليه، ثم أكملت اعترافتها بأنها لا تدري لماذا كان هناك شيء ما يدفعها دفعًا بأن لا ترسل لأمجد المبلغ الكامل الذى حصلت عليه من الأستاذ مروان.

وقبل أن يوجه إليها وكيل النيابة تهمة أخرى، وهى التواطؤ مع زوجها، واشتراكها معه بجريمة النصب، وتقسيم المبلغ بينهم، طالبت هي بتفريغ المكالمات التي كانت تدار بينهما قبل وأثناء وبعد بيع الڤيلا.

أذان الفجر.

منزل خالد.

تنتهى والدة خالد من صلاة ركعتي الفجر، وتجلس بعد الانتهاء من الصلاة لبعض الوقت على السجادة.

تدعوا لابنها خالد، وللعالمين أجمعين، بالهداية، وصلاح الأحوال، ثم تدخل إلى المطبخ لإعداد كوب من النيس كافيه؛ فتنتبه أن فراشة حائرة أتت إليها لتدور من حولها بالمطبخ، فتدرك أن روح زوجها تشعر بهم، وربما تحوم حولها الآن، كما كانت تسرد لها أمها بتلك الحكايات كلما شاهدت وهى صغيرة فراشة تدخل المنزل.

(١٢)

القطامية.

لم يسلم مروان من لسان زوجته السليط، واتهامها له بالسلبية خاصة بعد أن دافعت ناريمان عن نفسها أمام وكيل النيابة، وكأنها استشعرت تعاطفه معها، وبدأ يقتنع بكلامها، بل ومن الممكن جِدًّا أن يصدق كل ما قالت. يتركها مروان تلهث بالكلمات، ويدخل إلى الشُرفة، ثم يجلس بمكانه المُعتاد، يحتسي كوبًا من الشاي مع قطعة من الكيك، ويعُود بخياله معها في تلك اللحظات التي جمعتهم بمكتب وكيل النيابة، ليسترجع المشهد كاملًا، وهى تكشف عن حقيقة ما حدث، وتبدي استعدادها للتنازل له عن نصف المبلغ الذي احتفظت به لنفسها رغمًا عن زوجها أمجد، وكأن مشاعرها كانت مدركة لنيته المبيتة بالغدر لها دون ذنب جنت.

ثم يعود لذاك المشهد البعيد، والذي ظل يجيء، ويذهب مرارًا، وتكرارًا أمام عينيه طوال سنوات عديدة، وكأن أحدهم يأخذه من يديه، ثم يتركه، ويرحل ليجد نفسه يقف وحيدًا عند ذاك الفناء الواسع، وكأنه بأحد الأماكن الخاصة بجامعة من الجامعات الكبرى.

يشاهد وجوهًا عديدة لشباب، وفتيات ينادون عليه، وهو لا يرد النداء لأنه لا يعرفهم، أو ربما لا يتذكرهم، وها هو الآن فقط يستجمع ملامح وجه الفتاة التي كانت تشير له بيديها من بعيد ليقترب منها، ويكتشف أن هذا الوجه الملائكى كان يشبه وجه ناريمان كثيرًا.

رنات جرس الباب.

تفتح دكتور مديحة باب الشقة لتجد ابنتهم ياسمين تملأ وجهها ابتسامة جميلة؛ فتوبخها، وتلومها لأنها لا تبالي مثل أبيها تمامًا، وكيف في ظل تلك الظروف ما زال لديها هذا القدر من القُدرة على الابتسام؟ وقبل أن تدخل ياسمين على مروان بالشُرفة غير مبالية كما اعتقدت والدتها بما كانت تقوله، تتوقف للحظات، وتعترف أنها تعلم طبيعة أمها التي تهوى الغرق في ندب الحظ، والندم على أتفه الأشياء؛ فما بالها بتِلك المصيبة التي وقعوا جميعًا فيها.

تتنفس ياسمين نفسًا عميقًا لتتدارك الموقف الصعب الذي يعيشون أيامه العصيبة منذ أيام مضت. هامسة تطمئن قلبها أن الحمد لله أن ثلاثتهم ما زالوا بخير، وهذا بالنسبة لها، ولوالدها هو الأهم من أموال الدنيا، أما والدتها فمع مرور الوقت ربما تعتاد ما حدث، لتدخل على والدها بالشُرفة مهللة أن معها خبرًا أكيد سعيد جِدًّا بالنسبة له.

الڤيلا المستأجرة بالقاهرة الجديدة.

ظلت ناريمان في قمة الأسى، والإحباط منذ أن خرجت من النيابة حتى وصولها مع مليكة للكمباوند؛ فنزلت من سيارة مليكة صامتة، تسير ببطء شديد، ثم تفتح بيدين مثقلتين باب هذه الڤيلا الكئيبة، وكأن جراح كثيرة تفتح معه فتنتبه مع الصوت الثقيل لفتح الباب، أنها أثقلت على نفسها كثيرًا حين اضطرتها الظروف أن تمكث بهذا المكان الموحش بالأيام الماضية.

لذا قد حان وقت إغلاق هذه الصفحة لتقرر ألا تبيت هنا ليلة أخرى، وأخذت تُلملم شتات أمرها طوال الطريق، وليس آلامها من أمجد وحسب؛ فذاك الزوج الغادر الذي عاشت معه في خداع، وأضاع ما مضى من عُمرها هباءً، لم يكُن يستحق أن تظل بهذا المكان الموحش كما انتظرته بكل سذاجة بالساعات الأولى من دخولها إلى هنا؛ فلولًا رحمة السماء عليها، ودخول مليكة حياتها ما الذى كان من الممكن أن يحدث لها.

كثرت عليها الجراح، أما جرحها الأعظم، والذي لم تعد تعرف كيف سيندمل، أو متى ستداويه فكان أمير، وها هي تحاول أن تتماسك أثناء لملمة جراحها كي تستطيع أن تجمع أغراضها لكي ترحل من هنا، تنظر إليها مليكة، وهى تتألم لحالها لذا لم تستطيع أن تتركها منذ أن عادا معًا من وقت قليل من النيابة، وصارت تساعدها يدًا بيد كما كانت معها منذ أول لحظة للأزمة، على الرغم مما لاقته من سيد زوجها، لكنها ما زالت تعرف كيف تبرمجه حتى وإن خطفت موافقته على مساندتها لناريمان من فمه اختطافًا، وهو مُضطر أشد الاضطرار لأنه يحبها، ويعلم أنها أحبت ناريمان التي عرفتها عن قرب.

أما هو فيتلمس لنفسه العذر كي لا تلومه نفسه، ولا تجرحه مشاعر ابن البلد؛ لأنه تخلى عن امرأة في شدة، مبررًا ذلك أنه لا يعرف من تكون ناريمان؟ ومن أين أتت؟ تعلم مليكة أنها سوف يتعبها فراق ناريمان؛ لأنها اعتادت وجودها، واطمأنت، وارتاحت إليه.

تفيق ناريمان من ثقل همومها على صوت مليكة، وهى تستأذنها بالغياب عنها لساعتين فقط؛ تكون خلالهم أخذت ناريمان الشاور الذي أجلته حتى تنتهى من لملمة حقيبتها، فهذا سوف يجعلها أكثر هدوءًا؛ لأنها لم تكُن تريد إلا كل شيء يخصها ملقى هنا أو هناك بهذا المكان الذي جرحها وجودها فيه، وهو بهذا الكم الهائل من عدم العناية، والاهتمام، وفوضى العناء.

مكتب سليم.

يجلس سليم على مكتبه واجمًا، مذهولًا لِما آل إليه حال ناريمان بعد أن أغلق معها الموبايل منذ دقائق من بعد مُحادثة طويلة.

أخبرها ببدايتها أنه ظل لأيام يتصل بها، وكذلك كانت تتصل بها روڤان أيضًا بعد أن ازداد قلقهم على غيابها الذي امتد لأيام دون أن تعطيه خبرًا مسبقًا أو تبلغ الإدارة لو كانت سوف تقع في حرج منه، وتريد أن تتعامل بشكل رسمي، شأنها شأن أي موظف ضمن فريق عمل الشركة، لتخبره معتذرة، أنها بالفِعل رأت أرقامهم بعد أن فتحت الموبايل، وكانت سوف تتصل بهم في المساء، لكنها في شدة الحرج من أمرين.

أولهم غيابها عن العمل دون استئذان مسبق، وهذا كان أمر خارج عن إرادتها. وأخبرته في خجل شديد أين كانت.

ثانيًا، عما فعله بها أمجد زوجها، فتحدثت باختصار شديد.

يحزن جِدًّا سليم لأمرها، ويحثها على ضرورة إتيانها إليهم أو يأتيها مع روڤان على الفور، فأخبرته وهى في غاية الأسى، والحرج بأنها باعت بيتها، ثم

دون تفكير، وبلهفة رجُل مسئول يريد أن يكون لجوار زميلته، وصديقته، وصديقة زوجته، وعِشرة عمرهما في تلك الأوقات المؤلمة يشدد عليها أنه لا بد أن يأتى إليها حالًا أينما كانت ليأخذها إلى بيته؛ فأبلغته أنها تريد أن تؤجل تلك المقابلة للغد مع عظيم امتنانها له، لأنها مشغولة بالانتقال الليلة من هذا المكان الذي كان استأجره أمجد، والموجودة به الآن لشقة عمتها بالزمالك، يوافق وهو حزين جِدًّا عليها. تغلق ناريمان الهاتف، وقلبها تجرجره الجراح على عتبات مقبضة لا تعرف كيف السبيل لتتخطاها.

بعد وقت قليل.

تسمع رنات جرس الباب، فتمضى لفتح الباب، وهى تمسح عينيها من دموع محرقة سالت على وجهها بعد مكالمة سليم، فتلك المكالمة الحانية الودودة من سليم، جعلتها تشعُر بشدة جفاء أمير، ذاك الجفاء الذي لم تكُن تتوقعه، وكيف أن الغرباء شعروا بغيابها، وكانوا يحاولون البحث عنها.

أما ابنها الوحيد، فأتى دون مُقدمات مسبقة يلقى عليها بطوفان من القسوة، ويحط بالهموم على كتفيها ليقضي على ما تبقى لها معه من طيب الذكريات، وما سوف يأتي به الغد من بصيص آمال.

تجد مليكة أمامها حاملة بيديها طاولة مغطاة؛ فأيقنت أن مر عليها من الوقت ساعتين، فتقول:

- ينفع كِده يا مليكة؟ كل يوم شاغلة نفسك بيا، وبأكلي، بجد كِده كتير يا مليكة.

- والله أزعل منك جِدًّا، طيب سيبينى أحط الأكل الأول على السُفرة، وهاتي الأطباق، والشوك، والماية،

وبعدين نتفاهم في موضوع زعلك منى، واصالحك.

تحاول ناريمان أن ترسم ضحكة على وجهها كي لا تزعج مليكة أكثر من ذلك بمشاكلها، وتقول:

- حاضر يا فندم، تحت أمرك يا هانم.

فتضحك مليكة، وتقول:

- تعالى هنا، رايحة فين؟ بضحك معاكي، انا جبت معايا كل حاجة، عملت صينية مكرونة بالبشاميل تُحفة.

فتضحك ناريمان، وتقول:

- طب استنى لما أدوق، واحكم.

تضحك مليكة، وتقول:

- عجبت سيد جِدًّا، وقالى تُحفة، ولازم مدام ناريمان تذوقها.
- خلاص طالما عجبت سيد، تبقى أكيد تُحفة. تِسلم أيديكى يا مليكة، تِسلمي حبيبتي، أشكُرى الأستاذ سيد جِدًّا.
- أشكره على أيه، هو يعنى عمل أيه؟!
- عملتوا كل طيب، حسستونى أن الدنيا لسه فيها خير.
- حاضر يوصل، بس لازم تعرفى انك أهل الخير، ربنا ما يحرمنى منك أبدًا.

- ولا منك يا مليكة، أخبارك أيه مع سيد؟
- الحمد لله كله تمام
- الحمد لله، ربنا يهدى سركم، ويسعد أيامكم.
- يا رب، سمعت كلامك يا ناريمان من لحظة ما قررت أرجع بيتى، فِعلًا مفيش أفضل من ان الواحد ينام قلبه، وضميره مرتاحين.
- أكيد يا حبيبتي.

تنتهيان تناول الطعام الذي أحضرته مليكة، ثم تهمس لها ناريمان، وهما تنظفان طاولة السفرة معًا. إنها حادثت سمسار الكمباوند قبل أن تغلق هذه الڤيلا وترحل منها كي يأتي إليها الآن ليتسلم المفاتيح، بعد أن تخلى مسئوليتها عن هذا المكان، فتقول لها مليكة، والدموع تسيل من عينيها.

- كِده أفضل، ولو ان فراقك صعب جدًّا عليا يا ناريمان.

فتمسح ناريمان الدموع عن عينيها بيديها الحانية، وهى تحتضنها، ثم فتقول لها إن الكلمات لن تكفيها لتشكرها على كل شيء فعلته لأجلها، ليمر الوقت سريعًا، ويحل الليل بعد أن انتهت ناريمان من تسليم الڤيلا إلى السمسار.

خارج الڤيلا.

تقف ناريمان للحظات مع مليكة خارج الڤيلا لتودعها، وقبل أن تستقل سيارتها لتمضي بها إلى حيث شقة عمتها بالزمالك تجد مليكة تنظر ناحية شُرفة منزل خالد لتقع عيون ناريمان على سيدة سبعينية العُمر، وذات ملامح هادئة، جالسة بشرفتها، تبتسم لهما ابتسامة حانية؛ فترتاح ناريمان لتِلك الابتسامة الحانية التي ربما أرسلت بها على وجه تلك السيدة الجميلة ملائكة السماء، فتدرك بأنها والدة خالد بعدما همست لها مليكة بذلك، وهى تضمها بحضن دافئ وتودعها.

بالطريق.

تحاول ناريمان أن تتماسك وسط ضوضاء شديد كان قد زاد حدة القلق من حولها؛ فتغلق نوافذ السيارة بعد أن كانت فتحتها بعض الشيء علَّها تستنشق نسمة ليلية لطيفة ربما تُفلح في أن تنزع من فوق كاهل الليالي ما مضى، وتسدل ستائر الأحزان على الماضي من الأيام.

الزمالك.

تصل إلى الزمالك حيث بيت عمتها نسيمة الذي أغلق منذ عشرة أعوام، وما إن فتحت الباب، ودخلت حتى دخل قلبها شيء ما أشبه بالاطمئنان، وبخاصة بعد أن سمعت صوتًا مميزًا لا تخطئه أذنيها منذ أن كانت طفلة صغيرة تأتى في يد والدها لزيارة عمتها نسيمة التي كانت عروس جميلة وقتها.

إنه المستشار فهي أخو زوجة أبيها، والذي عاش لسنوات طويلة يجاور عمتها بالسكن في تلك العُمارة التي كانت سببًا لزواج أبيها من كاريمان بعد وفاة والدتها بسنوات قليلة.

تمضي بالشقة، وتمضي معها الذكريات الحانية لتسير بهدوء، وهى تفتح إضاءة الشقة الخافتة التي تحفظ أماكنها عن ظهر قلب، حتى وصلت للكوريدور الطويل المؤدي إلى غرفة النوم، فوضعت حقيبتها جانبًا، وما إن نظرت إلى سرير عمتها نسيمة حتى ألقت عليه بجسدها الباحث عن حِضن أمان، وراحت تغمض عيونها الحالمة براحة البال في نوم عميق، وها هو الليل يسدل ستائر النسيان، ويفسح طريق الحياة ليقبل النهار بثوب جديد.

صباح باكِر.

ما إن فتحت ناريمان عيونها باكرًا جِدًّا حتى وجدت نفسها منذ ليل الأمس ما زالت بملابسها لتعود الذكريات الطيبة على أطراف الصباح؛ فتتذكر عمتها الرقيقة نسيمة ثم تدخل الحمام لتأخذ شاور، ثم تخرج بسُرعة ترتدي ملابس صيفية خفيفة، فالحرارة لم تذل مرتفعة.

تدخل غرفة إعداد الطعام، تفتح الغاز الطبيعي، وتشعل البوتاجاز لتضع عليه البراد الزجاجي بعد أن قامت بغسله جيدًا، وها هي تفتح الكيس الذي أحضرته معها، وبه لفائف الشاي، وأكياس النعاع، والسكر

لتصنع لنفسها كوب من الشاي بالنعناع قبل أن تذهب لعملها بشركة سليم.

لم تشأ ناريمان أن تذهب لأي كافيه كي تتناول فطورها قبل الذهاب لعملها على الرغم أن ظروف الشقة غير مناسبة لإعداد فطور؛ إذ إنها تحتاج للتنظيف نتيجة إغلاقها لفترة طويلة، ربما أرادت أن تعيش مشاعر افتقدتها بالغصب بالأسبوعين الماضي منذ أن حرمت من بيتها، وتركته رغمًا عنها، ورحلت.

تفتح باب الشُرفة الكبيرة، المُجاورة لحُجرة إعداد الطعام وهي ممسكة بمناديل ورقية بيد لتمسح بها عنها التراب، وباليد الأخرى ممسكة بكوب الشاى بالنعناع، ثم تدخل إلى الشُرفة تنظر إلى وجه الصباح البِكر، وهو يُطيب روح البيوت، ويقبل جبين ناسها.

وتشرد طويلًا لتحط روحها الرحال على النافذة الكبيرة لحجرة إعداد الطعام بثيلتها القابعة على أطراف المدينة، تلك النافذة الكبيرة ذات الزجاج المُلون، والمطلة على الأصيصات المُلونة، والزروع المبهجة المتمايلة على أعواد النعناع الأخضر الذي تعشقه، والذي كانت تلقي فيه بحزن، وفرح الأوقات.

تنتهى من شرب الشاي، وتخرج من الشُرفة بعد أن تركتها مفتوحة لتهوية الشقة، ثم تسرع، وتحمل حقيبة يدها لتخرج من الشقة مغلقة الباب وراءها، وتستقل الأسانسير.

تتوقف قبل أن تخرج من العُمارة لتذهب لحجرة عم سالم البواب لتجد زوجة ابنه تخبرها أنه توفي منذ أشهر؛ فتترحم عليه، وتترك لها مفاتيح الشقة بعد أن طلبت منها تنظيفها حتى تعود بالمساء.

شركة سليم.

تصل إلى شركة سليم وتدخل مكتبها مباشرة كي تستطيع أن تنهي عملها المتراكم منذ أيام.

بعد مرور نصف ساعة.

يعلم سليم بعودتها للعمل فيدخل بنفسه ليرحب بعودتها، ويجلس معها لمدة ساعة، يتناولان خلالها النيس كافيه بعد أن استئذنها أن تخبره بكل ماحدث من أمجد معها.. علَّه يستطيع أن يساعدها بشيء.

(١٣)

بالمساء.

تعود ناريمان هادئة ملقية بقسوة ما مضى، ومرارة ما مر بها خلف ظهر الأيام، باقية فقط على أشياء بعينها ربما أتتها بهذا الوقت المُناسب، كي تخفف عنها ما يفعله بها فوضى العناء.

أشياء فعلها القدر، وتسببت فيها الظروف، كوجودها في تلك الڤيلا الكئيبة الأيام الماضية، وصبرها على أمجد، بل وتصديقه بعد كل ما رأت منه، وكذلك انتظارها له كما وعد في ذلك المكان البائس حتى ثبت غدره، ووفائها.

لم يكُن وجودها في تلك الڤيلا بالشيء العادي، والتي ما أن رأتها إلا وازداد حالها ألمًا، وحسرة، لولا رحمة الله، ولطفه بها لتخفيف حزنها بعد فقد بيتها، وفقد من يساندها في ظروف كهذه بأن يمرر بأيامها تلك التجربة الإنسانية التي تعتز بها الآن كثيرًا. حين آتت إليها الأقدار بمليكة لتدق على بابها، تستنجد بها، وتفتح هي باب قلبها، وعقلها لها، وهي لا تعلم أن مليكة سوف تكون السند الحقيقي للقادم من الأيام؛ فتستعيد بها ثقتها بالناس، وبخاصة بعد كل هذا التجاهل الذي ذبحها به ابنها مروان لتفيق بصُحبة أيام مليكة على أن الدنيا ما زالت بخير. شيء ما يجعل ناريمان الآن أكثر قوة عن أيام مضت، وتمنت ألا تعود.

الزمالك.

تعود ناريمان إلى منزل عمتها نسيمة بالزمالك بعد أن تناولت الغداء مع سليم، وروڤان، لتجد أن زوجة ابن بواب العُمارة قامت بتنظيف الشقة على أكمل وجه ليعُود لها رونقها، وبهاؤها، وكأن نسيمة ما زالت تعتني بكل ركن بها، وتسترد ناريمان لأحاسيسها المهندمة التي افتقدتها بالأيام الماضية؛ فما زالت الشقة راقية كصاحبتها التي رحلت، وما زال كل ركن بها يتحدث عنها بأناقة باقية.

تشعُر ناريمان أنها تعيش هنا، ترافقها روح عمتها نسيمة الرقيقة الحالمة، وتتذكر كيف كان والدها يقول لها إنها حملت الكثير من روح، وملامح عمتها نسيمة، لكنه نسي أن يُخبرها شيئًا ما، أو ربما ما أدرك أن الخيبات أيضًا كثيرًا ما تصير مع مرور السنوات إرثًا ثقيلًا يعاند، ويبقى مستوطن بالأيام رافض الرحيل، مخرجًا ألسنته المتجبرة بأنه لا فكاك.

وأنها من الوارد جِدًّا كما ورثت عن نسيمة إرثها الطيب كالروح والملامح، وكذلك هذه الشقة الأنيقة لأنها وريثتها الوحيدة أن يزيد عليها إرث آخر لكنه ثقيل، بالفِعل ورثت ناريمان حظ نسيمة السيئ مع زوجها مراد، والذي كان زميلها بالعمل؛ إذ لم تكن نسيمة تدرك معادن الناس بسهولة، وتوسمت بطبعها الطيب أن كل البشر طيبون؛ فلم تعي أن معلم الموسيقا مخادع قاسٍ، بل توسمت فيه روح الفنان الحالم مثلها.

من بعد مرور عشر سنوات.

بعد مرور سنوات طويلة على الزواج تكتشف نسيمة أن مدرس الموسيقا المتواضع، والذي كانت تفوقه اجتماعيًا، وماديًا تزوج عليها غدرًا من تلميذة صغيرة ونسي حبهما، وتغافل أنها في أشد الاحتياج الإنسانى لأن تكمل أيامها معه؛ إذ كانت نسيمة منذ سنوات الزواج الأولى وضعت كل حنانها الجارف، وشوقها للأمومة التي حرمت منها، وعنايتها الفائقة بمن تحب، وترعى في هذا الزوج الغادر.

ولم تكُن تدري أن مراد تآمر مع طبيب عديم الضمير ودفع له من مالها الخاص كي يزور تقريره الطبي عنها، ويذكر فيه أن العيب منها كي يضمن بقاءها معه لأنه عقيم لا ينجب، لتمر بينهما الأيام، وهى مقتنعة أنه سليم، معافى، وأن العيب بها، حافظة له الجميل بأن حبه لها كان أقوى من احتياجه لإحساس الأبوة.

استولى على كل ما تملك، بدافع الحب، وعشقهما للموسيقا التي كانت عالمهما المشترك. كل هذه الأشياء جعلتها لا تقف للحظة، وتراجع تصرفاته الملتوية معها لتعرف أنه أفَّاق، بعد أن أهدر من مالها الكثير على مشروعه الموسيقي الذي أوهمها به.

حين كان يسافر لأوروبا بحجة الدراسة، وهو يعيش حياته الخاصة هناك أحبته نسيمة، بل صار عالمها بصِدق، كالفن، والموسيقا، لكنها ما أدركت أنه فنان كاذب قاسي مخادع، تخيلت بقلبها البريء أن الفن يصطفي أهله، ويسمو بصاحبه ربما بدرجات تفوق البشر العاديين.

ذات يوم، في المدرسة، تدخل عليها فتاة بحُجرة الموسيقا؛ تلك الحُجرة التي شهدت مولد حبها لزوجها الفنان الحالم مثلها كما تخيلته هكذا لسنوات، وسنوات. كانت الفتاة تصغرهم بأكثر من خمسة عشر عامًا، أتت الفتاة لتكشف القناع عن وجه زوجها مراد، أتت الفتاة لتلقى عليها بالخبر القاسي، وتخبرها أنها زوجة الموسيقار الفنان معلم الموسيقى مراد.

أتت لتقص عليها الحكاية الكاذبة التي روجها مراد من وراء ظهرها بأنه صاحب المال، وأنها تريدها أن تعيد إليه ثروته التي وضعها وديعة بالبنك باسمها من فرط حبه الذي كان لها بقلبه؛ إذ صرح مراد لزوجته الجديدة أن نسيمة بعد أن استحوذت على الأموال، تبدل الحب بقلبه، وأن أمواله هذه هي السبب في صبره عليها، وعدم تطليقه لها إلى الأن، ثم تعترف لها بأنها نفد صبرها عليها وعليه، ومن عدم قدرته على مواجهتها؛ فقررت أن تأتى إليها بالمكان الذي تعرفها من خلاله، لأنها كانت ذات يوم تلميذة بتِلك المدرسة قبل أن يتزوجها مراد بعد حصولها على الثانوية العامة حين أوهمها أنها تمتلك صوتًا جميلًا، وأذنًا موسيقية متميزة، وأنه سوف يساعدها في دخول معهد الموسيقا العربية، لكنه.. للأسف ما أوفى بوعده هذا، ولا ذاك الحلم الآخر عن الأمومة، والذي ما تحقق.

تجلس الفتاة لجوار نسيمة بالمقعد المخصص لطاولة حُجرة الموسيقا، وتقص عليها تفاصيل ما روى بأنها سوف تصير أسعد أمًّا في الوجود بعد خمس سنوات على الأكثر من زواجهم؛ لذا عليها أن تنسى خلال تلك السنوات الأولى لزواجهم حلمها عن الإنجاب كي يستطيعا أن ينجحا معًا بمشروعهم

الموسيقي الكبير، ثم فجأة تتوقف عن سرد قصة الغدر، وتصرخ في وجهها أنها يجب أن تتركهم لحالهم، وتعطي له ماله كي تستطيع أن تجري له عملية كي يستطيع الإنجاب كما نصحهم الطبيب، وتحقق هي حلمها الوحيد المتبقى لها.

تتوه نسيمة من قسوة ما سمعت من الفتاة لتنساب دموعها على وجهها دون نطق كلمة واحدة، ثم يدخل زميل لها عليهم بالحجرة، يحاول أن يفهم حقيقية ما يحدث، ولِمَ نسيمة بهذا الحال، ودون جدوى، لا يستطيع الزميل أن يفهم شيئًا، لتخرج الفتاة مُسرعة خشية أن يحدث لنسيمة مكروه تتهم هي به بعد أن رأت حالة الانهيار التي سيطرت على نسيمة.

بمرور الأيام.

عاشت نسيمة بتلك الشقة التي ورثتها عن والديها فترة قاسية جِدًّا عليها بعد أن واجهت مراد بحقيقته، وأصرت على الانفصال عنه رغم توسلاته، ودموعه التي ما عادت تخدعها ثانية، مجبرة أياه ألا يترك خلفه أي شيء يخصه لديها بشقتها، ثم انتقلت للعمل بمدرسة خاصة كي تبعد عنه نهائيًا، لكن طيف ذكرياته، وخداعه ما تركها لحالها بعد أن تأثرت نفسيتها كثيرًا، وانزوت عن الناس؛ فكانت تتعذب في صمت، وعاشت أيامًا وليالي تعاني، ولم يكُن بجوارها سوى أخيها، وناريمان.

لم تكُن ناريمان تفارق عمتها نسيمة معظم الأوقات حتى فارقت الحياة بعد ما حدث من زوجها مدرس الموسيقا بسنوات قليلة جِدًّا.

مكتب سليم.

تتحدث مليكة مع ناريمان على الموبايل أثناء وجودها بالعمل لتطمئن عليها، وعلى تطورات القضية، وتخبرها أنها سوف تكون معها بأول جلسة؛ فتشكرها ناريمان، وتدعوها لزيارتها بشقة الزمالك كي تستطيعا التحدث بحُرية، ثم تغلق الموبايل وتواصل خط سير عملها بشركة سليم.

الزمالك، مساءً.

يحرق ناريمان الحنين لابنها أمير، لكنها حزينة من جفائه لها؛ فظلت لأيام تنتظر منه اتصالًا بلا جدوى، ليغلبها قلب الأم الذي انفطر على قلب وحيدها الحجر؛ فتمسك بالموبايل، وتفكر بالاتصال به، وهى جالسة بحجرة الليڤنج روم تنظر لصورة عمتها نسيمة الموضوعة لجوارها على طاولة نحاسية أنيقة، وتترحم عليها، ثم تحادثها بهمس، وتقول لها:

- الله يرحمك، ويحسّن إليكِ يا حبيبتي، لعله خير أنك ما أنجبتِ من أنكل مراد ولد ولا بنت، كفاية اللى حصلك منه.

ثم تتنهد تنهيدة حارقة، وهي تسمع رنات موبايلها على أمير؛ تلك الرنات التي صارت تتسارع كدقات قلبها من أجل الوصول إليه بلا جدوى.

رنات جرس الباب.

تخرجها من حالة الحزن، والضيق عندما فتحت الباب، ووجدت مليكة ترتمي بين أحضانها؛ فتفرح بزيارتها جِدًّا. تجلسان معًا بحجرة الصالون لتتحادثا في العديد من مجريات الأمور، والعديد من الذكريات الطيبة التي صارت مشتركة بينهم، لتسألها مليكة، وهى على استحياء، وحيرة:

- قوليلي يا ناريمان، لما انتي عندك الشقة الحلوة قوي دي، ليه ياحبيبتي قضيتي أيام، وليالي في الڤيلا الكئيبة اللى مش من مقامك، أنا أسفة بس دي الحقيقة، لا فرشها، ولا مستوى نضافتها في مقامك أبدًا.
- ما تتأسفى أبدًا ياماليكة، انتي أخت وصديقة وبينا عيش وملح.
- طبعًا يا حبيبتي، وده عشمى فيكي، والله عشان كِده بتكلم معاكى من غير حجاب.
- أكيد طبعًا، فِعلًا عندك حق، أول ما شفت الڤيلا أكتئبت، وقررت أخرج منها بسُرعة، وما ابيت فيها ليلة واحدة، لكن دخولك عندي بعد وقت قليل من وصولي، خلاني أستسلم لأقدارى اللي جمعتني معاكي بالمكان ده، وده طبعا بعد ما حكيتي لي جزء كبير من حكايتك، بالإضافة لتفكيري السوي في الجبان أمجد، خلاني رغم قلقي، وحذري اللي بديت أخده منه، قلت لنفسي يمكن يكون السمسار خدعه، وهو ما شاف الڤيلا القذرة الكئيبة أصلًا، أو يمكن في دماغه

حاجة لمصلحتنا كعيلة واحدة أنا مش شايفاها، لحد ما حصل اللي حصل.

- انتي بنت أصول يا ناريمان، وسليمة النية، ولا يمكن ربنا يخذلك، ولا يتخلى عنك.
- أكيد أنا واثقة جدًّا في رحمة ربنا، وعشمي فيه كبير.
- ونعم بالله.

يمضى بهم الوقت، ثم تستأذنها مليكة للنزول لزوجها سيد الذي كان أوصلها منذ ساعات، وها هو يعود إليها الآن ليعودا لمنزلهما بالقاهرة الجديدة.

بالطريق إلى القاهرة الجديدة.

بدا القلق واضح جِدًّا على مليكة أثناء تبادلها النقاش مع زوجها سيد عن موقف ناريمان بالقضية، ليتضح لها أن حديثها معه أثناء عودتهم إلى منزلهم قد هدَّأ منها كثيرًا، وأنها رأت سيد بعيون مختلفة حين سألها عن أحوال ناريمان، وكيف كانت الزيارة بالنسبة إليها وتبادلا الحديث الذي أسفر لمليكة بعد الانتهاء منه على أشياء مهمة؛ أولها أن الحوار مع سيد ممكن، وليس مستحيلًا كما كانت متصورة.

كذلك أسفر النقاش مع سيد عن أحوال ناريمان، اكتشافها المذهل أن سيد إنسان، وشهم، ويبدو أنه بالفِعل يحمل هم الغير، على الرغم من أنه يبدو شخص همجي، وغليظ الطبع؛ إذ إنه أثبت لها بتِلك الأيام الماضية ما لم

يستطيع أن يبرهن عليه لسنوات مضت، ليمضي معه عُمرها الفائت هباء، ولا تدري الآن على من تقع مسئولية ما حدث.

كل ما تدريه الآن، وتراه بوضوح أنها، وسيد ينطبق عليهما المثل القائل "على أد لحافك مدد رجليك". هما بالفِعل من ثوب بعض، وبالفعِل هو أفضل من أمجد زوج ناريمان المخادع، والذي تستحق ناريمان إنسانًا أفضل منه بكثير، وهو أفضل من خالد الذي توسمته حبيب، وحاولت أن تنفصل عن سيد لتعيش معه في النور، لتظهره لها المواقف على حقيقته بأنه شخص جبان.

وها هي مليكة تضع رأسها على نافذة السيارة وترسل الدعوات لنفسها، ولناريمان عبر نظراتها الخاشعة الصادقة إلى رب السموات والأرض بأن تحمل لهما الأيام القادمة شيئًا طيبًا تستحقانه، وبالأخص ناريمان لأنها بحق تستحق الكثير من الخير.

المقطم.

ظل مروان طوال الأيام الماضية يفكر بجدية أن يذهب للحفل كي يخرج من حالة الحزن التي سيطرت عليه جراء القضية التي بينه وبين ناريمان، ذاك الحفل الذي حدثته عنه ابنته ياسمين بعد أن وقعت عين ابن خالتها على بوست بالفيس بوك يدعوان فيه صاحب البوست زملاء دفعته لحضور حفل كبير بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على تخرجهم.

الفِكرة عجبته جِدًّا رغم تخوفه منها؛ فهو لا يعلم من سيقابل، ولا يتذكر أحدًا من الزملاء على الرغم من أن أوراقه الرسمية تثبت أنه زميلهم، ومن ذات الدفعة بالفِعل على الرغم من أنه من بعد الحادثة التي تعرض لها بعد فترة وجيزة من وصوله أمريكا فقد الماضى بأكمله، ولم يتبق بين يديه سوى الأوراق الرسمية التي تثبت أنه "مروان النعماني، خريج كُلية الأقتصاد، والعلوم السياسية، دفعة ٨٤ / ٨٥".

الزمالك.

لم تستطيع ناريمان أن تنام بعد أن ودعت مليكة؛ لانشغالها بالكثير من الأشياء الثقيلة التي ربما لا يقدر على حملها الجبال، أولها عدم إحساس ابنها بها؛ فهو إلى الآن لم يرد على مكالمتها، وثاني أمر تجاهل أمجد تمامًا لِما يحدث لها على الرغم من محاولات المحامي الخاص بها الاتصال به دون جدوى، ثم إغلاقه تليفونه نهائيًا بعد أن أبلغه المحامي من خلال رسالة نصية بما حدث لناريمان، ومثولها أمام النيابة، وبالقضية التي تنظر أمام المحاكم لتقف متهمة بالنصب على مروان النعماني.

تخرج ناريمان إلى الشُرفة المُطلة على غرفة النوم بعد أن شعرت أنها تختنق من هول ما تلاقي، لتجلس على كرسي عمتها نسيمة الهزاز، وهى تشعر أن الأرض تهتز من تحت قدميها، وتتساءل كيف السبيل إلى حل كل هذه المشكلات التي تحاوطها من كل اتجاه، كيف تتجاوزها، وتعود إلى أيام تسكنها راحة البال، ثم يستوقفها لأول مرة وسط كل هذا جرحها الكبير من مروان النعماني، زميلها بالجامعة، والحب الوحيد الحقيقي بحياتها.

(١٤)

حين تشعر بغياب شخص ما ربما تفتقد بغيابه كل شيء، ولا يبقى منك سوى شيء ما، شيء ما مُحزن، ومُؤرق، ولا تدري كيف السبيل لأن تنسى هناوة الأوقات التي كانت معه لتظل الأيام تأتي، وتعود بالسؤال لسنوات، وسنوات. أين تاه كل هذا الحب، وضاع بغمضة عين؟ دون إجابة.

ربما هذا ما حدث لناريمان، خاصة حين لمست مشاعر مروان، وهو ينظر إليها بالقسم، وأمام وكيل النيابة، وهذا ما جعلها عند رؤيتها لمروان تبدو بكل هذا الكم الثقيل من الحزن، باللحظات التي عاد فيها؛ فكم تمنت ألا يجيء بتِلك اللحظات المؤرقة بحياتها بالذات، تلك اللحظات التي لو أنها جمعت بينهم بزمن مختلف، ووضعهم فيها القدر بموقف مختلف، لأخذت عودتهم منحنى آخر، ربما كان أكثر حظًا، ولم يكُن لهذا الصمت الذي أطبق على قلبيهما منذ أول لقاء حتى آخر لقاء مكان، ولا طاوعت ناريمان نفسها، وتمسكت بما تبقى لها مما تملك من كبرياء، كي تنكره بذات اللحظة التي ظنت أنه أنكرها بها.

صحيح أنها فقدت كل شيء، لكن للحب الحقيقي رصيدًا لا ينفد أبدًا لكونه أغلى الأشياء وأغناها؛ فلو أتى مروان بعد كل تلك السنوات، وهي لم تكُن أمًا، وزوجة لأمجد لكان هناك شيء آخر، لكنها للأسف ما زالت زوجة أمجد على الرغم مما نالها منه من كل هذه الهزائم والانكسارت، لتعترف ناريمان أنه للأسف الشديد عاد مروان بالوقت الخطأ، وربما بدا لها أيضًا

أنه عائد بالمشاعر الخطأ، بعد أن بدا بأول لقاء هو الآخر من وجهة نظرها متجاهلًا حين تلاقيا بعد كل تلك السنوات، أو ربما أنه أراد أن يعود مستنكرًا، وما أراد لذاكرة قلبه أن تحيي ما كان بينهما من حب كبير، ليقضى عليها تمامًا هو الآخر بالضربة القاضية التي أماتت بقلبها وِد الأيام، وزادت من أحزانها على الرغم من موقفها الواضح كزوجة من هذا الحب الذي لن تعود إليه.

شركة سليم.

ظلت ناريمان على هذا الحال شاردة بعد ليلة طويلة من التفكير، وعدم النوم تاركة العمل بمكتبها لبعض الوقت، تفكر فيما هي فاعلة غدًا بالقضية التي بينها، وبين مروان، وفى قضية الطلاق التي رفعتها على أمجد، لتفيق من كل هذا الغم على مكالمة ثانية من سليم يدعوها للحضور إلى مكتبه فلم تسمع رنات الموبايل بالمكالمة الأولى، ثم تذهب إليه بمكتبه، وهى ما زالت ببعض الشرود؛ فيبتسم لها سليم، ويشير لها أن تجلس، وأن تنظر عبر صفحته بالفيس بوك لحين ينتهي من المكالمة التي كانت بينه، وبين زميل آخر من دفعتهم بعد أن اتفقا على الذهاب للحفل الذي نظمه أحد زملاء دفعتهم بالكلية بعد الغد.

يبدو الفرح واضحًا جِدًّا على وجه سليم بهذا الحفل الموسيقي الذي سوف يلم شمل الدفعة، ويتبادلوا من خلاله كل الذكريات الطيبة التي كانت بينهُم جميعًا لأكثر من ثلاثين عامًا، وها هو سليم يسترسل حديثه مع ناريمان قائلًا:

- أيه رأيك في الخبر الحلو ده.

- فِعلًا خبر طيب.

- طيب يا ستي يبقى كِده ضمنا موافقتك.

- على أيه؟

- أنك تكونى معانا أنا وروڤان، نقضى وقت ظريف، ونبعد يا ناريمان عن وجع قلب الشُغل.

- للأسف، بعد بكرة صعب جِدًّا، لأنه أول جلسة بالمحكمة عندى بكرة، وكنت فِعلًا هاعدي عليك أستأذنك أخد بكرة أجازة.

- طيب، وأيه رأيك لو تاخدي بعد بكرة كمان أجازة عشان تقدري تحضري نفسك للحفلة.

- ياه يا سليم أنت مُصر جدًّا ليه كِده؟

- والله ما انا عارف، غير انك لازم تخرجي من قرف أمجد شوية، وعلى فكرة بكرة أنا، وروڤان في المحكمة معاكي من الصبح.

- ليه كِده ؟ أنا أدرى الناس بظروف روڤان الصحية يا سليم، خليكوا مرتاحين، وهانكون على اتصال، وكفاية المستشار اللي أصريت أني أوكله مع المحامي عشان يدافع عني.

- انتى بتتكلمى في أيه يا ناريمان، احنا أخوات، وعِشرة عمر.

- أكيد طبعًا والله يا سليم.

ينتهي بينهم اللقاء، وتنتهي مواعيد العمل، وتعود ناريمان لشقة الزمالك.

لندن.

يتصل أمير بناريمان مدعيًا أنه كان مشغولًا جدًّا بالعمل المتواصل، والدراسة، للأسف لم يدرك أمير أنه في غاية الجفاء، غير منتبه للسؤال عنها، وعن أحوالها، أما ناريمان فأخفت عنه كل ما بها من أزمات، وآلام كي لا تربك أيامه، لينهي معها المكالمة بعد دقائق معدودة ومخفيًا عنها أنه على علاقة بزميلة له، ويرتب للارتباط بها، والبقاء بلندن، وعدم العودة لمصر.

تعلم ناريمان أن أمير بدا بالجفاء باكِرًا جِدًّا، لكنه للأسف لا يعلم أن أمه اكتفت بجفاء أبيه، وما عاد قلبها يحتمل أكثر من ذلك قسوة.

المقطم.

مساءً.

تدور دكتور مديحة بالشقة كنحلة لا تهدأ من كثرة الزّن على أذن مروان، فتسأله عن ما هُم فاعلين غدًا للمحكمة مع تلك المرأة النصابة، فيقول مروان بمُنتهى الهدوء:

-ربنا يقدم اللي فيه الخير.

لتنهره مديحة بشدة، وتقول:

- طبعًا بترد بمُنتهى البرود، وانت على بالك شيء، انت راجل طول عُمرك لا بتحل، ولا بتربط، وحاطط على قلبك مراوح.

يغضب مروان من أسلوبها السخيف الذي لا تريد أن تغيره، ويتركها، ثم ذهب لحُجرة النوم. يحاول أن ينام بلا جدوى، كل تفكيره ذهب عند تلك المرأة

التي تصفها زوجته "بالنصابة"، وهو رغم كل ما فعلت به هناك شيء ما بقلبه لا يريد أن يصدق على كلام زوجته، ليكره هذه المرأة رغم كل ما فعلت به.

الزمالك، ليلًا.

تتصل مليكة بناريمان؛ لتؤكد عليها أنها سوف تمُر عليها بشقة الزمالك، كي تذهبا معًا إلى المحكمة صباحًا، وليس هناك داعٍ أن تقود السيارة بنفسها. تعتذر ناريمان عن قبول هذا العرض، وترفض مليكة اعتذارها.

ليلة طويلة.

ما أطول هذه الليلة على ناريمان، والتي لم تختلف كثيرًا عن سابقتها من الليالي التي ألقى فيها أمجد عليها بالظلم الكبير.

صباح جديد.

وهناك بشر ربما تجدهم سواء رغمًا عنهم أو جراء أفعالهم السفيهة يتعثرون بالحياة بأشياء تصيبهم فيتأذون منها، أو ربما يطالهم هذا الأذى من بعض البشر الذين يلتقونهم بطريق الحياة بلا حول منهم، ولا قوة.

المحكمة.

تضج أروقة المحكمة بالكثيرين من البشر الذين أتعستهم الأيام بظلم الآخرين، ليصل الجميع إلى المحكمة بأوقات متلاحقة، ويدخلون على التوالي، ثم يتخذ كل منهم موقعه بداخل القاعة، فتقف ناريمان متهمة أمام هيئة المحكمة، ويمثُل مروان النعماني مجني عليه، وبينما يترافع المحاميان عن ناريمان، ويقدم محامي الخصم مروان النعماني الأدلة، والبراهين التي تدين ناريمان، يتبادلان مروان وناريمان النظرات الحائرة والمتسائلة، لينظرا سليم وروڤان بذات اللحظة إليهما، ويركزان بملامح وجه مروان، وهما في قمة الذهول، ثم يتحدثان بهمس في لحظة واحدة "ما الخبر؟! وما هذا الذى يحدث أمام عيونهم؟!"، ثم يرددان في وقت واحد، أنه مروان النعماني حبيب ناريمان، وزميلهم بالجامعة.

تسمعهم مليكة فتندهش، وتترك المرافعة التي كانت تتابعها باهتمام، وتنتبه أكثر لحديثهما. يصمت سليم للحظات، وتدور بعقله أشياء كثيرة كلها تكاد تشير لناريمان بأصابع الاتهام. وإلا كيف حدث كل هذا، ولم تخبره بأمر التقائها مع مروان، والظروف التي حدث بها ذلك.

يتماسك سليم، وهو في قمة الغضب، وتحاول روڤان أن تهدئ من أمره لاستيعابها ما يدور بفكره، ثم ينظران لناريمان ومروان نظرات تفشي لها سر صدمتهم فيما اكتشفوه الآن، أما مروان فلم يستوعب أي شيء لتشير لهما ناريمان بعينيها أن ينتظرا، ولا يتعجلان بالحكم عليها، بينما مليكة واجمة مذهولة.

أما مروان فظل في ملكوته الخاص بنظرات انكسار هذه المرأة، بينما تريد مديحة الآن أن تلطمهما بشدة على وجهيهما كي يعودا إلى المثول أمام هيئة المحكمة، وتقتص حقها من ناريمان، ثم تتأبط ذراع زوجها قوة، واقتدارًا لتفر به مرة أخرى، وتلوذ من أمامها، ليفيق الجميع على عرض ناريمان بالتنازل عن المبلغ الوحيد الذي تمتلكه، والذي يعادل نصف قيمة مبلغ مروان المدفوع في شراء الڤيلا مع التشديد على الإتيان بالجاني الحقيقي أمجد مهران، ثم يقطع القاضي علي الجميع الطريق، ويرفع الجلسة للمداولة؛ فيسارع سليم إلى مروان النعماني، وتسارع روڤان إلى ناريمان ومعها مليكة، وقبل أن تسألها روڤان عن أي شيء تبادر ناريمان بصوت أرهقته الحيرة من أمر مروان، والمواقف المؤلمة التي وضعت بها من بعد ما حدث لها ببيع بيتها، وبتلك التهمة الكبيرة الملقاة فوق أكتافها وحدها دون ذنب جنت، لترد على السؤال قبل أن يُسأل أنه بالفِعل مروان النعماني الذي كان، وكان، وكان... لكن الرجُل الذي أتى إليها يتأبط ذراع امرأة أخرى، بصحبة المحامي الأفَّاق كموكله أمجد مهران، لم يكُن قط حبيبها الذي كان.

فى تلك الأثناء كان سليم يقف بمواجهة مروان بعد أن نادى عليه باسمه ليلتفت إليه مروان دون أي ردة فعل توحي بأنه يعرفه.

لم يرَ سليم بعينيه المشتاقة لضمة قلب صاحبه أي شيء يبادله هذا الاشتياق من صديق العمر، ومع ذلك لم تستوقفه تلك اللحظة، بل كانت مشاعره الطيبة ملهوفة على مروان؛ فراح يحتضنه بقوة شوقه لأيام وِد

كثيرة كانت تجمع بينهم لسنوات زملاء، وأصدقاء قريبين، وراح يسأله "أين كان كل تلك السنوات؟".

ليقف مروان أمامه منتشيًا بهذا السيل الجارف من المحبة، والأمان الذين احتاط به، ولا يدرك لماذا، أو من يكون هذا؟ فلم يزل مروان حائرًا، لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة من هول المفاجأة التي وضعته فيها الأقدار، وأدهشته بتلك الظروف المحيطة بلقاء لا يعرف صاحبه؛ فقد ضاعت منه الخلفيات، وبالتالي تاهت عنه الآن توابعها.

أدركت مشاعره بأن هذا الشخص الواقع بين أحضانه قريب منه، ليقف مطمئنًا أمام هذا الغريب الذي لا يدركه بعقله. أدرك سليم بعد لحظات أن مروان لا يعرفه؛ فاندهش أكثروراح يقول له:

- ايه يا مروان، هي السنين غيرت من شكلي للدرجة دى عشان ماتعرفنيش، أنا سليم الخولي يا مروان يا نعمانى.

يرتاح مروان أكثر، وأكثر لكلمات الغريب، ويبتسم ابتسامة شاردة، وفجأة يعلو صوت الحاجب ليقطع عليهما حبل الوصال، ويقول:

- محكمة.

ليعُود الهدوء للقاعة، ويأخذ الجميع أماكنهم كما كانوا مرة أخرى، ثم يتحدث القاضي بأنه بعد الاطلاع على كل الأوراق، والمستندات، وإثبات حضور جميع أطراف القضية محل النزاع، تأجيل القضية لأسبوعين قادمين.

أثناء الخروج من القاعة.

يصدر صوت نحيب من امرأة شابة، فتذهب إليها مليكة، تشد على يدها، وتسألها لو كان بإمكانها أن تساعدها بشيء؛ فتنظر إليها الشابة الجميلة، وفي خجل شديد تشكرها، فتستأذنها مليكة، وقبل أن تترك يدها من يد السيدة تقع السيدة مغشيًا عليها على الأرض، ليلتف معظم من كانوا بالقاعة حولها، ويسارع سليم الخولي دون تفكير لطلب الإسعاف، ليقف الجميع شاردًا لا يدرك ماذا بعد، لاكتشافهم أثناء التفافهم حول هذه السيدة أنها وحدها تمامًا، لتنتقل السيدة بالإسعاف، ويذهب وراءها مجموعة الأوفياء، بعد أن أصبحت مليكة حلقة الوصل بالخير بينهم جميعًا؛ حيث كانت أول من لمحت بوادر الانهيار الواضحة على نحيبها، وأنينها المكتوم، وحين تساءل رجُل الإسعاف عن البيانات الشخصية للمرأة، أمسكت مليكة على الفور بحقيبتها، وأخرجت ما يثبت شخصيتها لرجال الإسعاف، بل وأصرت على مرافقتها بسيارة الإسعاف بعد أن استأذت ناريمان بأنها رغمًا عنها سوف تتركها، وتترك سيارتها بجوار المحكمة على أن تبقى ناريمان بسيارة سليم، وروڤان.

فأبت ناريمان أن تتركها، بل وشكرت سليم وروڤان على عرضهم الكريم أن تبقى بسيارتهم، وفضلت أن تكون بإيجابية سليم ومليكة ما دامت قادرة على ذلك؛ فرافقت مليكة، والمرأة الجميلة بعربة الإسعاف.

أثناء الطريق.

أخرجت مليكة موبايل المرأة، لتجد رقم مكتوب عليه My daughter فعلمت أنها ابنتها، وكما يتضح من صورتهم المشتركة، والمصاحبة للرقم أنها فتاة بعمر لا يحتمل إلى حد ما وقع هذا الخبر غير اللطيف، لكنها لا حِيلة لها سوى الاتصال؛ فاتصلت بها على الفور، وببساطة ولطف شديدين أخبرتها أن أُمها تعاني من مشكلة صحية بسيطة جِدًّا، ولا بد أن تلحق بهم مع أي قريب لهم إلى المستشفى التي سوف يوجدون بها، لتتلقى الابنة الخبر بفزع شديد رغم حرص مليكة الكامل في الاحتفاظ بالهدوء.

في تلك الأثناء كانت ناريمان تجلس بعربة الإسعاف إلى جوار مليكة تنظر إليها، وهي في غاية الإعجاب، والانبهار بها، وبجدعنة بنت البلد التي بداخلها، ومتناسية تمامًا مصيبتها الكبرى التي أوقعها فيها أمجد.

أمام المستشفى.

يتوقف سليم، وروڤان بسيارتهم أمام المستشفى التي طلب من رجال الإسعاف أن يتوقفوا عندها، ثم يدخلون جميعًا مسرعين خلف رجال الإسعاف، ليلتفوا حول غرفة الطوارئ، ينظرون إلى وجوه بعضهم بعضًا، ثم تقع عيونهم في ذات اللحظة على وجه مروان يقف وسطهم، ليكتشفوا أنه كان رآهم بكل خطوة، وهم لا يشعرون.

ينظر سليم إلى ناريمان متسائلًا؛ فتبادله نظرة اعتذار مع إيماءة برأسها، تحاكيه فيها بأنها سوف تخبره بكل شيء فيما بعد. يفهم سليم نظرة ناريمان، فيهدأ من ناحيتها بعض الشيء، ويتوجه بنظرة محبة لمروان، ويقول:

- أهلًا مروان.

مروان يبادله ما وصله من مشاعر طيبة بنظرة ودودة هادئة، وهو في حالة من التردد، والتخبط، لكن قلبه مطمئن، ثم يرد التحية لسليم قائلًا:

- أهلًا وسهلًا بيك.

ثم يلقى له سليم بكلمات يريد أن يعرف من ورائها الكثير؛ فيقول:

- مُفاجأة سعيدة يا مروان.
- لكن للأسف الظرف غير سعيد بالمرة.

يبتسم مروان، وقبل أن يبادر، ويسأل سليم، عمن يكون، ومن تكون ناريمان. وأنه يشعُر أن هناك شيئًا ما كان يجمعه بهم، ويربطهم ببعض، ربما لفترة ليست عادية بسنوات عُمره.

تدخل في تلك الأثناء ابنة السيدة المغمى عليها بحُجرة الطوارئ، ومعها خالها كما أخبرتهم عنه. تنهار الابنة على أُمها، وهى تردد "الله يسامحك يا بابا"، ويربت خالها على كتفيها، وهو يطمئن على أخته، ثم بعد لحظات يخرج إليهم الخال، وهم جالسين بصالة الانتظار، ليشكرهم جميعًا على وقفتهم الإنسانية مع أخته الوحيدة على الرغم من عدم معرفتهم بها، فيقول له سليم بعد أن عرفه بنفسه:

- الناس للناس يا فندم، احنا تحت أمركم في أي شيء.

ليشكره الخال جزيل الشُكر، ويعتذر أنهم قاموا بدوره؛ لأن أخته لم تخبره أنها سوف تكون بالمحكمة بهذا اليوم كي لا تزعجه، وتشغله عن عمله، وراح يفضفض، ويسرد ما في قلبه، ويضيق به صدره، وكأن تلك المجموعة من البشر التي ساندت أخته يعرفهم رامي من قبل، فيقول رامي:

- أختى راندا حساسة جِدًّا، وللأسف حظها كان سيئ جدًّا مع زوج عُمره ما قدرها، ولا قدر قيمة الأربع ولاد وبنات اللي ربنا أكرمهم بيهم، للأسف عاش حياته بالطول، والعرض، وضيعها، وضيع الولاد على مدار ١٥ سنة بعد ما ضيع نفسه طبعًا، واتورط في مشاكل كبيرة في السوق بشكل غير عادى، الله يسامحه.

ينتبه مروان لكلمات رامى، وينظر لناريمان، وكأنه أراد أن يقول لها إن قلبي يحدثني أن حكايتك صادقة، ثم يبادر سليم، ويقول:

- انا مش فاهم يعنى أيه رجالة تضيع زوجاتها، وولادها بالشكل المؤسف ده.
- للأسف الولاد كلهم في مراحل تعليمية مختلفة، وف مدارس انترناشيونال، وطبعًا المصاريف حضراتكم عارفين أنها فوق الطاقة، وعمهم المتكفل بيهم غير مسئول بالشكل الواجب، والمفروض رغم مقدرته المادية حيرة ما بعدها حيرة.
- كان الله في العون يا رامى، والله ليها حق الست تقع من طولها.

ثم ينظر لناريمان قائلًا:

- شيء محزن بجد.

ليسرد رامى باقى القصة:

- ده غير أن القضايا اللي هو متورط فيها كتير، وممكن تاخد أحكام بسنين كتير، وربنا وحده الأعلم ايه اللي هايحصل، أنا مش فاهم هي بتروح المحكمة ليه بس، وف نفس الوقت بتبقى شايلة هم شغلي، وأنشغالي كعازف موسيقي، وأن مشاكلها بالطبع مع جوزها بتأثر على حالتي الفنية.

يتعرف سليم ملامحه، ويدرك أنه وجه من الوجوه المألوفة للفنانين. فى تلك الأثناء وجدت أخت رامى ابنتها بين أحضانها بعد أن فاقت من الغيبوبة البسيطة التي تعرضت لها في المحكمة نتيجة الضغط العصبي الذي يحدث لها، ثم فجأة تدخل عليهم دكتور مديحة.

(١٥)

دخلت مديحة دون مُقدمات لتقف بينهم، وكل شياطين الدنيا تلعب على ملامح وجهها بعنف، ودقات قلبها الذي لا يشعُر بفضيلة الوقوف لجانب الآخرين، تزداد حرائقه من ناريمان اشتعالًا حين رأتها بينهم، ثم فجأة تُذكر نفسها بالتماسك أمام الناس الغرباء، وبصوت يحاول أن يدعي الأنوثة، ويحاول أكثر التحفظ، تقول مديحة:

- معقول يا مروان، كل الوقت ده، وانت واقف مع الست النصابة دي، وتشير بأصابعها نحو ناريمان، وتنظر إليها باحتقار.

وهكذا وضعت مديحة ناريمان في موقف شديد الحرج أمام الجميع، وناريمان لم تتفوه بكلمة واحدة، فما كان من سليم إلا الرد عليها بعد أن وجد مروان صامتًا، ولم يجد منه رد فعل سريع:

- عيب يا هانم كِده، طريقة كلامك مرفوضة، وأسلوبك الغير لائق مع ناريمان هانم يمسني شخصيًا.

تزداد مديحة غيظًا وتقول:

- دي واحدة متهمة بالنصب علينا.

- تانى يامدام، أرجوكى كفاية.

- المتهم بريء حتى تثبت أدانته.

ينظر مروان إليها مذهولًا، واجمًا بعد أن وضعته في هذا الموقف الحرج بين الجميع، والأكيد أنه نسي أنها كانت بانتظاره بالسيارة خارج المستشفى، ومن ثم لم يتوقع على الإطلاق أن تأتي إليهم.

يتخبط الجميع من رد فعل زوجة مروان، وصمته وتيهه بالحظات التي تولى فيها احتواء الموقف بدلًا منه سليم؛ فيلتزمون الصمت.

أما مروان ففجأة تحرك نحو مديحة، ثم خرج عن صمته ليأخذها من يدها بعنف، ولأول مرة ينهرها بصوت عالٍ على صفاقتها مع ناريمان، وإحراجه أمام الناس، ليخرجان معًا سريعًا خارج حجرة الانتظار، وهم يسمعونه يقول لها:

- انتى أيه اللي هببتيه ده؟

لترد عليه بمُنتهى القرف:

- أنا باردوا! أنت مش مكسوف من نفسك، راجل في وضعك. ازاي يجري ورا واحدة نصابة زي دي.
- تانى يا مديحة. لا، انتى مفيش فايدة فيكي. أتفضلي، انتظريني هنا خمس دقايق، وراجع لك.

وقبل أن تتفوه بكلمة واحدة، يغلق أبواب السيارة عليها، ثم يذهب مُسرعًا؛ لكي يعتذر لهم، ويحاول أن يتبين منهم من يكونوا هؤلاء بالنسبة إليه، ليجدهم قد خرجوا من المستشفى مستقلين جميعًا سيارة سليم.

يسرع الخُطى كي يصل إليهم قبل أن يغادروا المستشفى، ويعتذر لهم عما بدر من زوجته؛ فيتوجه لناريمان أولًا قائلًا:

- أسف جِدًّا ياهانم على سوء تصرف المدام، وربنا يظهر الحق.

تتوه ناريمان وسط حيرتها من المواقف القاسية التي وضعتهم فيها الأيام فمن يكون هذا الغريب العائد؟! والذي لم تعد تستطيع أن تفسر نظراته إليها، وها هي كلماته التي أتتها تُطيب خاطرها إلى حد ما، لكنها لم تعد تقوى أن ترد بأي كلمة، أو أن ترسل إليه بعينيها أي رسالة، تشعُر ناريمان أن ما بينهم يحتضر؛ فقد طغى الحزن، وألجم المشاعِر ليعود الانكسار من جديد يكسو ملامحها من بعد كل موقف إنكار تراه من مروان بعد كل هذا الحب، والقرب الذي كان.

أما سليم فيقف مذهولًا أمام كلمات مروان الموجهة لناريمان، ويدرك بعض الشيء أن مروان به شيء ما، شيء ما، ربما لا يستطيع أن يحدد معناه الآن مؤكدًا على نفسه أن ناريمان ربما في ذات موقفه مع مروان، ثم يقول له مروان "أنا فِعلًا مروان النعماني، ممكن أعرف حضرتك تعرفنى منين؟ لأنى قضيت معظم سنين عُمرى في أمريكا، ولسه راجع من كام سنة". فجأة يُصدم سليم، وناريمان، ويشعران أن مروان بالفِعل به شيء ما، فيقول له سليم:

- مروان، أنت حقيقي مش عارف احنا مين؟
- ده فِعلًا حقيقي.
- احنا يامروان يا نعمانى. عشرة عُمر، وزمالة، وصداقة طول سنين الجامعة، احنا فِعلًا كنا أخوات، انت فيك ايه مخليك مش فاكرنا؟ مش فاكر ناريمان يا مروان؟ معقولة دي!

هنا تشعُر ناريمان أنها تأكدت أن بمروان شيء ما، شيء ما غير طبيعي أسقطها من أوراق أيامه، وربما يكون هذا الشيء بالفِعل خطير، وخارج عن إرادته؛ فتتدخل بالحديث قائلة:

- والله يا سليم من أول لحظة دخل فيها الڤيلا عندى كمشتري مع المحامي، وهو على ده الحال.

يقول سليم:

- معقولة!

يقول مروان:

- ممكن أعرف انتى مين يا ناريمان؟

يغلق الحزن الباب على قلب ناريمان فتصمت، ويجيب سليم:

- ياه يا مروان ايه اللي حصلك يا حبيبي؟

يقول مروان:

- حكاية كبيرة، يطول شرحها ممكن تليفوناتكم لو تكرمتم، لأن الكلام دلوقتى مش هاينفع، المدام زي ماشفتم، ومش ضامن ممكن تعمل ايه، وهى محبوسة بالعربية.

يقول سليم:

- طبعًا يا حبيبى.

ثم يعطيه رقمه، ورقم ناريمان، ويأخذ رقمه. يستقلون سيارة سليم، وأثناء طريق عودتهم إلى منازلهم بعد هذا اليوم الكاشف، والشاق جِدًّا عليهم، يتبادلون الأحاديث فيما بينهم، بينما مليكة تستمع، وترى كل يوم

ناريمان بمنظور أكثر وضوحًا وبهاءً، وكأنها في كل حين تكتشف معدن تلك للمرأة النفيث، والتي تحملت كل شيء بصبر جميل، وها هي ناريمان تكشف الحجاب عن عدم تحدثها عن مروان مع سليم وروؤان طوال الوقت الفائت؛ فبدأت تتحدث لهم عن ملابسات لقائها به بتلك الليلة التي أتى فيها إليها غريبًا بعد أن غاب كحبيب دون سبب تعرفه أو عذر تتقبله كل تلك السنوات، ليأتيها بصحبة زوجته، والمحامي أمجد لإتمام بيع ڤيلتها، ويدخل بيتها بصفته مشترٍ له ليمد يديه إليها بسلام الغرباء، وكأنهما لم تجمعهما أيام من قبل؛ فبدا وكأنه لم يقابلها قط من قبل هذه الليلة.

وها هي ناريمان تستفيض بشرح مشاعرها، وهى تصرح لهم أنها في تلك الليلة لم يطالها سوى هذا الجرح الكبير الذي ظل ينزف حتى اللحظات الفائتة بأن نكران مروان لها كان أمام زوجته، وفقط كما اعتقدت بالخطأ، بالإضافة إلى جرحها الأعظم بفقدان بيتها، وخذلان زوجها، وابنها لها في ظل أحلك المواقف التي كانت، وما زالت تمُر بها دون ذنب جنته على أحد.

كل هذا جعلها تمحي التفكير في موقف مروان منها، أو أنها تتحدث عنه؛ فمجرد حديثها عنه بهذا التوقيت القاسي كان جارحًا جِدًّا بالنسبة إليها، ثم تعترف لهم أن كل هذه الأحاسيس لم تمُر عليها بسهولة؛ فكُل إحساس أخذ منها شيئًا ما على مدار الفترة العصيبة الماضية، لتقف أمامه بعد كل هذا الانكسار بساحة القضاء خصمًا، مذنبة في حقه، وحق مشترٍ آخر دون ذنب جنته في حقه أو حق الآخرين، وأنه لولا هذه المصيبة التي حلت عليها من أمجد لتضيف إليها، وإلى سجل أيامه الحافل معها بالآسى المزيد، والمزيد من

الخيبات، لِما كانت سترى مروان مرة أخرى، لكنها مشيئة أقدارها التي أتت بِه عند عتباتها.

عم الحزن على الوجوه لِما عانت منه ناريمان وكتمته في صدرها دون بوح لصديق؛ فراحا سليم، وروڤان يشدان من أزرها، ويطيبون خاطرها بأنهم لجوارها، ثم تدخلت مليكة على استحياء؛ لتشاركهم مؤازرة ناريمان، ومعتذرة لتطفلها على حديث أصدقاء وزملاء قدامى؛ فاستوقفتها ناريمان بمُنتهى المحبة مؤكدة لها أنها تعتز بصداقتها، وتشعر معها، وكأنها تعرفها من سنوات، وهكذا ظلوا يتجاذبون أطراف الحديث حتى وصل كل منهم إلى منزله.

المقطم.

لم ترحم مديحة مروان طوال الطريق من التأنيب والتوبيخ، ومروان بملكوت آخر؛ فبدا سارحًا بعيدًا عنها لا يسمعها. كل ما حرص عليه هو أن يتحفظ للحديث عنهم لغيرتها الشديدة بوجه عام عليه؛ ففضل ألا يُخبرها أن هؤلاء أصدقاء، وزملاء قدامى منذ سنوات الجامعة تعرفوا إليه، وأنه أدرك من حديث سليم معه، ومشاعره الواصلة جِدًّا إليه أنهم يعرفونه جيدًا بما فيهم ناريمان التي تستشيط مديحة منها غيرة بشكل خاص.

ويظِل هناك شيء ما، شيء ما، ربما يعيش بداخلك لسنوات، وسنوات بعد ما ظننت أنه مات، أو ربما يصير هذا الشيء مع الأيام أشبه بفصول لا تنتهى تفاصيلها من تقلبات تُحيرك، بل وتجبرك على مواجهة السؤال؛

فتتساءل في لحظة فاصلة من أكون أنا؟ وإلى أين المْصِير؟ لتجد أنك ما بين لحظة وداع لا تحيد عن ذكراها، ووِد لحظة لقاء كم تتمناها.

يأتيك الزمن بوقت ما، وتخبرك دقات ساعاته أن الحكايا أصبحت مجرد سراب مهما حاولت أن تلملم أروع خباياها، أو أنه لم يزل هنا أو هناك شيء ما يلتقي على أرصفة الحياة بخيالات حنين مُحاولًا أن يتكشف الوجه الآخر الذي آلت إليه الحكايا.

المهندسين.

منزل سليم.

يعود سليم، وروڤان لمنزلهما محملين بكل الدهشة، والألم لِما حدث لناريمان ومروان، ملتمسين لناريمان كل العذر مما أنكرته على نفسها وعليهم، ولم تفصح بكلمة أو بأشارة أنها التقت مروان وسط كل هذا الكم الثقيل من المشاكل، وأنها منذ أن شعرت منذ البدايات أن موقف مروان كان نكرانًا لها أو خوفًا من زوجته الآتية معه لتراه شخصًا آخر ضعيفًا، وليس الذي كانت تعرفه.

فضلت ألا تقترب من الحديث عن عودته بعد كل تلك السنوات، وكأنه ما كان، وكفاها ما تمُر به، ولها كل العذر أيضًا في أن كبريائها وقفت حائلًا

بينهما؛ لذا رفضت أن تلجأ إليه، أو إليهم كي يخبروه عنها وعن ما حدث لها حين انتظارها له خمس سنوات كي يعود أو يطمئنها عنه بأي شيء؛ فقد أبى كل هذا الحب الذي كان يجمعهم أن يركع تحت أقدام تقلبات الأيام، أو أن يستحلفه بكل غال كان بينهم كي يقف لجوارها، ويحميها من ظلم أمجد؛ فبدت ناريمان أمام الجميع هي الأقوى باعترافاتها الصادقة في القضية التي رفعها عليها مروان، على الرغم من أنها لا حِيلة لها إلا أنها بالفِعل كانت، وما زالت الأقوى، فلم يكُن شيء يمنعها أن تتخذ ألف أسلوب، وطريق من تلك المسالك التي تعرفها كل أنثى كي تنجو من هذا المأزق إلا أن هذه الكبرياء الصادقة كانت هي سبيلها الوحيد للحماية، وأنها كان لها كل الحق حين رفعت قضية الطلاق من أمجد؛ فهذا الأمر كان لا بد أن يحدث من سنوات.

يتذكر سليم موقف ناريمان حين علم والدها بحقيقة معاملة أمجد لها، وكذلك والدته المستبدة، وأصر وقتها على أن يطلقها من أمجد، لكنه تراجع أمام أصرارها أن تربي أمير بشكل سوي وسط عائلته، تحت سقف بيت واحد يجمع والديه، لكنها للأسف ضحت من أجل من لا يستحق؛ فأين أمير هو الآخر من كل ما يحدث لأمه؟ فتتوقف روڤان للحظات. لتجذب نظر سليم إلى أن ناريمان لم تخبر إلى الآن ابنها أمير بما حدث من أمجد، والقضية التي تورطت فيها مع مروان، ليرد عليها سليم قائلًا:

-صدقيني يا روڤان، لو كانت ناريمان شافت من ابنها حنية أو شعرت أنه مهتم بيها، وبحالها أكيد كانت هاتتسند عليه، ده ولد أنانى زي أبوه.

-عندك حق يا سليم.

لندن.

بإحدى حانات الضاحية التي يسكن بها أمير، يجلس أمير على طاولة يتناول العشاء مع الفتاة الإنجليزية التي قرر أن يكمل معها المشوار الذي بدأه بلندن تاركًا القاهرة وما فيها خلف ظهره، غير عابئ بأمه على الإطلاق لتظهر أنانيته، وتتجلى غلطة ناريمان الكبرى حين كانت تفضله على نفسها، وتلبي له كل ما يتمنى؛ فتجده يحدث نفسه كُلما أنبه ضميره على عدم سؤاله عنّها بأنها هي التي طلبت منه أن يبقى بلندن، ليسكت هذا الضمير الذي يوبخه أحيانًا، متغافلًا الفرق الكبير بين ما طلبته أمه من شدة حرصها على مستقبله، وما فعلته من أجل ذلك، بكل سنوات عُمره، وما سكنه من جفاء حيالها في تلك الفترة العصيبة ليتخلى عن مسئوليته الواجبة تجاه أمه، لدرجة أنه لم يهتز لكون أمه باعت بيتها، وصارت وحيدة دون ذنب جنت.

الزمالك.

بعد أن عادت ناريمان لشقتها بالزمالك، وأخذت شاور باردًا علَّه يخفف عنها وطأة حرارة هذا اليوم الشاق الطويل، تحاول أن تشعر بالاسترخاء على مفرش السرير الناعم علَّه يخفف هو الآخر عنها قسوة ما لاقت منذ أن فارقتها راحة البال باللحظة التي أغلقت فيها باب ڤيلتها ورحلت. تشرد، وتحادث نفسها قائلة "لم أكُن لأسامح نفسي، لو أنني لم أدرك باللحظة الأخيرة أن براءتي مع أمجد ما كانت إلا الوجه الحقيقي للسفه، وأن ثقتي فيه،

وفى الأيام صارت بمرور السنوات شيئًا ما أشبه بالاعتياد غير المنطقي". ذاك الاعتياد الذى من المؤكد أنه كان حتمًا سيودي بها إلى المزيد من التورّط.

ثم تهمس "إن أمجد كان يستحق أن أمنع عنه نصف مبلغ بيع القيلا، وكأنى لأول مرة استشرف الغيب فهذه الأموال ربما تخفف عني وطأة هذه الورطة التي أوقعني فيها أمجد، وبخاصة أنه من الواضح جدًّا أن المشتري الآخر هو الذي سوف يكون صاحب الحق في الاستحواذ على القيلا".

(١٦)

كُلما طيبنا خاطِر الأحلام، وطرنا معها على جناح الروح ستجدنا شيئًا فشيئًا صدقناها، وطلبنا ود لياليها؛ فتعطينا، وتمنحنا بعض من وعودها البراقة، وربما تخبرنا رسائلها بأنها سوف تأخذنا معها يومًا ما إلى شواطئ الأُمنيات علَّنا نتخطى وجع البعاد، أو على الأرجح ربما تصير تلك الأمنيات واقع يسعدنا بلحظات بقاء لنعود مهما طالت سنوات الفراق.

حفل كُلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

يبدو الجميع بأبهى طلة، وكأنهم ما زالوا بأيام الشباب، يقفون مجموعات متحابة ما بين هنا وهناك، وهُم جميعًا سُعداء بانتمائهم لجامعة القاهرة، وكأن العمر لم يجرِ، أو كأن العناء لم يلهُ بهم عبر أروقة الحياة على مدار السنوات الماضية، وها هم يتبادلون جميعًا أروع الذكريات، الكل يشارك في صنع روعة حضور اللحظة بمزحة أو بابتسامة حنين، وبصور كثيرة يلتقطونها عبر موبايلاتهم، وينزلون بها عبر صفحاتهم على الفيس بوك، عدا ناريمان التي جذب نظر سليم، وروڤان أنها لم تحضر حتى هذه اللحظة.

الزمالك.

بينما كان سليم وروڤان يفكران بالاتصال بناريمان، كانت ناريمان تجلس على المقعد الهزاز تذهب، وتعود حائرة، لا تدرى إن كانت سوف تذهب بالفِعل للحفل، أم أن الأفضل لها أن تبقى ككل أيامها وحيدة بالمنزل لتنتظر ما سوف يأتي به الغد، لتواجه ناريمان نفسها بأن تِلك الليلة جعلتها قلقة ولم تعد تدري ماذا تريد، ثم تخرجها رنات الموبايل من ملامتها الدائمة لنفسها لتقطع عليها روڤان حيرتها مع هذه الليلة التي يعتبرها جميع زملائهم من أروع ما يكون، لتدعوها روڤان أن تُسرع بالإتيان إليهم، ليأخذها الحنين إلى صحبتهم فتوافق، وترفض الاستسلام للحيرة؛ فهي تفضل أن تكون بينهم، وتنسى لبعض الوقت أحزانها.

تقف أمام المرآة تنظر لفستانها الحريري الأسود، وذاك القرط الذهبي الكبير الذي تزينت به، لترى بعينيها نظرة حزن تمنتها أن تكون عابرة بهذه الليلة بالذات، ثم تطرح على شعرها طرحة من الحرير الأسود محلاة بخيوط ذهبية رقيقة.

تترك المرآة لتمضي بحذائها الذهبي، ومُمسكة بيدها حقيبة ذهبية سواريه، كانت وضعت بها زجاجة عطرها المفضل Hot Couture، بعد أن تعطرت به، بعد أن كانت وضعت على وجهها بعض المساحيق الخفيفة.

بالحفل.

قبل أن تحضر ناريمان، يلوم سليم نفسه أمام روڤان، وهُو يتذكر لقاءهم بمروان، وما حدث فيه بالأمس، وكيف أنه نسي تمامًا أن يدعوه لهذا الحفل الخاص بلقاء دفعة الجامعة.

يندم سليم لكون هذا الحفل كان من الممكن جِدًّا أن يكون فرصة طيبة لإزالة بعض من خلافات مروان مع ناريمان؛ فلربما كانوا سوف يصلون لأي حلول ممكنة، ومن الجائز أن يساعدهم بشيء ما يجعلهم يغلقوا تمامًا أبواب المحاكم، وقبل أن يكملوا حديثهم، ويقرر أن يتصل بمروان، ويستحثه بضرورة الحضور، تأتي إليهم ناريمان؛ فيسعدوا بوجودها، ثم يندمجون جميعًا، وينشغلون بالزملاء الأعزاء، ليمر بينهم بعض من الوقت الطيب الذي كانوا يرحبون فيه ببعضهم بعضًا.

على الجانب الآخر، كان مروان موجودًا منذ وقت ليس بالقليل بينهم مع أحد الزملاء، ولم يشعروا بوجوده. كان الزميل في تلك الأثناء قد تقدم نحو مروان يشبه عليه؛ إذ إنه لم يكُن رآه منذ أن تخرجوا في الجامعة، فيلقاه بوجه بشوش، ثم يرحب به قائلًا:

- مروان النعماني، أهلًا وسهلا، انت فين كل السنين دي يا مروان؟

يفرح مروان بتعرف زميله إليه، وتشاركه الفرحة ابنته ياسمين؛ لأن أحد زملاء أبيها تعرف إليه بهذا الوِد، ثم يتماسك مروان، ولا يظهر لزميله أنه لا يتذكره ويقول بلطف شديد:

- مشاغل الحياة، قضيت سنين عُمرى من بعد التخرج في أمريكا.

- أيوه فِعلًا، أفتكرت انك سافرت بعثة الجامعة للدراسات العليا.

- وللأسف ما رجعت، فضلت انى أكمل كمدرس بالجامعة هناك.

- للأسف ايه يا مروان، ده من حسن حظك.

يبتسم مروان بهدوئه المعهود، وهو يخفي من وراء ابتسامته وجع سنوات من الغربة، ومأساة لَهْو العناء التي لن يشعُر بها أو يدركها سواه.

يتذكر مروان الآن كل ما مر من حياته بلقطات سريعة متلاحقة، وكأن مكان هذا الحفل صار قاعة عرض لفيلم سينمائي ليرى من خلال شاشته تلك المشاهد التي ظلت تجيء وتروح كثيرًا أمام عينيه لوجوه مختلفة تقف بمكان فسيح، ومشاهدات أخرى لملابسات الحادثة التى وقع لها.

أمريكا.

أسفر حادث مروان عن تلك المأساة التي عاشها وحده من وقت وقوع الحادثة، ومن بعدها، ليصير مع الأيام فاقدًا لصفحات الماضي، ومستسلمًا تمامًا لأنانية أوراق حاضر يعيشه، لتثبت الأيام من بعد الحادثة بشهر كامل أنه بالفِعل مروان النعماني، كما أثبتت هويته التي وجدوها معه وقت الحادثة، لتتلقفه دكتور مديحة بكل أنانيتها؛ إذ كانت مديحة هي الطبيبة التي أشرفت على علاجه بالمستشفى آنذاك وأحبته، ثم بعد أن تزوجته وتمكنت من صُحبة ساعات أيامه ولياليه، بدأت تلطم وجه أيامه بكل لحظة من لحظاتها بهذا الحديث السفيه، والممل بأنها وحدها صاحبة الفضل عليه، ونسيت فضل الله الكريم على عباده، ثم أنساها طبعها الغليظ، وقلبها

القاسي بأنها طبيبة تداوي آلام الناس، ولا يجب عليها على الإطلاق أن تكون بهذه الفجاجة؛ فراحت بكل موقف تجرحه، وتوقظ آلامه، وهي تلقنه درسها المرير على مر الأيام.

ولم تقدر على أن تواجه نفسها المريضة، وتعلنها صراحة بأنها ضعيفة، خائفة أن هو يومًا وجد نفسه؛ فسوف تسقطها ذاكرته طواعية من دفاتر أيامه كما أسقطت ذات الذاكرة ماضيه مرغمة بكل ما لا تعلمه مديحة، وتخشى أن تعلمه؛ لذا كانت في كل حين تذكره بأنها الوحيدة التي وافقت أن تقف لجانب رجل بلا هوية إنسانية؛ فهي لا تعرف له أهلًا أو أصدقاءً كي يعيش العمر كله يدفع الثمن من حريته التي أطبقت عليها، ومن أعصابه التي قاربت على الانهيار.

يتذكر مروان دائمًا أن مديحة كانت، وما زالت قاسية القلب، جارحة الكلمات، ويعلم أيضًا أنها كانت سعيدة جدًّا بأنه بلا هوية كي تستطيع أن تستفرد به، وتحكم سيطرتها عليه، وأنها لم تعطه أي فرصة من بعد وقوع الحادثة، وإشرافها على علاجه، أن يبحث عن نفسه، أو أن يصادق ويتعرف غيرها؛ فبالفعل استحوذت مديحة عليه كزوج، ورجل أدركت بعقليتها المادية البحتة أنها سوف تعيش معه في رغد مادي؛ لعلمها التام بأن ذاكرته الرقمية العلمية لم تتأثر بالحادثة، وأنه بعد أن يستيعد عافيته سيعود لتكملة دراسته الأكاديمية العليا، وأنه بعد أن ينهي دراسته العليا بتفوق سوف يتم ترشيحه من قبل الجامعة ليشغل منصب أستاذ مساعد بأمريكا،

كذلك كان يعلم مروان أنه كان، وما زال صيدًا ثمينًا لمديحة، لكنه لم يجرحها يومًا بذلك.

قاعة الحفل.

فى تلك الأثناء، كان سليم يفكر بالاتصال بمروان فيتنحى بعيدًا عن ناريمان ليمر من أمام بعض الزملاء مرحبًا بالجميع، ثم يجذب نظره وجود مروان؛ فيذهب لعنده فرحًا مرحبًا غير مُصدق عينيه، وقبل أن يتكلم يتدخل الزميل القديم قائلًا:

- يا أعز، وأغلى صديقين سليم، ومروان، بجد مش قادر أصدق عنيا.

وراح يرحب بهم وسط دهشة، وفرحة مروان الذي عاد لتوه من ذكريات أمريكا، بعد أن انقطعت لقطات شريطه السينمائي، أما ابنته ياسمين فكانت في قمة سعادتها بهذه الأجواء التي تعيشها بينهُم جميعًا.

شعر سليم أن سعادته لا توصف بوجود مروان معهم، وبأنه تعرف إلى ابنته ياسمين التي تشبهه لحد كبير، ثم يستأذن سليم زميلهم بأنه سوف يأخذ منه مروان، وابنته لبعض الوقت.

يمسك سليم بيد مروان، فيشعر مروان، وكأنه بدا يمسك مع سليم أطراف أحلامه التي ضاعت منه، وضل الطريق في الوصول إليها، وها هو الآن من الممكن جدًّا أن يصله بها، ثم فجأة يصلان إلى المكان الذي تجلس فيه روڤان مع ناريمان، ومجموعة زملاء، وزميلات أخريات، ليجد مروان ناريمان أمام عينيه فينسى كل من حوله، ويعُود معها لزمن لا يعرفه، وأماكن ربما

تراءت أمام عينيه عبر شريطه السينمائي، لكنه لم يفلح قط في الإمساك بها، ليبقى شيء ما؛ شيء ما يجعل أوقاتنا مع الأيام ذات مذاق مختلف، شيء ما يجعل الأيام كُلما همت بالرحيل بنا إلى المجهول سُرعان ما تلبث أن تجعلنا نعود.

فى الحفل.

ما زال الزملاء يتبادلون ذكريات المحبة، والأوقات الطيبة التي كانت تجمعهم، ويلتفون وسط أجواء موسيقية حالمة حول بعضهم بعضًا، وها هي مجموعة أخرى من الزملاء تروح وتجيء لتستدعي أوقاتهم الظريفة، ويتبادلون ضحكات من القلب كادت تسابق النجوم، وتسافر مع القمر.

الكل منسجم تمامًا عدا مروان، وناريمان اللذان يقفان وسط مجموعة الأصدقاء، والزملاء تائهين، وكأن هناك شيئًا ما، شيئًا ما قاسيًا تسابق ليخطف الفرحة من قلوبهم، تاركًا على وجوههم مواسم كثيرة من الأحزان لم يحن الوقت لأن ترحل بعد، بينما البعض ممن كانوا قريبين، ويعرفون بقصة مروان، وناريمان لم يصدقوا أعينهم أن مواسم الغرام تعود بهم من جديد، وهم يستمعون إلى المقطوعة الموسيقية love Story التي يعزفها مجموعة من الزملاء الذين ما زالوا يعشقون العزف.

تأخذ الموسيقا ناريمان، ومروان لعوالم خفية على جناح الروح لتعزف الموسيقا على أوتار مشاعرهم دون غيرهم بلا إفصاح، بلا بوح، بينما سليم، وروڤان يحاولان أن يلطفا الأجواء بينهما دون أن تشعُر ياسمين ابنة مروان

بشيء كي يرفعا عن مروان، وناريمان ما ظنوا أنه الحرج؛ فتحادث روڤان ياسمين بمودة قائلة لها إنها تتمنى أن تتعرف إلى ابنتيها، ويصير بينهما صداقة طيبة تحفظها الأيام كالتي كانت، وما زالت بينهم وبين والدها ثم تطلب منها أن تسير معها إلى البوفيه.

فى تلك الأثناء كانت الأجواء بدأت تهدأ من حولهم، ويتجه معظم الزملاء للبوفيه ليبقي ثلاثتهم؛ سليم، ومروان، وناريمان، ثم يفتح سليم الحوار، ليرفع عنهم الضيق الذي بدا واضحًا جدًّا على ملامحهم.

- ما تتخيل فرحتنا بوجودك بينا الليلة يا مروان، أد أيه كنت بلوم نفسي من دقايق ان الموقف العجيب اللي وضعنا القدر فيه كلنا أمبارح نساني أتكلم معاك عن الحفلة. سُعداء جدًّا بوجودك، طمنا عليك يا مروان، أنا حاسس أنك فيك شيء مش طبيعي.
- إحساسك في محله، أنا اتعرضت لشيء صعب جِدًّا، ومحتاج فِعلًا اقعد مع ناس كانت قريبة منى جِدًّا زيك يا سليم.
- مش لوحدي كنت قريب منك، ناريمان كانت اقرب لك مني، ومن أي حد فينا كلنا.

مروان يندهش من كلمات سليم التي يصدق عليها إحساسه؛ فيلقي نظرة على وجه ناريمان ليجدها واضعة يديها على وجهها، وتخفي عينيها عنه في لحظة ألم فارقة لكليهما؛ فيلاحقه سليم بالأسئلة التي يتمنى أن يجد لديه إجابات عنها الليلة قائلًا:

- إزاي يا مروان قدرت تصدق أن ناريمان ممكن تتغير، وتعمل فيك انت بالذات كِده.

هنا تتدخل ناريمان، وتُذكر سليم بلمحة من عينيها بالسكوت، ليرد عليها سليم:

- اسكت أزاي، وانا شايفك بنتهدلى قصاد عنينا، ومن مين؟ من مروان!

لا يجد مروان كلمات يرد بها؛ فكُل ما يقوله سليم كان يعتبر بالنسبة له طلاسم لايستطيع فك رموزها؛ فلم يدرِ سليم بحاله منذ أن رأى تلك المرأة، وأنه لم يزل حتى هذه اللحظات يسائل نفسه عن ماذا دهاه ليظل يحمل هم تلك المرأة التي خبرته نظرة خاطفة من عينيها عن بعض ما بها، وأن قلبه ما زال يستحثه أنه سوف يأخذه عند محطات وصول مختلفة، أتى بها الحنين زائرًا لتخطو مشاعره نحو تلك المرأة بالذات، ثم ينظر إليها وإلى سليم قائلًا:

- أرجوك، عايزة أعرف مين ناريمان؟

(١٧)

ولربما نعيش على لحظات أوتنا فيها الحياة بين أحضانها، ونحن لا ندري بأي حضن مكثنا، أو من أي حضن نعود.

يتوقف سليم وناريمان عند كلمات مروان، وتأخذهم الحيرة في أمره؛ فماذا دهاه كى ينساهم، وتمسحهم ذاكرته من قلب أيامه، لتمر الأسئلة الكثيرة بين عيونهم تتلهف منه الإجابة، ثم تأتيهم روڤان بصحبة ياسمين لتتوقف حوارات القلوب والعيون بينهم، ويصمت الكلام، لتبدأ روڤان بفتح حواريأخذ شكلًا مختلفًا قائلة:

- سعيدة جِدًّا يا مروان أنى بشوفك بعد كل السنين دي، والله ما لاقية كلام يوصف بنتنا الجميلة ياسمين ربنا يخليهالك.

تبتسم ياسمين مُعبرة عن سعادتها لهم جميعًا ابتسامة من القلب، ويرد مروان بهدوء على كلمات روڤان، وهو لا يزال شاردًا فيما حدث منذ قليل، فيقول:

- السعادة لينا حقيقي، والشُكر لربنا أنه بيجمعنا من تاني في الوقت المُناسب.

ثم ينظر إلى ناريمان نظرة يحثها بها على الاطمئنان، ليرد عليه سليم، وروڤان في ذات الوقت بنفس الكلمة، قائلين:

- بالتأكيد الحمد لله.

يتوقف الحديث بينهم عند هذا الحد، ثم يأتى إليهم الزميل منظم الحفل ليدعوهم لمشروب بالبوفيه؛ فيوافقوا عدا ناريمان، ثم تؤثر فيها روڤان أن تقوم معهم، وتهمس لها أن تتناسى ما بها، وتعيش اللحظة التي أهدتها إياها السماء، ليذهب ثلاثتهم للبوفيه تاركين روڤان، وياسمين من جديد.

البوفيه.

يقف بعض من الزملاء حول المائدة الكبيرة يتناولون بأطباقهم ما لذ وطاب من الأطعمة، والمشروبات الشهية عدا ثلاثتهم؛ فكُل منهم ظل يتأمل الآخر، ثم بعد لحظات يستأذن سليم مروان في لقاء يجمعهم ببعض، ويكملون الحديث الذي بدأوه الليلة؛ فيوافق مروان، وهو يتحرق شوقًا لمعرفة المزيد من التفاصيل عن ناريمان، ثم ينظر نحوها ليجد قلبه ما زال يستحثه على لقاء يضمهم، ولكم تمنى هذا القلب الشريد أن يعيش ولو للحظات خاشعًا بمحراب عينيها.

أما عقله الذي لم يزل حائرًا في أمرها، فيغلق أمامه أي ممرات للهوى يستطيع من خلالها الدخول لتفاصيل عالمها البريء، ويحرضه على أنها لم تزل حتى هذه اللحظات خصم تقف أمامه لتصول، وتجول أسباب الاتهامات بينهما بأروقة المحاكم، ليفيق على صوت سليم، وهو يستدعيه، وناريمان لتناول ما يشتهون من طعام، وشراب.

ينتهي الحفل على وداعهم جميعًا لبعضهم بكل محبة آملين بلقاءات كثيرة قادمة تأتيهم من بعد اللقاء الذي اتفقوا عليه، والتي سوف يرتبون لها في حِينها.

ولربما تختبئ بداخلك محاولة ما كُلما كنت تهم بفعلها، كان يُحيرك هذا المقعد البعيد الذى وضعت عليه هذه التفاصيل الصغيرة من حياتك، ونسيتها، أو رُبما أنستك إياها الأيام، وشيئًا فشيئًا سوف تبصر بعين قلبك أن كل هذه التفاصيل الصغيرة ما كانت إلا أنت، وأن الوقت لم يفت كى تلملمها، ليس هذا وحسب بل الأروع أنك سوف تكتشف أعظم اكتشافاتك بالحياة بأنك ما زلت تمتلك حق المحاولة، ما زلت تقدر، وما زلت تملك أن تستعيد عافية روحك في أي وقت شئت.

يعود مروان لمنزله سعيدًا جِدًّا بصحبة ابنته ياسمين، ليجد مديحة تستقبله بموشح من الردح البلدي الذي اندثرت معظم عباراته لكونها وجدت ناريمان وسط مجموعة الزملاء بالحفل الذي أنزلت ابنتهم ياسمين معظم صوره على صفحتها الشخصية بالفيس بوك ابتهاجًا بعودة والدها لزملائه، وأصدقائه بعد غياب دام لمدة ثلاثين عامًا، ليتوقف مروان بمكانه برسيبشن الشقة، وهو لا يعلم أين يسير بابنته وسط كل هذا الكم من فوضى العناء المُحمل بتلك الحمم البركانية المشتعلة من حولهم من كل اتجاه، والتي تقذف بها مديحة بوجهه، وبوجه ابنته دون أدنى مشاعر على الأقل تجاه ابنتها الوحيدة.

حاولت ياسمين أن تهدئ من ثورة أمها غير المبررة من وجهة نظرها دون جدوى، بل أن مديحة نهرتها، وصرخت في وجهها قائلة:

- أبعدى عن وشي، لا بنتى ولا اعرفك، راجعة فرحانة قوي بخيبة أبوكي، وهو قاعد يتصور مع واحدة نصابة أخدت فلوسنا، وبتضحك عليه.

هنا يتدخل مروان، وينهرها قائلًا:

- عيب يا مديحة تتكلمي بالأسلوب ده، وتطلعي صوتنا برا الشقة في نص الليل.
- انت راجل ماتعرفش العيب.

ودون شعور يلطمها مروان على وجهها لطمة قوية، ينفث فيها بعضًا من غضبه منها على مر السنين؛ فتستمر مديحة في صراخها الهستيري، وقذفه بالكلمات الجارحة التي يكرهها، ليقرر أن يدخل إلى حُجرة نومه، ثم يغلقها عليه، وإذ بها تستمر في ثورتها غير الأخلاقية قائلة له:

- هو ده اللي انت فالح فيه يا مروان، تقفل عليك الباب وتسكت.

يمر بعض الوقت.

ثم يخرج مروان من حُجرته، وفى يديه حقيبة ملابسه بعد أن وضع بها كل أغراضه الخاصة، ليترك لها الشقة وسط دموع ابنتهم ياسمين التي لم تقدر على إقناع والدتها بأن ناريمان، وبقية زملاء والدها أناس في قمة الأخلاق، والأدب، وأنها تشعر أن هناك حلقة مفقودة بقضيتهم مع ناريمان، لا بد لهم أن يبحثوا عنها.

أوتيل سميراميس.

لم تغمض عيون مروان طوال الليل منذ أن وصل لغرفته بالأوتيل حتى أذان الفجر؛ فقام يصلي ركعتي أذان الفجر، ويدعو الله أن يلهمه الصبر بحياته مع مديحة، والصواب بقضية ناريمان.

ينتهى من صلواته ليتذكر السيدة التي أغشي عليها بالمحكمة، ومدى ظلم زوجها لها ولأولادها، وكأن حكاية هذه المرأة المسكينة جاءته بوقتها تمامًا، وعلى الغالب أنها رسالة من رسائل السماء التي اعتادها كي يدرك أن هناك رجالًا غلاظ الطبع، تغشى أعينهم، وضمائرهم قسوة القلوب، ولربما كان هذا درسًا يستطيع أن يستخلص منه العبرة، ليعذر ناريمان، ويقتنع أنها بالفِعل من الممكن جِدًّا أن تكون ضحية ظلم زوجها لها، ثم يستسلم للنوم فينام.

يوم جديد.

بينما يتناول مروان قهوته بلوبي الأوتيل يأتيه اتصال من ياسمين فيطمئنها عليه، وأنه سيبقى بالأوتيل ألى أن يتهيأ نفسيًا للعودة للمنزل، ثم يدعوها لتناول الغذاء معه غدًا.

يغلق الهاتف مع ياسمين لتأتيه مكالمة من سليم، يدعوه على العشاء بمطعم على النيل، كذلك كان قد دعا ناريمان من قبله، ليلبى الجميع الدعوة.

مساءً.

قرر مروان قبل أن يصل إليهم أن يلقي وراء ظهره بكل تصرفات مديحة السفيهة وأن يهيئ نفسه للقاء زملائه الليلة، ثم بعد أن ارتدى ملابسه الأنيقة، استقل سيارته إلى هناك.

الزمالك.

تنزل ناريمان من شقتها بالزمالك، وهى في أبهى حُلة، وقبل أن تضع قدميها بالسيارة تأتيها مكالمة دولية؛ فتعلم أنه أمجد؛ لأن الكود الخاص بالرقم خاص بالدولة التي يقيم بها فتقرر ألا ترد عليه.

على العشاء.

على أنغام الموسيقا الهادئة كان يستمتع سليم، وروڤان، وهما على الطاولة الأنيقة التي توسطتها الشموع ينتظران ناريمان، ومروان بالمطعم الراقي المطل على النيل.

بعد مرور وقت قليل.

يأتى إليهم مروان؛ فيرحبان به وهما في قمة سعادتهما؛ لأنهم ما زالوا يروا تلك النظرة الآثرة القوية بعيون مروان وهذه المسحة الطيبة الهادئة التي ما زالت تملأ وجهه الشرقي، وها هي ناريمان تلحق بهم لتكتمل تلك السعادة التي ربما يكون لها الفضل في أن تزيح بعض من لهو العناء الذي أرهق القلوب.

يتناولون مشروب البرتقال المثلج، ويستمتعون بالموسيقا الهادئة حتى عزفت الفرقة المقطوعة الموسيقية love Story. ليقطع مروان هذا السكون بكلامه الهادئ وابتسامته الصافية معبرًا عن مدى محبته طوال سنوات، وسنوات حتى الآن لتِلك المقطوعة بالذات، ولعصير البرتقال؛ فينظر سليم، وروؤفان إلى ناريمان، ويبتسمان بهدوء لتبادلهم ناريمان البسمة الجميلة؛ فيقول مروان

- واضح أنكم متيمين بعصير، والبرتقال بالمقطوعة الجميلة زى حالاتي.

ليبتسم سليم، ويقول:

- فى الحقيقة يا مروان أنك وناريمان كُنتُم أكتر اتنين وسط زمايلنا المتيمين ب love Story، أما موضوع عصير البرتقال يطول شرحه.

فيضحكون جميعًا، ثم ينتبه مروان لكلمات سليم جيدًا، وينظر لناريمان، لتلتفت هي هربًا وخجلًا راح يتمرّغ بين عيون كم أتعسها شجن الأيام، ثم تنظر ناريمان إلى نيل القاهرة الساحر، لتسافر معه على شراع الروح مع صوت مروان حين بدأ يسترسل بحكاياه، فبدا عليها أنها من الواضح جِدًّا كانت تشتاق لهذا الصوت، لكنها من كثرة ما ألم بها من ألم، كم تمنت أن يأخد الحديث اتجاهًا آخر غير هذا الحادث الذي بدأ يحكي عنه مروان، وهو يفصح لهم عما حدث له بأمريكا، وفقدانه لذاكرة معظم الأحداث التي جرت بماضيه إلى الآن، ثم يقص عليهم بقصة زواجه من دكتور مديحة، وبأنه لم يتبق له من مروان النعماني الذي يعرفونه كما حدثوه عنه من قبل سوى اسمه الَّذِي دونته أوراقه الرسمية، والتي كانت مسجلة

بالجامعة، وذاكرته العلمية التي لم تتأثر بالحادثة، أما غير ذلك فهو لا يعلم شيئًا.

يتوقف مروان عند هذا الحد، ليكمل سليم حديثه بمُنتهى الألم على حال صديقه مروان، وفراقهم كل هذه السنوات، ثم يحمد الله على سلامته؛ مؤكدًا بأنه كان يشعر بشيء كهذا منذ وقت تقابلهم؛ لأنه من الصعب أن ينكر مروان تلك العلاقة القوية التي كانت بينهم، ثم يتوقف سليم عن الحديث؛ إذ إنه شعر بالخجل بأن يشرح لمروان الآن مدى قربه الذى كان بينه، وبين ناريمان، مؤجلًا الحديث لوقت لاحق يكونان فيه على انفراد، كي يرفع الحرج عن ناريمان؛ لأنها بالأخير امرأة ومتزوجة مثل مروان، وكلاهما له أبناء، وحياة أسرية مازالت قائمة مهما بلغ درجات المعاناة فيها من ألم.

ثم تحاول روڤان أن ترفع الحرج عن الجميع وتأخذ دفة الحديث لمنحنى آخر قائلة بأن ما كانت تشعر به من خلال ما اعتبروه نكرانًا من مروان لصداقتهم كان شيئًا مؤلمًا بالنسبة إليهم، لكن ما يسرده الآن مروان صار أكثر إيلامًا، وبخاصة حين سأله سليم بشكل مباشر، وقال:

- معنى كده انك مش فاكر أي حد فينا.

ليجيبه مروان بمُنتهى الآسى:

- للأسف دي الحقيقة، ومحتاج جِدًّا أنكم تعرفوني بنفسكم، وتحكولي عن شكل علاقتنا، وصداقتنا اللي انا حاسس أنها كانت عميقة، وقوية جِدًّا.

تواسيه روڤان، وتشد من أذره، فتقول له:

- حمد الله على سلامتك يا مروان، أكيد ربنا جمعنا، ولم شملنا لحكمة.

ليردوا جميعًا بكلمة واحدة، ويقولون:

- أكيد.

يقول سليم:

- للأسف الظروف اللي بتلم شملنا من جديد كأصدقاء ظروف قاسية، بتدفع ضريبتها ناريمان لوحدها.

تتحرج ناريمان جِدًّا من الكلام في هذا الموضوع، بينما ينظر إليها مروان، ويقول:

- ربنا يقدم اللي فيه الخير.

تقول ناريمان:

- تسمحيلي أقولك حاجة.

- أتفضل.

- عندى إحساس خاص جدًّا بيكى من لحظة ما دخلت بيتك مش قادر أفسره.

ينظر سليم لناريمان، فيرى الحزن في عينيها قد حجب عنها الكلام، ليبادر بالرد بدلًا عنها سليم قائلًا:

- إحساسك صادق، وحقيقي.

(١٨)

يتوقف الكلام بينهم عند هذا الحد لتتحدث المشاعِر؛ فتنسى ناريمان كل ما بها، وعلى استحياء تفر رغمًا عنها نظرة من عينيها إلى مروان، وبنظرات متتالية حائرة راحت تبحث عنه في نظرات عابرة، وحائرة أيضًا من عينيه، أو في التفاتة من وجهه، راحت تميز ملامحه التي ما تاهت عنها، لتجد أن تلك الملامح تستجديها الآن أن تُلملم معه شتاته، فتطُل طائعة على صفحات بالعُمر كانت تجمعهم، وما علمت أن الأيام كانت أبقتها أمانة لديها سوى الآن؛ فراحت تقلب في صباحات، وأمسيات ما زالت ساكنة عندها بذاكرة القلب؛ لتفيق أن رصيد حبه ما زال بكامل روعته، وطغيان حضوره رغم عذاب الغياب، أما هو فماكث بمكانه أمامها مطمئن لكنه لا يملك أي ذكريات.

ربما يشعر أنه أراد بنظرة من عينيه يرسل إليها وشوشات منها، وهو يطل بقلبه المتيم بها دون سواها على ملامح وجهها البريء الذي كان يزوره طيفه؛ فلا يملك سوى أن يبحث في تفاصيل الروح، وهو لا يدري بأي زمان كانت هذه المرأة ترسم معه السعادة على جبين الأيام، وبأي مكان كانت تُشكل بأناملها التي يشعر بأنه يتحسسها الآن رغم البعُد خريطة وجدانه.

فكُل ما استطاع مروان أن يدركه الآن هو أن مشاعره تجاه ناريمان منذ أول لحظة رآها فيها تؤكد كل ما يلمح إليه سليم، أو يحاول أن يحكي بعضًا منه ليتأكد أن ذاكرة القلب حتى وإن كانت فارغة فهي لا تخون أبدًا.

يتبادلون الابتسامات الهادئة، وهم يتناولون العشاء، ثم تتحدث روڤان عن مدى سعادتها، وهى تسهر معهم بهذه الأمسية الجميلة، وتتناول معهم هذا العشاء الشهي وسط هذه الأجواء الناعمة التي تفتقد الخروج إليها هى وسليم كثيرًا بحكم ظروفها الصحية، وظروف عمل سليم.

يتأثر مروان بالظروف الصحية التي تحدث سليم أن روڤان تعرضت لها، ويعدها بتكرار مثل هذه الأمسيات الرائعة بصحبتهم؛ لأنه حقيقة يفتقد هذه المشاعِر النبيلة؛ فهو ليس لديه أصدقاء، وأن ياسمين ابنته هي كل عالمه.

يلتقط منه سليم طرف الحديث، معبرًا عن مدى سعادته بلم الشمل بينهم جميعًا كأصدقاء بعد هذا الغياب الطويل، ويطلب من مروان قبل أن يعودوا إلى منازلهم أن يأخذ فرصته كاملة في التفكير في كل ما حدث الليلة، أما بالنسبة للقضية التي رفعها مروان بالمحاكم ضد ناريمان فلم يتحدث عنها سليم بإسهاب بهذا اللقاء بناء على رغبة ناريمان؛ فقد طلبت ناريمان من سليم، وروڤان قبل حضورها العشاء أن يرجئوا الحديث عنها لوقت لاحق؛ لرفع الحرج عن الجميع، وليكن لقاؤهم بهذه الليلة هو لقاء عودة الروح لصداقتهم المُفتقدة لسنوات مع مروان، ليوافقوها على الفور ويثنون على فكرتها.

يعودون جميعًا إلى منازلهم، وبقلب كل منهم شيء ما، شيء ما فرِح كفرحة أطفال بليلة عيد كم تمنوها، وظلوا أيامًا وليالي يحلمون بمجيئها، وها هي تأتي.

بعد أيام قليلة.

مضت الأيام القليلة الماضية بهم جميعًا غير عادية، وبخاصة سليم، وعلى الرغم من ذلك كانت لا تخلو بعض الأوقات من اتصالات بينه وبينهم جميعًا للاطمئنان عليهم؛ إذ انشغل سليم بسفر مفاجئ لمتابعة سير أحد أعماله الذي كان معرض للتوقف بسبب تلاعب أحد الموظفين؛ مما جعل سليم لم يكن عنده الوقت المناسب للجلوس منفردًا مع مروان، وإبلاغه بحقيقة علاقته بناريمان كما كان مقررًا، أما أعادة ترتيب أوراق الحياة، فكان شغل مروان وناريمان الشاغل، مما جعلهم غير قادرين على أخذ خطوة الاتصال التليفونى على الإطلاق، وكأن بداخل كل منهم مشاعر أرادت أن تتخذ لنفسها مقعدًا أثيرًا خلف خانات الذكريات علَّها تستمتع ببعض من شجن كلما زاره الحنين خفت آلامه.

حقيقة كانت تلك الأيام القليلة الماضية ذات مشاعر رائعة بالنسبة إلى ناريمان رغم قسوة ظروفها، إلا أنها استعادت نفسها، وتركت كل المشوار الذي مضى بالعمر بين أيادي الله، يعوّضها عنه كيفما يشاء، أما بشأن القضية التي بينها، وبين مروان فسلمت فيها الأمر لله أيضًا، يفعل ما يريد، بعد أن أخذت بالأسباب، وعرضت على المحامي كل الحلول الممكنة، والالتزامات التي تقدر على الوفاء بها تجاه مروان.

فى المحكمة.

بينما تجلس ناريمان لجوار محاميها الذي ينظر أمام المحكمة قضية الطلاق التي رفعتها على أمجد، تسمع صوت صراخ سيدة منهارة برواق المحكمة، ولا تجد من يلتفت إليها، فتسأل المحامي بصوت خفيض عن هذه السيدة وتقول له "ما الذى بها؟".

فيرُد عليها المحامى أن تلتزم بمكانها حتى يأتيها بعد قليل، ولا داعي لأن تشغل بالها بهذه الأمور التي تمتلئ بها ساحات المحاكمة، فترد عليه، وهى في غاية الألم:

- دى مش أمور عادية يا أستاذ، دي مآسي بشر.

ثم فجأة تتحدث السيدة المنهارة لمحاميها قائلة:

- اروح فين منه، ومن ظلمه يا أستاذ، تعبت خلاص، راجل جبان، الولدين وصلوا ١٦ سنة، بلغوا السن القانوني، وانا مش قادرة عليهم، بالذمة ده أب يا أستاذ؟!

ثم تتلفت للناس، وهى في حالة زهول:

- مش قادرة خلاص ع العيال، تعبت، والله.

يقول المحامى:

- اهدى يا ستي، للأسف مش قادرين نملكه عشان ياخد ولاده، كل شوية يغير عنوانه.

- يعنى أرمى ولادي في الشارع، وهما ليهم أب، يرضي مين ده يا ربي.

الزمالك.

تعود ناريمان من المحكمة، وهى في منتهى الضيق، والأسف على حال الناس، تفكر بعُمق بلحظات الألم، ومذاق مرارة التخلي؛ فهى عاشت مع السيدة التعيسة التي شاهدتها بالمحكمة منذ وقت قليل كل هذه الأحاسيس قبل أن تدخل شقتها الهادئة بالزمالك.

وها هي تعد فنجان قهوة على نار هادئة ليداهمها شعور غريب لم يزورها قبلًا، ولم يطرق على باب قلبها كل هذا الطرق الذي يطرقه الآن، وكأنه يحثها أن لا تفتح بابها ثانية، كي لا ترى قسوة قلوب هؤلاء الناس.

وتتساءل ما هذا الزمن القاسي الذي نعيش أيامه، وكأن الحياة صارت بلا حياة، وماهؤلاء الرجال والنساء الذين لا يختشون أنهم يومًا ما جمعهم الله تحت غطاء واحد كانوا فيه سُعداء منتشيين بتِلك اللحظات التي سترت شهوة أجسادهم، فلمَ يستبيحون أمام المحاكم كشف ستر زروعهم بأرض الحياة؟ فهؤلاء الأبناء دون حول منهم ولا قوة وجدوا أن فلان هذا أبيهم، وأن فلانة هذه أُمهم.

دقات الموبايل.

رقم يظهر لها على الشاشة تشبه عليه، لكنها لا تعرفه جيدًا:

- ألو.

- أيوه، مين حضرتك؟

- مروان.

تصمت ناريمان للحظة؛ فبالفعل هذا رقم مروان الذي أعطاه لهم يوم كانوا جميعًا بالمحكمة، وخشيت هي أن تسجله كي تتجنب شيئًا ما لم تكُن تعلمه، ثم تستأذنه قائلة:

- دقيقة من فضلك.

وتصب فنجان القهوة الذي انتهت للتو من إعداده، ثم تطفئ شعلة الغاز، وتمضي مُمسكة بفنجان القهوة بيد، وباليد الأخرى الموبايل، وبصوت هده عذاب الفراق، وآلام اللقاء تقول:

- أسفة على التأخير.

- انا اللي أسف على كل لحظة ألم مرت بيكى طول السنين اللي فاتت.

لا تجد ما يسعفها من الكلمات كي تستطيع أن ترد عليه؛ فقد عاد مروان الذي تعرفه ليقرأ مشاعرها من جديد

- مش مطلوب منك أنك ترد عليا، ياريت تسمعيني.

- أتفضل.

- أكيد الكلام مش هاينفع في التليفون، هانكمل كلامنا الليلة على العشا، أعتقد روڤان، وسليم بلغوكي.

- أيوه فِعلًا.

- أشوفك على خير.

- بأذن الله.

يغلق مروان هاتفه على شعور بالراحة افتقده كثيرًا، كثيرًا طوال سنوات، وسنوات، وها هي الأيام تفتح له بابًا من أبواب حياته الذي ظل مغلق لسنوات طويلة، وما عليه الآن سوى الطرق بحنان ثم الدخول.

تغلق ناريمان الهاتف مع مروان، وتعود مع صوته لثلاثين عامًا مضوا افتقدت فيهم همسه حين كان يألمه الحنين بغيابها عنه طوال فترة الإجازة الصيفية، وصمته حين كانت الأشواق تبعثره بطرقات الطريق، ثم تعود لِما رآته بالمحاكم، وتهمس في رضا عن نصيبها من الحياة قائلة:

كنت أتخيل منذ أيام قليلة أنى الوحيدة بهذا الكون الذي خصني الزمن بمآسيه، ثم ها هي مجريات الأيام تجرجرنى بين أروقة المحاكم كي أرى بعيني، وأسمع بأذني أن هناك الكثيرات تعانى أكثر منى بكثير، كي أرى أن الحياة أكبر بكثير من أن أضعها ما بين قضبان قطار يسير ما بين خطين متوازيين أحدهما مضى، والآخر توقفت بى محطات العُمر عنده، وشيئًا فشيئًا نجد أن الزمن يتكفل بفك شفرة الأيام، وكُلما فارقت خيوط أقدارنا ماضينا يعيدها من جديد.

أما عن مروان فقد عاش مرارة التردد بالأيام الكثيرة الماضية متسائلًا عن أشياء لم يكُن يجد لها إجابات؛ فكُل ما كان مايتراءى له، ويشده للماضي تلك الوشوش الكثيرة التي لايستطيع أن يميز معظمها، عدا طيف وجه، كان يشبه وجه ناريمان، كان هذا الوجه يقف بين تلك الوجوه غير الواضحة أيضًا لمجموعة من الشباب، والفتيات، وكأنهم يقفون متفرقين بمكان فسيح أشبه بالجامعة، لكن هذه الصور ما عادت تأتي أمام مخيلته ثانية من بعد الحفل

الذي جمعهم، لكنه كان فريسة سهلة للحيرة ما بين قلبه الذي يفررغمًا عنه، ويذهب إليها، وما بين عقله الذي يثنيه عن التفكير في ناريمان، وكأنه يعنفه، ويقول له "ماذا دهاك؟"

على الجانب الآخر كانت مديحة تتقطع غيظًا من موقف مروان الذي يتخذه لأول مرة، ويهجر البيت، وكذلك استشاطت غيظًا من ابنتها ياسمين التي لم تأخذ موقفها.

لم تملك ياسمين من الأمر شيئًا سوى أن تتحدث مع أمها بمنتهى الأدب، والهدوء على معاملتها غير اللائقة مع والدها منذ أن فتحت عيونها على الدنيا.

للأسف لم تؤثر كلمات ياسمين في مديحة على الإطلاق، واعتبرت أن مروان تجرأ، وخرج عن طوعها، وعليها تربيته من جديد.

الأوتيل.

لم تكُن تعلم ناريمان بعد أنه أثناء جلوس مروان بمطعم الأوتيل بصباح يومين فائتين مع ياسمين، وإذ بمكالمة تأتيه من سليم، يتبادلان خلالها الكلمات اللطيفة، ثم يطلب منه سليم أن يتقابلا معًا على انفراد، ليكمل له باقي الحكاية؛ فيوافق مروان، ويتقابلان، ثم من بعد ترحاب جميل أراد سليم أن يضع معه النقاط فوق الحروف بادئًا كلماته بتلك المعلومة قائلًا:

- أنت، وناريمان المفروض كُنتُم على وعد بالزواج بعد ما ترجع من أمريكا.

تلك المعلومة التي دخلت بقلب مروان كقذيفة لهب لتشعل مشاعره التي ظل يعيشها معها منذ أن وقعت عينيه عليها ليلة دخل ڤيلتها كمشترٍين ثم بدأ يسترسل سليم باقي الحكاية قائلًا:

- قصة حبكم يا مروان الجامعة كلها تعرفها، وناريمان فضلت في انتظارك خمس سنين، وللأسف لما طال غيابك، وانقطعت عننا أخبارك فقدت الأمل في رجوعك تمامًا، واضطرت توافق على جوازها من أمجد لأن والدها الله يرحمه كان قلقان جدًّا عليها، ومن رفضها المتكرر للزواج.

ثم تتوالي تفاصيل ذاك الماضي الذي عاش فيه معها، كما رواه له سليم، وشاهد بعينيه تفاصيل أيامه من خلال الصور الكثيرة التي أحضرها إليه سليم، وكانت تجمعهم جميعًا ببعض سواء في الرحلات، أو في بعض الخروجات، ومناسبات أعياد الميلاد، كانت كل هذه الصور، وما زالت طوال هذه السنوات في جعبة سليم، ليخرجها القدر في وقتها الصحيح، وتتضح معها الرؤية التي ظلت ضبابية أمام عيون مروان منذ أن عاد لتأتي كل هذه الأشياء، وتظهر مدى ارتباط ماضيه بناريمان.

وكأنها أتت حينما شاء لها القدر أن تأتي، وتصير هي شاهد الإثبات الوحيد على هذا الغرام المستتر بالقلوب، والرافض للرحيل رغم كل هذا الزمن الفائت، ثم يشرح له رأيه الشخصي في أمجد، وابنه، وكيف أن حظ ناريمان السيئ في زواجها من مثل هذا الرجُل عديم المرؤة ممتد مع إنجابها

منه ابنهم أمير؛ إذ أثبتت التجربة المريرة التي تعيشها ناريمان وحدها أن هذا الول لا يتخير عن أبيه.

يستمع مروان لسليم، وهو في منتهى الثقة، والإصغاء، والتدقيق لكل كلمة تخرج من فمه، ثم يكمل سليم الكلام معه قائلًا:

- طبعًا مش قادر أقولك أتنازل عن القضية، واستعوض ربنا في فلوسك؛ لأن المبلغ كبير طبعًا، ودي فلوسك، بس كل اللي أقدر أوصيك بيه، أنك توافق على عرض ناريمان، ويبقى جازاك الله خير، وعندك فرصة للتفكير يا مروان، ونتقابل كلنا بعد يومين بإذن الله على العشا.

يوافق مروان ويودع سليم على أمل اللقاء بعد يومي

(١٩)

مساء ذات اليوم.

المقطم، مكتب مروان.

لم يجد مروان حِيلة تجاه قلبه الذى يُؤْمِن ببراءة ناريمان ليصِدق عقله على إحساسه بها، وأثناء مراجعته لملف خاص بأحد العملاء، تدخل عليه مديحة المكتب، وهى في قمة ثورتها منه لأنه لم يعيرها اهتمامًا، لتلومه على ترك البيت متحججة بتركه لابنتهم ياسمين، والإقامة في أوتيل، ثم توبخه على هذا الإسراف الذي لا داعي له، فيقوم من على مكتبه، ويقول لها:

- خلاص خلصتي كلام.
- أيوه خلصت.
- من فضلك بطلي تتعاملي معايا على أنى تلميذ.
- وانت شايف ان تصرفاتك تصرفات واحد كبير، وعارف مصلحته، طيب يا كبير، وموضوع فلوسنا اللي عند السهتانة، النصابة، هاتعمل فيه أيه؟
- اتلمي يا مديحة، وابعدي عنى، وبعدين الفلوس فلوسي، وانا حر فيها، لما اجى ناحية فلوسك يبقى من حقك تتكلمى.
- أتِلم، انت عارف انت بتقول ايه؟

- طبعًا عارف بقول أيه كويس، بتعامل معاكى بأسلوبك، لكن للأسف متأخر، وقتك انتهى، مع السلامة.
- بقي كده يا مروان، بتطردني، وبتقولي الفلوس فلوسي، مع السلامة.

تخرج مديحة، وهى غير مستوعبة ما حدث لها، ثم يغلق مروان باب المكتب وراءها، متمنيًا ألا يراها ثانية، لتظل مديحة أثناء سيرها واجمة غير مُصدقة أن هذا الشخص الذي كان يتحدث معها مروان الذي تعرفه، فتقول بصوت عالٍ، وبتوتر شديد:

- لا، لا، ده لا يمكن يكون مروان، ده واحد تانى ماعرفوش.

بعد مرور عدة ساعات.

بالأوتيل.

يتوقف مروان أمام نفسه كما توقف بالفترات الماضية مرارًا، وتكرارًا، ليسائلها لما كل هذا النفور من مديحة، أم ابنته الوحيدة؟ فهل كان لظهور ناريمان في حياته سبب مباشر في هذا، أم أن هذا جراء تراكمات لسنوات العذاب معها، وكان سوف يحدث له هذا النفور منها يومًا ما؟ ثم يستفيض في مكاشفة مع النفس تريح القلب، والضمير أن مديحة لم تعطه فرصة واحدة كي يستطيع أن يجد لها مبررًا لكل ما تفعله معه، وأنه كم صبر عليها لأنها أم ابنته الوحيدة، ولحفاظه على العِشرة التي جمعتهما مع امتنانه الدائم لها بالوقوف معه كطبيبة، والخروج من أزمته بسلام على الرغم من فقدانه

ذاكرته إلا أنها للأسف الشديد ما قدرت أي شيء مما قدره هو، اعتبرت كل هذا ضعف منه. لم تكُن قط مديحة مدركة بأنها ليست من وهبته الحياة كى تكرر له في كل لحظة أنه لولاها لكان سوف يصير بمكان آخر، فأي مكان هذا الذي دومًا تتحدث عنه مديحة، وهو من ثبتت أوراقه بالجامعة بأمريكا.

إنه مروان النعماني، طالب الدراسات العليا المتفوق، وأنه حين تماثل للشفاء، وبفضل الله، ومجهوده الدراسي وتفوقه، وليس بفضل مديحة عاد للجامعة؛ إذ إن ذاكرته العلمية الرقمية لم تتأثر بالحادثة ليكمل مشواره بنجاح، ويحصل على الدكتوراه، ويتقلد أرفع المناصب، ويبني نفسه، وثروته التي تعب بكل قرش فيها؛ إذن مالذي فعلته مديحة كي تعيره في كل لحظة عاشها معها بأنها صاحبة الفضل.

للأسف الشديد مديحة نصبت نفسها إله يعطي، ويمنع حق الحياة؛فظلت على مدار أكثر من خمسة وعشرين عامًا تذكره مع كل صباح ومساء أنه لولاها، ولولاها، ولولاها...

وهو من شدة أدبه، وحرصه على ألا يجرحها كان لا يتوقف عند الجروح التي تبقيها بنفسه، وروحه في كل ليلة كانت تجمعهم.

أحيانًا نتقبل العيش وسط كم غريب من الأوجاع يأتى إلينا بها هذا اللهو المتجبر من العناء فيلقي بنا عبر عذابات حيرة تستمر معنا أيامًا، وليالي، وربما لسنوات، إلى أن تزورنا لحظة فرح تضيء لنا شمعة محبة وسط ظلمة الطريق.

على العشاء.

يتقابلون جميعًا على ذات الطاولة بذات المطعم الذي جمعهم قبلًا، وكأنهم أرادوا أن يبقوا على شيء ما، شيء ما أشبه بالأثر الذي ربما يُخبر عنهم بمرور الزمن بأن هنا كانت تأتي قلوب عرفت كيف تصفح، وعرفت كيف تُحب.

كان من الواضح على مروان جِدًّا لهفته بأن يصير أكثر قرب من ناريمان؛ فالعاشق تفضحه عيونه، ولم يخفِ على سليم أن مروان حريص على إرضاء ناريمان، وأنه حائر جِدًّا من أمره كزوج، وأب، أما ناريمان فكان سليم، وروڤان مدركين بأنها طويت صفحة أمجد إلى الأبد، لكن أمومتها ما أغلقت باب القلب أمام وحيدها.

لذا تشعُر روڤان بلوعة قلب صديقتها، وتقدر حيرتها كأُم، يتناولوا العشاء وسط أجواء رومانسية حالمة، ثم يتبادلون الحديث عن كل ما داربين سليم، ومروان.

بعد مرور بعض الوقت.

يطلب مروان من ناريمان أن تشاركه هذه الرقصة الهادئة؛ فتوافق لتتهادى بين يديه لكن حيرتها الغالبة على قلبها جعلتها كفراشة تخشى حريق جناحيها، وهى تحوم حول الشموع، وبينما هم يتراقصون على أنغام الموسيقا الهادئة يعترف لها مروان أنه يشعر، وكأنهما كانا قد تراقصا من قبل، فتجيبه أنهم بالفِعل تراقصا مرة واحدة قبلًا بحفل كان به معظم الزملاء، وكانت أقامته الجامعة آنذاك، فيرتاح بأن مشاعره بدأت تدله على أشياء، وأشياء تتضح صحتها، ثم يهمس لها أن هناك شيئًا ما بأعماق مشاعره ظل يطارده، ولم يكُن يستطيع أن يلملم خيوطه كى يفسره بوضوح؛ فكان أحيانًا يعود بأسبابه لمديحة، وتلك الحالة من التسلط، والنكد الدائم التي تخلقها من حوله، وأحيانًا أخرى يرجع الأسباب إلى تلك الحالة من الاضطرار التي أفقدته معنى السعادة، وهو يتعايش فاقدًا لذاكرة ماضيه؛ فما أقسى اضطرار الأنسان لعيشة غيرراضٍ عنها.

وأما عن هدوء القلب، فهو الآن يعيش أروع لحظاته برحيل الحيرة التي كانت تفقده سعادته؛ مما جعله مطمئن للقادم من الأيام، وهو متأكد من شعوره بأنه يجلس بينهم الآن بذاكرته الحقيقية، ليقول لها إنه لم يعد مهتمًا في أن تعود إليه ذاكرة الماضي؛ لأنها بالفِعل كل الماضي، وهى بين يديه الآن؛ فماذا سيريد أكثر من ذلك، وأنه يكفيه ذاكرة القلب التي أعادتها إليه بأمنيات حالمة، وليالٍ تحن لها، وليس سواها.

أيام جديدة.

المقطم.

حاولت مديحة بشتي الطرق الشرسة استعادة مروان، لكنها لم تُفلح كعادتها سوى بالمزيد من العمل الجاد، والمضني كأي امرأة غبية من أجل فراره منها أكثر، وأكثر دون أن تشعُر؛ فراحت الفجوة تتسع بينهما، وبخاصة أنها اعتبرت نفسها خرجت من مكتبه الكائن بعمارتهم السكنية مهزومة، بعد أن ألقت بملابسه بمساء هذا اليوم أمام مكتبه وليس هذا وفقط، بل مزقت ملابسه وهى تتوعد له بكل ما هو مؤسف على مرآي ومسمع من الجيران، هؤلاء الجيران الذين لم يسلموا من أذاها قبلًا ليظلوا متفرجين صامتين، يخشون بطشها، لكنهم كانوا فيما بينهم يجدون ألف عذر، وعذر لمروان في تحمله العيش معها، وفي نفوره الآن منها معبرين عن رأيهم الذي لم يحيد قط بأنه شتان ما بين الشخصيتين، ليقرر مروان بعد أن أزاح عن صدره الانشغال بالتفكير المضني فيما تفعله به مديحة أن يفكر بطريقة إيجابية؛ فهو لن يقضي حياته مقيمًا بالأوتيل، لنجده من بعد شهر أقام فيه بالأوتيل كي يرتاح لبعض الوقت من لهو العناء معها، فضل أن يعود إلى المقطم.

تمضي الحياة بالجميع ما بين حلاوة، ومرار طبع الأيام، والليالي، لنجد مروان يعود لعمارة المقطم، لكنه يدخل مكتبه مباشرة، ولا يذهب لشقته بعد أن قرر أن يأخذ الخطوة التي ظل يؤجلها لسنوات من أجل ابنته ياسمين؛ فأعاد تقسيم الشقة الخاصة بمكتبه إذ كان بها حجرات مغلقة ذات مساحة كبيرة تسمح له بفصل حجرات معينة يستخدمها كشقة خاصة

به بباب خاص مستقل؛ فجهز لنفسه حُجرة معيشة كاملة تطُل على Open kitchen صغير، وحُجرة أخرى للنوم بداخلها حمام خاص به، وأبقى على باقي الشقة كما هي كحُجرة مكتبه، وحجرة المساعد الخاص بعمل المكتب، والريسبشن، والمطبخ الصغير، والحمام.

ارتاح مروان جدا لهذا الفصل بينه، وبين مديحة، وترك لها الشقة الأخرى كاملة بعد أن تنازل لها، ولياسمين عنها، كتعويض مُناسب لها كأُم ابنته الوحيدة عن خسارته المادية التي تعرض لها عند شرائه الڤيلا على الرغم من عدم مشاركتها حين شراء الڤيلا بأي مبالغ مادية خاصة بها، ثم خيرها أنه لو فكر بالارتباط بأخرى أن من حقها الحصول على الطلاق منه إذا أرادت؛ فرفضت الطلاق منه، وهى على جمر النار من فكرة ارتباطه بأخرى التي يصرح بها أمامها، ويطرحها قيد التنفيذ هكذا بمُنتهى البساطة، لكن هي مدركة أن ما عاد بيديها شيء، سوى أن تظل لجواره كي تظل مستحوذة عليه بعقلها المريض ظنًا منها أنه هكذا سوف يظل تحت عينيها.

في تلك الأثناء.

لم يجد مروان سبيل لحل مشكلته مع ناريمان سوى أن يتنازل عن القضية المتهمة فيها ناريمان ظلمًا بعد أن تأكد من براءتها من تهمة النصب، والاحتيال عليه، وبعد أن أصرت على التنازل له عن نصف المبلغ الذي احتفظت به من مجمل المبلغ الذي كان دفعه مروان وقت شرائه الڤيلا منها، واستولى عليه أمجد.

بمرور الشهور.

يستقبل مروان بمكتبه المهندس عمرو بن أخت مديحة ليطلب يد ابنته ياسمين؛ فيرحب مروان جِدًّا؛ لاعتبارات كثيرة أهمها أن عمرو شاب خلوق ناجح، ووالدته سيدة هادئة لا تشبه أختها مديحة في أي شيء، وأنه ليس أبًا لياسمين وفقط، بل هم أصدقاء، وأنه يعلم أن ياسمين، وابن خالتها متفاهمين، ومرتبطين عاطفيًا، وهو يريد أن تختار ابنته شريك حياتها بمُنتهى الحُرية ما دامت تلك الحُرية في حدود ما تربت عليه من مسئوليات.

ينتهى اللقاء بينهما على وعد من عمرو بزيارتهم هو وعائلته بمنزل مروان، ومديحة لقراءة الفاتحة، وتحديد موعد الخطبة، والزفاف.

بعد مرور شهور أخرى.

تتم كل هذه الأمور على خير بين العائلتين، لكنها لم تكُن تخلو من بعض تصرفات غير لائقة من مديحة تجاه أختها وابنها، ربما كانت سوف تودي بهذه الزيجة لطريق غير محمود لولا تعقل الجميع؛ فمديحة تريد أن تفرض سيطرتها، وأن تعتاد ابنتها نهج هذا الأسلوب مع زوجها عمرو، لكن ياسمين رفضت بلطف هذا الأسلوب من أمها، أما مروان فكانت مثل هذه التصرفات من مديحة تجعله لا يحيد عن رأيه فيها قائلًا لذاته:

- مديحة هاتفضل مديحة؛ فلا هي استفادت شيء من كونها طبيبة فتحاول أن تظهر بمظهر يليق بالمهنة الإنسانية، على الأقل أمام للناس، ولا هي اكتسبت شيء من إقامتها في أمريكا لسنوات طويلة؛ فكانت بنفس أسلوبها السليط مع الجميع، مستحيل مديحة تتغير أبدًا، ياما حاولت معاها، وفشلت.

غالبًا ما يخبرك قلبك بأنك قيد التحقُق ما دُمت تخطو قيد أحلامك المشروعة.

حى المهندسين.

تجلس روڤان بشرفة غرفتها تتناول النيس كافيه، يدخل عليها سليم مداعبًا خصلات شعرها، ثم يقول:

- حبيبتي راحت فين؟

تُمسك بيديه بحنان، وتقبلها، وهي تقول:

- معاك طبعًا يا حبيبي.

- حبيبتي.

- كنت بفكر في حكاية مروان، وناريمان.

- حقيقي الدنيا كل يوم بتعلمنا أن جوانا تفاصيل لأسرار كتير.

- أنت عارف يا سليم، أنا بحترم ناريمان، ومروان أنهم اتصرفوا بمُنتهى الشجاعة، وقرروا يعيشوا حياتهم بالطريقة اللي تناسبهم.

- الشجاعة الأكبركانت من جهة ناريمان.

- عندك حق مُجتمعنا ظالم، وبيجي على الست كتير.

- يعنى اللي يشوف الصورة من برا، هايعيب على ناريمان من غير ما يعرف هي اتظلمت أد إيه من أمجد.

- مجتمع قاسي بيدعى الرحمة، والفضيلة، وهو لا بيرحم، ولابيسيب رحمة ربنا تنزل.

- فِعلًا بدليل أن أمير عايش في لندن بنفس أفكار مجتمعه القاسي، وعلى الرغم أن ناريمان انتظرت لما انتهى من دراسته، وبقى مهندس أد الدنيا، وشرحت له الفترة اللي فاتت، وكل شيء فيها، وبمُنتهى الصِدق، والهدوء وصلت له كل تصرفات أبوه الشريرة معاها.

- لكن الولد، ولا في دماغه، أهم شيء عنده تفضل أمه ملكية خاصة له، ومُش مهم هي بتعانى أد أيه، وبتواجه مشاكل الدنيا لوحدها إزاي.

-فِعلًا، ناريمان وحيدة حقيقي، ومحتاجة حد بيحبها زى مروان، يونس أيامها، ويحميها من شر أمجد.

-و موقفها الواضح من تحكم أمير في حياتها، ورفضها الأستسلام لأنانيته. وتحديده لمصير حياتها، المفروض يكون أكبر درس له، ده لو عايز فِعلًا يكون راجل مسئول لازم يحس بغيره، وخصوصًا أمه.

تثني روڤان على كلمات سليم، وتقول:

- كان ممكن أي أم تستسلم لأنانية أبنها بدافع الأمومة، والحُب الأعمى، لكن فِعلًا ناريمان مش أي أم، وانا أكترواحدة عارفة هي ضحت أد أيه عشان أمير.
- والله يا روڤان الواحد ما عارف يقول أيه، ربنا يهديه، ويريح قلبها من نحيته؛ لأنها مهما كانت سعيدة مع مروان، هاتفضل موجوعة عشانه.
- بأذن الله أكيد الزمن كفيل أن أميريتفهم موقفها، ويرجع لحضنها زي زمان، واكتر.

ثم تبتسم روڤان، وقلبها مطمئن، وتقول:

- بإذن الله.

(٢٠)

بمرور الأيام.

أتى يزف إليها الحنين بمساء يداعب ثوب الليالي، أتى يتحرق شوقًا؛ فكم ظل طيفها يراوده، وها هي تتهادى بين ذراعيه، ليعُود بها يتراقص منتشيًا بين أضواء الشموع، أتى ليسدل الستائر على رسائل الشوق النائمة في براح عينيها ويهفو لود الوصال، أتى ليلهو مع براءة الأيام الساكنة بالأحداق منذ الزمن البعيد، ولا يشعُر بالغفو بين أحداقها بأي معصية، بل أنه يشعُر أن الغفو في محراب عينيها صلة للروح، وصلاة يخشع بها القلب.

فلم تعد ناريمان زوجة أمجد بعد أن انفصلت عنه بالحكم الصادر بالقضية التي كانت رفعتها عليه منذ عدة أشهر؛ فعاد مروان معها لدنيته التي كم افتقدها، وهو مُحمل بدفء الحب الذي كان غائب عنها، وعنه.

عاد بتفاصيل الحكاية على مدار الزمن الفائت، وها هي تعود معهم علَّها تهدئ من لوعة أيام، وليالٍ اعتصرت قلبهم لسنوات وسنوات.

عيد ميلاد روڤان.

بذات المطعم المفضل لديهم يتبادلون المحبة، ويهنئون روڤان، وهم يطفئون الشمع معها احتفالًا بعيد ميلادها، ثم يضحك سليم، ويقترح عليهم أن يعيشوا لبعض الوقت بروح الشباب، وينطلقون خارج حدود الصندوق، ويستمتعون باستعادة لحظات كانت تجمعهم بأيام الجامعة، لتلتقط منه

روڤان الخيط، وتضحك ضحكة من قلبها الصافي، ويشاركها الضحكات السعيدة الجميع، ثم يقول مروان:

- فهمت أنت رايح فين ياسليم.
- هههههه، الله أكبر، مروان رجع يا بنات.

ناريمان تضحك ضحكات من القلب كانت أنستها أياها الأيام، وهى تنظر لمروان، فيقول لها مروان:

- من كتر حكايات سليم عن أيامنا مع بعض زمان وكنا بنروح فينن حفظت خلاص، وحسيت أنه ناوي على وسط البلد، وطبعًا محل عصير البرتقال.

ليقول سليم بصوت عالٍ:

- براڤواااااااا مروان.

وتصفق له بحرارة ناريمان، وروڤان وهما تضحكان.

منتصف الليل.

يتوقفون أمام محل بيع العصير الذي اافتتحه الجد الأكبر بالستينيات من الألفية الماضية، والذي يرون أنه ما زال يعمل بنفس الكفاءة، وبنفس الروح منذ أن دبت أقدامهم لهذا المكان حتى هذه اللحظة التي يقفون بها أمام المحل كما كانوا يفعلون، وهم طلبة بجامعة القاهرة بثمانينيات الألفية الماضية، وهكذا ظل العمل متوارث تحت إدارة الابن الذي صار أبًا، ثم الحفيد الذي أصبح شابًا، والذي يكمل العمل ليلًا بعد أن ينهي والده الفترة الخاصة

به، والتي تمتد من الصباح حتى بدايات المساء.

ينتهون من شرب عصير البرتقال المنعش بالثلج ثم يشعرون ببرودة ليالي نوفمبر الآتية على استحياء تسري بأجسادهم، ليستقلوا سيارة مروان عائدين إلى الباركينك الخاص بالمطعم الذي تناولوا فيه العشاء، ليستقلوا سيارتهم عائدين إلى منازلهم.

شقة الزمالك.

ما أن فتح مروان الباب، وأغلقه حتى أحاط ناريمان بذراعيه، ودون كلمات يصلوا لغرفة نومهما، ثم تنظر ناريمان لمروان، وتبتسم بحب؛ فيقبلها مروان، وهو ما زال يحتضنها بين ذراعيه ليتراقصا معًا على لقاء السحاب الذي جمع بين نغمات الموسيقار محمد عبد الوهاب، وصوت كوكب الشرق أم كلثوم ليردد مروان كلمات الشاعر أحمد شفيق كامل.

ابتديت دلوقتي بس أحب عُمرى.
ابتديت دلوقتي أخاف لا العمر يجرى.
"أنت عمرى"

تمت.

صدر للكاتبة چيهان جمال

رواية - وللبحر حكاياه

رواية -مضطر احلم لوحدي

رواية - زيارة السيد المرحوم

المجموعة القصصية - اوبن داي

المجموعة القصصية - ذاكرة أنتيك

المجموعة القصصية - احكي ياشهر زاد

المجموعة القصصية - آخر ليالي ديسمبر